
شرح
منهاج الكرامة
في معرفة الإمامة
لأبي منصور الحسن بن يوسف الشهير بالعلامة الحلي
والرد على منهاج السنة لابن تيمية
الجزء الأول
تأليف
السيد علي الحسيني الميلاني

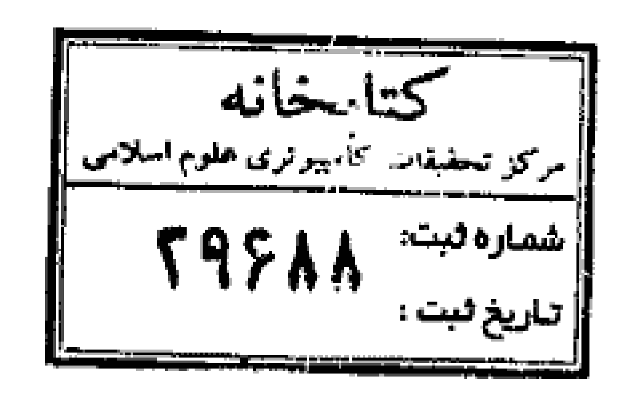
شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة

لأبي منصور الحسن يوسف الشهير بالعلامة الحلي

والرد على منهاج السنة لابن تيمية

الجزء الأول

تأليف
السيد علي الحسيني الميلاني





اسم الكتاب: شرح منهاج الكرامة والردّ على منهاج ابن تيميّة، ج ١

المؤلف: السيد علي الحسيني الميلاني

نشر: الحقائق

الطبعة: الاولى، ١٤٢٨

المطبعة: وفا ـ قم

الكميّة: ١٠٠٠

ردمك الدورة: ٥ ـ ٨٨ ـ ١ ٢٥٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨   978 - 964 - 2501 - 88 - 5

ردمك: ٢ ـ ٨٩ ـ ١ ٢٥٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨   978 - 964 - 2501 - 89 - 2

عنوان المركز: قم، شارع صفائيه، فرع ٣٤، فرع ايرانيزاده، رقم ٣٣، الهاتف: ٧٧٣٩٩٦٨ـ٠٢٥١، الفاكس: ٧٧٤٢٢١٢ـ٠٢٥١

عنوان مركز النشر: قم، شارع صفائيه، مقابل صندوق قرض الحسنه دفتر تبليغات، الهاتف: ٧٧٤٤٧٠٧ـ٠٢٥١

عنوان مركز التوزيع في مشهد: شارع الشهداء، خلف حديقة نادري (باغ نادرى)، فرع الشهيد خوراكيان، بناية گنجينه كتاب التجارية، نشر نور الكتاب، الهاتف: ٢٢٢٣١٣٠ـ٠٥١١

عنوان مركز التوزيع في اصفهان: شارع چهارباغ پائين، أمام ملعب تختي الرياضي، المركز التخصصي للحوزة العلمية في اصفهان، الهاتف: ٢٢٢٣٤٢٣ـ٠٣١١

الموقع: www.Al-haqaeq.org ـ البريد الالكتروني: Info@Al-haqaeq.org



بسم الله الرحمن الرحيم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كلمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

يسّرنا أنْ نقدّم إلى الباحثين والمحققين الكرام، وإلى المكتبة الإسلاميّة والمكتبات العلميّة، هذا السّفر الجليل، من مؤلّفات المحقّق الفقيه آية الله الحاج السيّد علي الحسيني الميلاني دامت بركاته.

إن كتاب (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) تأليف العلّامة الحلّي، الذي يعدّ من خيرة المتون الجامعة بين الأقوال المختلفة في مسائل اصول الدين، كان بحاجةٍ إلى شرح علميّ رصينٍ، يوضّح مطالبه ويشيّدُ مقاصده، ويدفع عنه الشّبهات ويزيل التوهّمات الّتي أوردها ابن تيميّة وغيره من المخالفين.

وقد طلب من سماحة السيّد -منذ سنين- القيام بهذه المهمّة وسدّ هذا الفراغ العلمي، فشرع بذلك، وانتشر قسم منه بسنة ١٤١٨، ثم وضع للشرح مدخلاً طبع بسنة ١٤١٩ تحت عنوان (دراسات في منهاج السنّة).

وقد قمنا بطبع الكتاب من الأوّل، بتحقيقٍ جديدٍ، في مجلّدات، والحمد لله على التوفيق.

هذا، ونذكّر بالامور التالية:

١ ـ قد وضعنا في المقدمة المتن الكامل لكتاب (منهاج الكرامة)، المطبوع بتحقيق الاستاذ عبدالرحيم المبارك.

٢ ـ قد نقلنا مطالب ابن تيمية من كتاب (منهاج السنّة) المطبوع بتحقيق الدكتور محمّد رشاد سالم، في تسعة أجزاء.

٣ ـ سنضع الفهارس الفنيّة العامّة في نهاية الجزء الأخير من الكتاب إن شاء اللّه.

مركز الحقائق الاسلامية

١٤٢٨



متن كتاب

منهاج الكرامة

في معرفة الإمامة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم الواحد، الكريم الماجد، المقدّس بكماله عن الشريك والضدّ والمعاند، المتنزّه بوجوب وجوده عن الوالدة والصاحبة والولد والوالد.

أحمَدُه حَمْدَ معترف بآلائه غير شاكٍ ولا جاحد، وأشكره على إنعامه المتضاعف المتزايد، شكراً يعجَز عنه الراكعُ والسّاجد.

والصّلاة على سيّد كلّ زاهد، وأشرف كلّ عابد، محمد المصطفى وعترته الأكارم الأماجد، صلاةً تدومُ بدوام الأعصار والأوابد.

أما بعد، فهذه رسالةٌ شريفةٌ ومقالةٌ لطيفةٌ، اشتملت على أهمّ المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، وهي مسألة الإمامة، التي يحصل بسبب إدراكها نيلُ درجة الكرامة، وهي أحدُ أركان الإيمان، المستحَقّ بسببه الخلود في الجنان، والتخلّص من غضب الرحمان، فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

خدمت بها خزانة السلطان الأعظم، مالك رقاب الأمم، ملك ملوك طوائف العرب والعجم، مُولي النعم ومسند الخير والكرم، شاهنشاه المعظّم، غياث الحق والملّة والدّين، أولجايتو محمد خدابنده خلّد الله سلطانه، وثبّت قواعد ملكه وشيّد أركانه، وأمدّه بعنايته وألطافه، وأيّده بجميل إسعافه، وقرن دولته بالدوام إلى يوم القيامة.

قد لخّصت فيها خلاصة الدلائل، وأشرت إلى رؤوس المسائل، من غير تطويل مملّ ولا إيجاز مخلّ، وسميتها **(منهاج الكرامة في معرفة الإمامة)**.

والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب. ورتبتها على فصول:



الفصل الأول: في نقل المذاهب في هذه المسألة

ذهبت الإمامية إلى أن الله تعالى عَدْلٌ حكيمٌ لا يفعل قبيحاً ولا يُخِلُّ بواجب، وأن أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وحكمة، وأنه لا يفعل الظلم ولا العبث، وأنه رؤوف بالعباد يفعل بهم ما هو الأصلح لهم والأنفع، وأنه تعالى كلّفهم تخييراً لا إجباراً، ووعدهم بالثواب وتوعّدهم بالعقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين عليهم السّلام، بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي، وإلّا لم يبق وثوق بأقوالهم، فتنتفي فائدة البعثة. ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول صلّى الله عليه وآله بالأئمة عليهم السّلام، فنصب أولياء معصومين، ليأمن الناس من غلطهم وسهوهم وخطئهم، فينقادون إلى أوامرهم، لئلا يُخلي الله تعالى العالم من لطفه ورحمته.

وأنه تعالى لمّا بعث رسوله محمداً صلّى الله عليه وآله قام بنقل الرسالة ونصَّ على أن الخليفة بعده علي بن أبي طالب، ثم من بعده ولده الحسن الزكي، ثم الحسين الشهيد، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم الخلف الحجة محمد بن الحسن عليهم السّلام.

وأن النبي لم يمت إلّا عن وصيّة بالإمامة.

وذهب أهل السنّة إلى خلاف ذلك كلّه، فلم يثبتوا العدل والحكمة في أفعاله تعالى! وجوّزوا عليه فعل القبيح والإخلال بالواجب، وأنه تعالى لا يفعل لغرض بل كلّ أفعاله لا لغرض من الأغراض، ولا لحكمة ألبتة، وأنه تعالى يفعل الظلم والعبث، وأنه لا يفعل ما هو الأصلح للعباد، بل ما هو الفساد في الحقيقة، لأن فعل المعاصي وأنواع الكفر والظلم وجميع أنواع الفساد الواقعة في العالم، مستندةٌ إليه! تعالى اللّٰه عن ذلك. وأن المطيع لا يستحق ثواباً والعاصي لا يستحق عقاباً، بل قد يعذب المطيع طول عمره المُبالغ في امتثال أوامره تعالى كالنبي صلّى اللّٰه عليه وآله! ويثيب العاصي طول عمره بأنواع المعاصي وأبلغها كإبليس وفرعون!

وأن الأنبياء عليهم السّلام غير معصومين! بل قد يقع منهم الخطأ والزلل والفسوق والكذب والسهو وغير ذلك!

وأن النبي صلّى اللّٰه عليه وآله لم ينص على إمام بينهم وأنه مات عن غير وصية، وأن الإمام بعد رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله أبو بكر بن أبي قحافة لمبايعة عمر بن الخطاب له برضا أربعة: أبي عبيدة وسالم مولى حذيفة وأسيد بن حضير وبشير بن سعد! ثم من بعده عمر بن الخطاب بنصّ أبي بكر عليه، ثم عثمان بن عفان بنصّ عمر على ستة هو أحدهم، فاختاره بعضهم، ثم علي بن أبي طالب لمبايعة الخلق له.

ثم اختلفوا فقال بعضهم: إن الإمام بعده ابنه الحسن، وبعضهم قال: إنه معاوية ابن أبي سفيان! ثم ساقوا الإمامة في بني أمية إلى أن ظهر السفاح من بني العباس فساقوا الإمامة إليه، ثم انتقلت الإمامة منه إلى أخيه المنصور، ثم ساقوا الإمامة في بني العباس إلى المعتصم، إلى أربعين!

الفصل الثاني: في أن مذهب الإمامية واجب الاتباع

لأنه لما عمَّت البليّة على كافّة المسلمين بموت النبي صلّى اللّه عليه وآله واختلف الناس بعده، تعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم!

فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق وبايعه أكثر الناس طلباً للدنيا، كما اختار عمر بن سعد مُلْكَ الريِّ أياماً يسيرة، لمّا خُيِّرَ بينه وبين قتل الحسين عليه السلام، مع علمه بأن في قتله النار! وأخبر بذلك في شعره حيث قال:

فواللّه ما أدري وإني لصادق ... أفكر في أمري على خطرينِ

أأترك ملك الري، والريُّ مُنيتي ... أم اصبحُ مأثوماً بقتل حسينِ

وفي قتله النار التي ليس دونها ... عذابٌ، ولي في الريِّ قُرَّةُ عَيْنِ

وبعضهم اشتبه الأمر عليه ورأى طالب الدنيا مبايعاً له، فقلّده وبايعه وقصّر في نظره، فخفي عليه الحق، واستحقّ المؤاخذة من اللّه تعالى بإعطاء الحق لغير مستحقه، بسبب إهمال النظر.

وبعضهم قلّد لقصور فطنته، ورأى الجمَّ الغفير فبايعهم، وتوهّم أن الكثرة تستلزم الصواب، وغفل عن قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾!

وبعضهم طلب الأمر لنفسه بحق، وتابعه الأقلّون الذين أعرضوا عن الدنيا وزينتها، ولم تأخذه في اللّه تعالى لومة لائم، بل أخلص للّه تعالى واتبع ما أمر به من

طاعة من يستحق التقديم.

وحيث حصلت للمسلمين هذه البليّة، وجب على كلّ واحد النظر في الحق واعتماد الإنصاف، وأن يقرّ الحق مقرّه ولا يظلم مستحقه، فقد قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

وإنما كان مذهب الإمامية واجب الإتباع لوجوه:

الأول

لمّا نظرنا في المذاهب وجدنا أحقّها وأصدقها وأخلصها عن شوائب الباطل، وأعظمها تنزيهاً لله تعالى ولرسله ولأوصيائه عليهم السّلام، وأحسنها في المسائل الأصولية والفروعية: مذهب الإمامية، لأنهم:

اعتقدوا أن الله تعالى هو المخصوص بالأزليّة والقدم، وأن كلّ ما سواه مُحْدَثٌ، لأنه واحد.

وأنه ليس بجسم ولا في مكان، وإلّا لكان محدثاً، بل نزّهوه عن مشابهة المخلوقات. وأنه تعالى قادر على جميع المقدورات، وأنه عدل حكيم لا يظلم أحداً ولا يفعل القبيح، وإلّا لزم الجهل والحاجة تعالى الله عنهما. ويثيب المطيع لئلا يكون ظالماً، ويعفو عن العاصي أو يعذّبه بجرمه من غير ظلم له.

وأن أفعاله محكمة واقعة لغرض ومصلحة، وإلّا لكان عابثاً، وقد قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾.

وأنه تعالى غير مرئي ولا مدرك بشيء من الحواس، لقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾. وأنه ليس في جهة، وأن أمره ونهيه وإخباره حادث، لاستحالة أمر المعدوم ونهيه وإخباره.

وأنه أرسل الأنبياء عليهم السّلام لإرشاد العالم.

وأن الأنبياء عليهم السّلام معصومون عن الخطأ والسهو والمعصية، صغيرها وكبيرها، من أوّل العمر إلى آخره، وإلّا لم يبق وثوق بما يبلغونه فانتفت فائدة البعثة، ولزم التنفير عنهم.

وأن الأئمة معصومون كالأنبياء عليهم السّلام في ذلك، لما تقدّم.

ولأن الشيعة أخذوا أحكامهم الفروعية عن الأئمة المعصومين عليهم السّلام الناقلين عن جدّهم رسول الله صلّى الله عليه وآله، الآخذ ذلك من الله تعالى بوحي جبرئيل عليه السلام إليه، يتناقلون ذلك عن الثقات خلفاً عن سلف، إلى أن تتصل الرواية بأحد المعصومين عليه السلام.

ولم يلتفتوا إلى القول بالرأي والاجتهاد، وحرّموا الأخذ بالقياس والإستحسان.

أمّا باقي المسلمين، فقد ذهبوا كلّ مذهب، فقال بعضهم وهم جماعة الأشاعرة: إن القدماء كثيرون مع الله تعالى، وهي المعاني التي يثبتونها موجودة في الخارج كالقدرة والعلم وغير ذلك، فجعلوه تعالى مفتقراً في كونه عالماً إلى ثبوت معنى هو العلم! وفي كونه قادراً إلى ثبوت معنى هو القدرة، وغير ذلك! ولم يجعلوه قادراً لذاته، ولا عالماً لذاته، ولا رحيماً لذاته، ولا مدركاً لذاته، بل لمعان قديمة يفتقر في هذه الصفات إليها، فجعلوه محتاجاً ناقصاً في ذاته كاملاً بغيره! تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

واعترض شيخهم فخر الدين الرازي عليهم بأن قال: إن النصارى كفروا لأنهم قالوا إن القدماء ثلاثة، والأشاعرة أثبتوا قدماء تسعة!

وقال جماعة الحشوية والمشبهة: إن الله تعالى جسمٌ له طولٌ وعرضٌ وعمقٌ! وإنه يجوز عليه المصافحة! وإن المخلصين من المسلمين يعانقونه في الدنيا!

وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوّز رؤيته في الدنيا، وأن يزورهم ويزورونه!

وحكيَ عن داود الظاهري أنه قال: أعفوني عن اللّحية والفرج واسألوني عما وراء ذلك! وقال إن معبوده جسمٌ ولحمٌ ودمٌ، وله جوارح وأعضاء وكبدٌ ورِجْلٌ ولسانٌ وعينيْن وأذنيْن!

وحكيَ أنه قال: هو مُجَوَّفٌ من أعلاه إلى صدره، مُصْمَتٌ ما سوى ذلك، وله شعر قطط!

حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه! وأنه يفضل من العرش عنه من كلّ جانب أربع أصابع!

وذهب بعضهم إلى أنه تعالى ينزل في كلّ ليلة جمعة على شكل أمرد حسن الوجه، راكباً على حمار، حتى أن بعضهم ببغداد وضع على سطح داره مَعْلَفاً يضع كلّ ليلة جمعة فيه شعيراً وتِبْناً! لتجويز أن ينزل اللّٰه تعالى على حماره على ذلك السطح فيشتغل الحمار بالأكل، ويشتغل الربّ بالنداء: هل من تائب، هل من مستغفر! تعالى اللّٰه عن مثل هذه العقائد الرديّة في حق اللّٰه تعالى.

وحكيَ عن بعض المنقطعين التاركين للدنيا من شيوخ الحشوية: أنه اجتاز عليه في بعض الأيام نَفّاطٌ ومعه أمردُ حسن الصورة قَطَطُ الشعر، على الصفات التي يصفون ربّهم بها، فألحّ الشيخ في النظر إليه وكرّره وأكثر تصويبه إليه! فتوهّم فيه النفّاط فجاء إليه ليلاً وقال: أيها الشيخ، رأيتك تُلِحُّ بالنظر إلى هذا الغلام وقد أتيت به إليك، فإن كان لك فيه نيةٌ فأنت الحاكم! فَحَرِدَ عليه وقال: إنما كرّرتُ النظر إليه، لأن مذهبي أن اللّٰه تعالى ينزل اللّٰه على صورة هذا الغلام، فتوهّمت أنه اللّٰه! فقال له النفّاط: ما أنا عليه من النفاطة أجود ممّا أنت عليه من الزهد مع هذه المقالة!

وقالت الكراميّة: إن اللّٰه تعالى في جهة فوق، ولم يعلموا أن كلّ ما هو في جهة فهو محدث، ومحتاج إلى تلك الجهة.

وذهب آخرون إلى أن اللّٰه تعالى لا يقدر على مثل مقدور العبد! وآخرون إلى أنه

لا يقدر على عين مقدور العبد!

وذهب الأكثر منهم إلى أن الله تعالى يفعل القبائح، وأن جميع أنواع المعاصي والكفر وأنواع الفساد واقعة بقضاء الله تعالى وقدره، وأن العبد لا تأثير له في ذلك! وأنه لا غرض لله تعالى في أفعاله ولا يفعل لمصلحة العباد شيئاً، وأنه تعالى يريد المعاصي من الكافر ولا يريد منه الطاعة!

وهذا يستلزم أشياء شنيعة:

منها: أن يكون الله تعالى أظلم من كلّ ظالم! لأنه يعاقب الكافر على كفره وهو قدّره عليه، ولم يخلق فيه قدرة على الايمان!

فكما أنه يلزم الظلم لو عذّبه على لونه وطوله وقصره، لأنه لا قدرة له فيها، كذا يكون ظالماً لو عذّبه على المعصية التي فعلها فيه.

ومنها: إفحام الأنبياء عليهم السّلام وانقطاع حجتهم، لأن النبي إذا قال للكافر: آمن بي وصدقني، يقول له: قل للذي بعثك يَخْلقْ فيَّ الايمان أو القدرة المؤثرة فيه حتى أتمكن من الايمان فأؤمن، وإلّا فكيف تكلّفني الايمان ولا قدرة لي عليه بل خلق فيَّ الكفر، وأنا لا أتمكّن من مقاهرة الله تعالى! فينقطع النبي عليه السلام ولا يتمكّن من جوابه!

ومنها: تجويز أن يعذّب الله تعالى سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله على طاعته ويثيب إبليس على معصيته، لأنه يفعل الأشياء لا لغرض! فيكون فاعل الطاعة سفيهاً لأنه يتعجل بالتعب والاجتهاد في العبادة وإخراج ماله في عمارة المساجد والرُّبُط والصدقات، من غير نفع يحصل له، لأنه قد يعاقبه على ذلك! ولو فعل عوض ذلك ما يلتذ به ويشتهيه من أنواع المعاصي قد يثيبه! فاختيار الأوّل يكون سفهاً عند كلّ عاقل!

والمصير إلى هذا المذهب يؤدّي إلى خراب العالم، واضطراب أمر الشريعة المحمديّة!

ومنها: أنه يلزم أن لا يتمكّن أحد من تصديق أحد من الأنبياء عليهم السّلام، لأن التوصّل إلى ذلك والدليل عليه إنما يتم بمقدمتين. إحداهما: أن اللّه تعالى فعل المعجز على يد النبي عليه السلام لأجل التصديق. والثانية: أن كلّ ما صدقه اللّه تعالى فهو صادق. وكلتا المقدمتين لا تتم على قولهم، لأنه إذا استحال أن يفعل لغرض، استحال أن يظهر المعجز لأجل التصديق، وإذا كان فاعلاً للقبيح ولأنواع الإضلال والمعاصي والكذب وغير ذلك، جاز أن يصدق الكذاب! فلا يصح الإستدلال على صدق أحد من الأنبياء عليهم السّلام، ولا التديّن بشيء من الشرائع والأديان.

ومنها: أنه لا يصح أن يوصف اللّه تعالى بأنه غفورٌ رحيمٌ حليمٌ عفوٌّ، لأن الوصف بهذه إنما يثبت لو كان اللّه تعالى مسقطاً للعقاب في حق الفساق، بحيث إذا أسقطه عنهم كان غفوراً عفوّاً رحيماً، وإنما يستحق العقاب لو كان العصيان من العبد، لا من اللّه تعالى.

ومنها: أنه يلزم منه تكليف ما لا يطاق، لأنه يكلف الكافر بالإيمان ولا قدرة له عليه وهو قبيح عقلاً! والسمع قد منع منه فقال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إلا وُسْعَهَا﴾.

ومنها: أنه يلزم منه أن تكون أفعالنا الإختيارية الواقعة بحسب قصودنا ودواعينا مثل حركتنا يَمْنَةً وَيَسْرَةً وحركة البطش باليد والرجل في الصنائع المطلوبة لنا، كالأفعال الاضطرارية مثل حركة النبض وحركة الواقع من شاهق بإيقاع غيره! لكن الضرورة قاضية بالفرق بينهما، وكلّ عاقل يحكم بأنا قادرون على الحركات الإختيارية، وغير قادرين على الحركة إلى السماء.

قال أبو الهذيل العلاف: حِمَارُ بِشْرٍ أعقلُ من بشر، لأن حمارَ بِشْرٍ لو أتيت به إلى جدول صغير وضربته للعبور فإنه يطفره، ولو أتيت به إلى جدول كبير لم يطفره، لأنه يُفرّق بين ما يقدر على طفره وما لا يقدر عليه، وبشرٌ لا يفرّق بين المقدور له وغير المقدور!

ومنها: أنه يلزم أن لا يبقى عندنا فرقٌ بين من أحسن إلينا غايةَ الإحسان طولَ عمره، وبين من أساء إلينا غايةَ الإساءة طولَ عمره، ولم يحسن منّا شكر الأوّل وذمّ الثاني، لأن الفعلين صادران من الله تعالى عندهم!

ومنها: التقسيم الذي ذكره مولانا وسيّدنا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وقد سأله أبو حنيفة وهو صبيّ فقال: المعصية ممّن؟ فقال الكاظم عليه السلام: المعصية إمّا من العبد أو من ربّه أو منهما، فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وإن كانت المعصية منهما فهو شريكه والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت المعصية من العبد وحده فعليه وقع الأمر وإليه توجّه المدح والذم وهو أحق بالثواب والعقاب، ووجبت له الجنة أو النار. فقال أبو حنيفة: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾.

ومنها: أنه يلزم أن يكون الكافر مطيعاً بكفره، لأنه قد فعل ما هو مراد الله تعالى، لأنه أراد منه الكفر وقد فعله! ولم يفعل الإيمان الذي كرهه الله تعالى منه، فيكون قد أطاعه لأنه فعل مراده ولم يفعل ما كرهه!

ومنها: أنه يلزم نسبة السّفه إلى الله تعالى، لأنه أمَر الكافر بالإيمان ولا يريده منه ونهاه عن المعصية وقد أرادها! وكلّ عاقل يَنْسب من يأمر بما لا يريد وينهى عمّا يريد إلى السّفه! تعالى الله عن ذلك.

ومنها: أنه يلزم عدم الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، لأن الرّضا بالكفر حرامٌ بالإجماع، والرضا بقضاء الله تعالى وقدره واجب، فلو كان الكفر بقضاء الله تعالى وقدره وجب علينا الرّضا به، لكن لا يجوز الرّضا بالكفر.

ومنها: أنه يلزم أن نستعيذ بإبليس من الله تعالى، ولا يحسن قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، لأنهم نزّهوا إبليس والكافر عن المعاصي وأضافوها إلى الله تعالى، فيكون على المكلّفين شرّاً من إبليس عليهم، تعالى الله عن ذلك!

ومنها: أنه لا يبقى وثوق بوعد الله تعالى ووعيده! لأنهم إذا جوّزوا استناد الكذب في العالم إليه، جاز أن يكذب في إخباراته كلّها! فتنتفي فائدة بعثة الأنبياء عليهم السّلام، بل وجاز منه إرسال الكذّابين! فلا يبقى لنا طريق إلى تميّز الصادق من الأنبياء عليهم السّلام والكاذب!

ومنها: أنه يلزم منه تعطيل الحدود والزواجر عن المعاصي! فإن الزنا إذا كان واقعاً بإرادة الله تعالى، والسّرقة إذا صدرت من الله تعالى، وإرادته هي المؤثّرة، لم يجز للسّلطان المؤاخذة عليها، لأنه يصدّ السارق عن مراد الله تعالى ويبعثه على ما يكرهه الله تعالى! ولو صدّ الواحد منا غيره عن مراده وحمله على ما يكرهه، استحق منه اللّوم! ويلزم أن يكون الله مريداً للنقيضين، لأن المعصية مرادةٌ للّه تعالى والزجر عنها مرادٌ له أيضاً!

ومنها: أنه يلزم منه مخالفة المعقول والمنقول:

أمّا المعقول فلما تقدم من العلم الضروري باستناد أفعالنا الإختيارية إلينا ووقوعها بحسب إرادتنا، فإذا أردنا الحركة يَمْنَةً لم يقع يَسْرَةً، وبالعكس، والشك في ذلك عين السفسطة!

وأمّا المنقول، فالقرآن مملوءٌ من إسناد أفعال البشر إليهم، كقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾. ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾. ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾. ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾. ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾. ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾. ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾. ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾. وأيُّ ظلم أعظم من تعذيب الغير على فعل لم يصدر منه، بل ممّن يعذّبه؟

قال الخصم: القادر يمتنع أن يُرجّح مقدوره من غير مُرجح، ومع المرجّح يجب الفعل، فلا قدرة! ولأنه يلزم أن يكون الإنسان شريكاً لله تعالى، ولقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

والجواب

عن الأول: المعارضة بالله تعالى فإنه تعالى قادر، فإن افتقرت القدرة إلى المرجح وكان المرجح موجباً للأثر، لزم أن يكون الله تعالى موجباً لا مختاراً، فيلزم الكفر!

وعن الثاني: أي شركة هنا والله تعالى هو القادر على قهر العبد وإعدامه؟! ومثال هذا: أن السلطان إذا ولّى شخصاً بعض البلاد فنهب وظلم وقهر، فإن السّلطان يتمكن من قتله والإنتقام منه واستعادة ما أخذه ولا يكون شريكاً للسّلطان.

وعن الثالث: أنه إشارة إلى الأصنام التي كانوا ينحتونها ويعبدونها، فأنكر عليهم وقال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾!

وذهبت الأشاعرة إلى أن الله تعالى مرئيٌّ بالعين، مع أنه مجرّد عن الجهات، وقد قال تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، وخالفوا الضرورة في أن المدرَك بالعين يكون مقابلاً أو في حُكمه، وخالفوا جميع العقلاء في ذلك. وذهبوا إلى تجويز أن يكون بين أيدينا جبال شاهقة من الأرض إلى السماء مختلفة الألوان لا نشاهدها، وأصوات هائلة لا نسمعها، وعساكر مختلفة متحاربة بأنواع الأسلحة بحيث تُماسُّ أجسامنا أجسامهم لا نشاهد صورهم ولا حركاتهم ولا نسمع أصواتهم الهائلة، وأن نشاهد جسماً أصغر الأجسام كالذرة في المشرق ونحن في المغرب، مع كثرة الحائل بيننا وبينها، وهذا عين السفسطة!

وذهبوا إلى أنه تعالى آمرٌ وناهٍ في الأزل ولا مخلوق عنده، قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

اتَّقِ اللَّهَ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾. ولو جلس شخص في منزله ولا غلام عنده فقال: يا سالم قم، يا غانم كل، يا نجاح أدخل، قيل: لمن تنادي؟ فيقول: لعبيد أشتريهم بعد عشرين سنة. نَسَبَهُ كلّ عاقل إلى السّفه والحمق! فكيف يحسن منهم أن ينسبوا الله تعالى إليه في الأزل.

وذهب جميع من عدا الإماميّة والإسماعيليّة إلى أن الأنبياء والأئمة عليهم السّلام غير معصومين، فجوّزوا بعثةَ من يَجُوزُ عليه الكذب والسّهو والخطأ والسرقة! فأيّ وثوق يبقى للعامّة في أقاويلهم، وكيف يحصل الإنقياد إليهم، وكيف يجب اتّباعهم، مع تجويز أن يكون ما يأمرون به خطأ؟

ولم يجعلوا الأئمة محصورين في عدد معين، بل كلّ من تابع قرشيّاً انعقدت إمامته عندهم ووجبت طاعته على جميع الخلق! إذا كان مستور الحال، وإن كان على غاية من الفسوق والكفر والنفاق!

وذهب الجميع منهم إلى القول بالقياس والأخذ بالرأي، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه! وحرّفوا أحكام الشريعة، وأحدثوا مذاهب أربعة لم تكن في زمن النبي صلّى الله عليه وآله، ولا في زمن صحابته! وأهملوا أقاويل الصحابة. مع أنهم نصّوا على ترك القياس وقالوا: أول من قاس إبليس! وذهبوا بسبب ذلك إلى أمور شنيعة:

كإباحة البنت المخلوقة من الزنا، وسقوط الحدّ عمّن نكح أمّه وأخته وبنته، مع علمه بالتحريم والنسب بواسطة عقد يعقده وهو يعلم بطلانه، وعمّن لفّ على ذكره خرقة وزنا بأمّه أو بنته! وعن اللائط مع أنه أفحش من الزنا وأقبح!

وإلحاق نسب المشرقيّة بالمغربي، فإذا زوّج الرجل ابنته وهو في المشرق برجل هو وإيّاه في المغرب، ولم يفترقا ليلاً ونهاراً حتى مضت مدة ستة أشهر، فولدت البنت في المشرق، التحق نسب الولد بالرجل، وهو وأبوها في المغرب، مع أنه لا يمكنه الوصول إليها إلّا بعد سنين متعددة! بل لو حبسه السّلطان من حين العقد وقيّده وجعل

عليه حَفَظَةُ مدةَ خمسين سنة، ثم وصل إلى بلد المرأة، فرأى جماعة كثيرة من أولادها وأولاد أولادهم إلى عدّة بطون، التحقوا كلّهم بالرجل الذي لم يقرب هذه المرأة ولا غيرها البتة!

وإباحة النبيذ مع مشاركته للخمر في الإسكار! والوضوء والصّلاة في جلد الكلب، وعلى العذرة اليابسة!

وحكى بعض الفقهاء لبعض الملوك وعنده بعض فقهاء الحنفيّة صفة صلاة الحنفي، فدخل داراً مغصوبة وتوضأ بالنبيذ وكبّرَ بالفارسية من غير نية، وقرأ: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ لا غير، بالفارسية، ثم طأطأ رأسه من غير طمأنينة وسجد كذلك ورفع رأسه بقدر حدّ السيف، ثم سجد، وقام ففعل كذلك ثانية، ثم أحدث! فتبرّأ الملك وكان حنفياً من هذا المذهب!

وأباحوا المغصوب لو غيّرَ الغاصب الصفة فقالوا: لو أن سارقاً دخل بدار شخص له فيه دوابٌ ورحىً وطعام، فطحن السارق طعام صاحب الدار بدوابّه وأرحيته ملك الطّحين بذلك! فلو جاء المالك ونازعه، كان المالك ظالماً والسارق مظلوماً! فلو تقاتلا فإن قُتل المالك كان ظالماً وإن قُتل السارق كان شهيداً!

وأوجبوا الحدّ على الزاني إذا كذّب الشهود وأسقطوه إذا صدّقهم فأسقطوا الحدّ مع اجتماع الإقرار والبيّنة! وهذا ذريعةٌ إلى إسقاط حدود الله تعالى، فإن كلّ من شهد عليه بالزنا يُصَدِّق الشهود ويُسقط عنه الحدّ.

وأباحوا الكلب، وأباحوا الملاهي كالشطرنج والغناء.

وغير ذلك من المسائل التي لا يحتملها هذا المختصر.

الوجه الثاني
في الدلالة على وجوب اتّباع مذهب الإمامية

ما قاله شيخنا الإمام الأعظم خواجة نصير الملّة والحق والدين، محمد بن الحسن الطوسي قدّس الله روحه، وقد سألته عن المذاهب فقال:

بحثنا عنها وعن قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقي في النار».

وقد عيّن صلّى الله عليه وآله الفرقة النّاجية والهالكة في حديث آخر صحيح متّفق عليه، وهو بقوله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق».

فوجدنا الفرقة الناجية الإمامية، لأنّهم باينوا جميع المذاهب، وجميع المذاهب قد اشتركت في أصول العقائد.

الوجه الثالث

إن الإماميّة جازمون بحصول النجاة لهم ولأئمتهم، قاطعون على ذلك، وبحصول ضدّها لغيرهم، وأهل السنّة لا يجزمون بذلك لا لهم ولا لغيرهم، فيكون اتّباع أولئك أولى.

لأنا لو فرضنا ـ مثلاً ـ خروج شخصين من بغداد يريدان الكوفة، فوجدا طريقين سلك كلّ منهما طريقاً، فخرج ثالث يطلب الكوفة، فسأل أحدهما: إلى أين يريد؟ فقال: إلى الكوفة فقال له: هذا طريقك يوصلك إليها؟ وهل طريقك آمن أم مخوف؟ وهل طريق صاحبك يؤديه إلى الكوفة؟ وهل هو آمن أم مخوف؟ فقال: لا أعلم شيئاً من ذلك. ثم سأل صاحبه عن ذلك فقال: أعلم أن طريقي يوصلني إلى الكوفة، وأنه آمن،

وأعلم أن طريق صاحبي لا يؤدّيه إلى الكوفة وليس بآمن.

فإن الثالث إن تابع الأوّل عدّه العقلاء سفيهاً، وإن تابع الثاني نسب إلى الأخذ بالحزم.

الوجه الرابع

إن الإماميّة أخذوا مذهبهم عن الأئمة المعصومين عليهم السّلام، المشهورين بالفضل والعلم والزهد والورع، والإشتغال في كلّ وقت بالعبادة والدعاء وتلاوة القرآن، والمداومة على ذلك من زمن الطفولة إلى آخر العمر، ومنهم تعلّم الناس العلوم ونزل في حقهم: هَلْ أتَى، وآيةُ الطهارة، وإيجاب المودة لهم، وآية الابتهال، وغير ذلك. وكان علي عليه السلام يصلّي في كلّ يوم وليلة ألف ركعة ويتلو القرآن، مع شدّة ابتلائه بالحروب والجهاد:

فأوّلهم علي بن أبي طالب عليه السلام، كان أفضل الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وجعله الله تعالى نفس رسول الله حيث قال: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾. وآخاه الرسول صلّى الله عليه وآله، وزوّجه ابنته وفضْلُهُ لا يخفى. وظهرت عنه معجزاتٌ كثيرة حتى ادّعى قوم فيه الربوبيّة وقتلهم، وصار إلى مقالتهم آخرون إلى هذه الغاية، كالنصيرية والغلاة.

وكان ولداه سبطا رسول الله صلّى الله عليه وآله سيّدا شباب أهل الجنة، إمامَيْن بنصّ النبي صلّى الله عليه وآله، وكانا أزهد الناس وأعلمهم في زمانهم، وجاهدا في سبيل الله حتى قتلا، ولبس الحسن عليه السلام الصوف تحت ثيابه الفاخرة، من غير أن يشعر أحداً بذلك.

وأخذ النبي صلّى الله عليه وآله يوماً الحسين عليه السلام على فخذه الأيمن، وولده إبراهيم على فخذه الأيسر، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال: إن الله لم يكن

ليجمع لك بينهما فاختر من شئت منهما، فقال: إذا مات الحسين بكيت عليه أنا وعلي وفاطمة، وإذا مات إبراهيم بكيت أنا عليه، فاختار موت إبراهيم فمات بعد ثلاثة أيام، فكان إذا جاء الحسين بعد ذلك يقبّله ويقول: أهلاً ومرحباً بمن فديته بابني إبراهيم!

وكان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يصوم نهاره ويقوم ليله ويتلو الكتاب العزيز، ويصلّي كلّ يوم وليلة ألف ركعة، ويدعو بعد كلّ ركعتين بالأدعية المنقولة عنه وعن آبائه عليهم السّلام، ثم يرمي الصحيفة كالمتضجّر ويقول: أنّى لي بعبادة علي عليه السلام! وكان يبكي كثيراً حتى أخذت الدموع من لحم خدّيه، وسجد حتى سمي ذا الثفنات، وسمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله سيّد العابدين.

وكان قد حج هشام بن عبد الملك، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه من الزحام، فجاء زين العابدين عليه السلام فوقف الناس له وتنحّوا عن الحجر حتى استلمه ولم يبق عند الحجر سواه، فقال هشام: من هذا؟ فقال الفرزدق الشاعر:

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتَه ... والبيتُ يعرفه والحلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خير عبادِ الله كلِّهمُ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ
يكادُ يُمسكهُ عرفانَ راحته ... ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمّتَهم ... أو قيل: من خيرُ خلق الله؟ قيل: هم
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنت جاهلَهُ ... بجدِّهِ أنبياءُ الله قد ختموا
يُغضي حياء ويُغضَى من مهابته ... فما يُكلَّمُ إلا حينَ يبتسم
ينشقُّ نور الهدى عن صبح غُرّته ... كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظلَمُ
مشتقةٌ من رسول الله نَبعَتُهُ ... طابت عناصرُهُ والخِيمُ والشِّيَمُ
اللهُ شرّفه قدماً وفضّله ... جرى بذاك له في لوْحِهِ القلم
من معشر حُبُّهمْ دينٌ وبُغضُهُمْ ... كفرٌ وقربهمُ ملجىً ومعتصم

لا يستطيع جوادٌ بُعْدَ غايتهم ... ولا يدانيهم قومٌ وإن كرُموا
هم الغيوثُ إذا ما أزْمَةٌ أزَمَت ... والأسْدُ أسْدُ الشرى والرأيُ محتدم
لا يَنقص العُسْرُ بسطاً من أكفِّهمُ ... سيّانَ ذلك إن أثروْا وإن عُدموا
ما قال لا قطُّ إلا في تشهّده ... لولا التشهّدُ كانت لاؤه نَعَمُ
يُستدفعُ السّوء والبلوى بحبّهمُ ... ويسترقُّ به الإحسان والنعم
مقدّمٌ بعد ذكر الله ذكرُهمُ ... في كلّ برٍّ ومختومٌ به الكلم
من يعرفُ اللّه يعرفْ أوّليّة ذا ... الدّينُ من بيت هذا ناله الأمم
وليس قولك: من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجمُ

فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بين مكة والمدينة.

فبعث إليه الإمام زين العابدين عليه السلام بألف دينار فردّها وقال: إنما قلت هذا غضباً لله ولرسوله، فما آخذ عليه أجراً فقال علي بن الحسين عليه السلام: نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما خرج منا، فقبلها الفرزدق.

وكان بالمدينة قوم يأتيهم رزقهم ليلاً ولا يعرفون ممن هو، فلمّا مات مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام انقطع ذلك عنهم، وعرفوا به أنه كان منه عليه السّلام.

وكان ابنه محمد الباقر عليه السلام أعظم الناس زهداً وعبادة، بقر السجود جبهته، وكان أعلم أهل وقته، وسمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله الباقر: جاء جابر بن عبد الله الأنصاري إليه وهو صغير في الكتّاب فقال له: جدّك رسول الله صلّى الله عليه وآله يُسلّم عليك فقال: وعلى جدّي السّلام، فقيل لجابر: كيف هذا؟ قال: كنت جالساً عند رسول الله صلّى الله عليه وآله والحسين في حجره وهو يلاعبه فقال: يا جابر! يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيد العابدين فيقوم وَلَدُهُ، ثم يولد له مولود اسمه محمد الباقر، إنه يبقر العلم بقراً، فإذا أدركته فاقرئه مني السلام.

روى عنه أبو حنيفة وغيره.

وكان ابنه الصادق عليه السلام أفضل أهل زمانه وأعبدهم، قال علماء السيرة: إنه انشغل بالعبادة عن طلب الرياسة. قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد، علمت أنه من سلالة النبيين.

وهو الذي انتشر منه فقه الإماميّة والمعارف الحقيقيّة والعقائد اليقينيّة.

وكان لا يخبر بأمر إلا وقع، وبه سمّوه الصادق الأمين.

وكان عبد الله بن الحسن جمع أكابر العلويين للبيعة لولده، فقال له الصّادق عليه السلام: إن هذا الأمر لايتم! فاغتاظ من ذلك، فقال الصّادق عليه السلام: إنه لصاحب القباء الأصفر، وأشار بذلك إلى المنصور، فلما سمع المنصور بذلك فرح لعلمه بوقوع ما يخبر به، وعلم أن الأمر يصل إليه. ولما هرب كان يقول: أين قول صادقهم؟ وبعد ذلك انتهى الأمر إليه.

وكان ابنه موسى الكاظم عليه السلام يدعى بالعبد الصالح، كان أعبد أهل وقته يقوم الليل ويصوم النهار. سمّي الكاظم لأنه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال، ونقل فضله المخالف والمؤالف.

قال ابن الجوزي من الحنابلة: عن شقيق البلخي قال: خرجت حاجّاً في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية، فإذا شابٌّ حسن الوجه شديد السمرة، عليه ثوب صوف مشتمل بشملة، في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً عن الناس، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفيّة يريد أن يكون كلّاً على الناس، والله لأمضيّن إليه وأوبخنّه! فدنوت منه فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيق ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فقلت في نفسي: هذا عبد صالح قد نطق على ما في خاطري، لألحقنه ولأسألنّه أن يحلّلني، فغاب عن عيني، فلما نزلنا واقصة إذا به يصلّي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تتحادر، فقلت: أمضي إليه وأعتذر، فأوجز في صلاته ثم قال: يا شقيق: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾، فقلت: هذا من الأبدال، قد تكلّم على

سرّي مرّتين! فلما نزلنا زُبَالة إذا به قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي ماء، فسقطت الركوة في البئر، فرفع طرفه إلى السماء وقال:

أنت ربي إذا ظمئتُ إلى الماء وقوّتي إذا أردت الطعاما

يا سيدي ما لي سواها! قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها، فأخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلّى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل هناك، فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويشرب. فقلت: أطعمني من فضل ما رزقك الله وأنعم الله عليك! فقال: يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنّك بربّك. ثم ناولني الركوة، فشربت منها فإذا سويق وسكر، ما شربت والله ألذّ منه وأطيب ريحاً، فشبعت ورويت، وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً! ثم لم أرهُ حتى دخل مكة، فرأيته ليلة إلى جانب قبة الشراب نصف الليل يصلّي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل.

فلمّا طلع الفجر جلس في مصلاه يسبّح ثم قام إلى صلاة الفجر وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج، فتبعته فإذا له حاشية وأموال وغلمان وهو على خلاف ما رأيته في الطريق، ودار به الناس يسلّمون عليه ويتبرّكون به! فقلت لبعضهم: من هذا؟ فقال: موسى بن جعفر! فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيّد! رواه الحنبلي.

وعلى يده عليه السلام تاب بشر الحافي، لأنه اجتاز على داره ببغداد فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية وبيدها قمامة البقل فرمت بها في الدّرب: فقال لها: يا جارية! صاحب هذه الدار حرٌّ أم عبد؟ فقالت: بل حرٌّ، فقال: صدقت لو كان عبداً خاف من مولاه! فلمّا دخلت قال مولاها وهو على مائدة السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدّثني رجل بكذا وكذا، فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده.

وكان ولده علي الرضا عليه السلام أزهد أهل زمانه وأعلمهم، وأخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً، وتولّاه المأمون لعلمه بما هو عليه من الكمال والفضل.

ووعظ يوماً أخاه زيداً فقال له: يا زيد ما أنت قائل لرسول الله صلّى الله عليه وآله إذا سفكت الدماء، وأخفت السبيل وأخذت المال من غير حلّه، غرّك حُمَقاءُ أهل الكوفة! وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريّتها على النار، والله ما نالوا ذلك إلّا بطاعة الله، فإن أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعته، إنك إذاً لأكرم على الله منهم!

وضرب المأمون اسمه على الدراهم والدنانير، وكتب إلى الآفاق ببيعته، وطرح السّواد ولبس الخضرة.

وقيل لأبي نؤاس لم لا تمدح الرضا عليه السلام؟ فقال:

قيل لي أنت أفضلُ الناس طرّاً   في المعاني وفي الكلام البديهِ
لك من جوهر الكلام بديعٌ   يُثمر الدر في يدي مجتنيه
فلما ذا تركت مدح ابن موسى   والخصال التي تجمّعن فيه
قلت لا أستطيع مدح إمامٍ   كان جبريل خادماً لأبيه

وكان ولده محمد الجواد عليه السلام على منهاج أبيه في العلم والتقوى والجود، ولما مات أبوه الرضا عليه السلام شغف به المأمون لكثرة علمه ودينه ووفور عقله مع صغر سنّه، فأراد أن يزوّجه ابنته أم الفضل وكان قد زوّج أباه الرضا عليه السلام بابنته أم حبيب، فغلظ ذلك على العباسيين واستكبروه، وخافوا أن يخرج الأمر منهم، وأن يتابعه كما تابع أباه، فاجتمع الأدنوْن منه وسألوه ترك ذلك وقالوا إنه صغير لا علم عنده، فقال: أنا أعرف به فإن شئتم فامتحنوه، فرضوا بذلك وجعلوا ليحيى بن أكثم مالاً كثيراً على امتحانه في مسألة يعجزه فيها، فتواعدوا إلى يوم.

فأحضره المأمون وحضر القاضي وجماعة العباسيين فقال القاضي: أسألك عن

شيء؟ فقال له عليه السلام: سل. فقال: ما تقول في محرم قتل صيداً؟ فقال له الإمام عليه السلام: أقتله في حل أو حرم؟ عالماً كان أو جاهلاً؟ مبتدئاً بقتله أو عائداً؟ من صغار الصيد كان أو من كبارها؟ عبداً كان المحرم أو حراً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ من ذوات الطير كان الصيد أو من غيرها؟! فتحيَّر يحيى بن أكثم وبان العجز في وجهه، حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره! فقال المأمون لأهل بيته: عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟!

ثم أقبل على الإمام عليه السلام فقال: أتخطب؟ فقال نعم. فقال أخطب لنفسك خطبة النكاح، فخطب وعقد على خمسمائة درهم جياداً مهر جدّته فاطمة عليها السلام، ثم تزوّج بها.

وكان ولده علي الهادي عليه السلام ويقال له: العسكري، لأن المتوكّل أشخصه من المدينة إلى بغداد، ثم منها إلى سر من رأى فأقام بموضع عندها يقال له العسكر، ثم انتقل إلى سر من رأى فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر.

وإنما أشخصه المتوكّل لأنه كان يبغض علياً عليه السلام فبلغه مقام علي بالمدينة وميل الناس إليه فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمة فأمره بإشخاصه فضج أهل المدينة لذلك خوفاً عليه، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للعبادة في المسجد، فحلف لهم يحيى أنه لا مكروه عليه، ثم فتّش منزله فلم يجد فيه سوى مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عينه وتولّى خدمته بنفسه. فلما قدم بغداد بدأ بإسحاق ابن إبراهيم الطاهري والي بغداد فقال له: يا يحيى هذا الرجل قد ولده رسول الله صلّى الله عليه وآله والمتوكّل من تعلم فإن حرّضته عليه قتله وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله خصمك! فقال له يحيى: والله ما وقعت منه إلّا على خير. قال: فلمّا دخلت على المتوكّل أخبرته بحسن سيرته وزهده وورعه فأكرمه المتوكّل.

ثم مرض المتوكّل فنذر إن عوفي تصدّق بدراهم كثيرة، فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جواباً، فبعث إلى علي الهادي عليه السلام يسأله فقال: تصدق بثلاثة

وثمانين درهماً، فسأله المتوكّل عن السبب فقال: لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾، وكانت المواطن هذه الجملة، فإن النبي صلّى اللّه عليه وآله غزا سبعاً وعشرين غزاة وبعث ستاً وخمسين سرية.

قال المسعودي: نميَ إلى المتوكّل بعلي بن محمد أن في منزله سلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنه عازم على الملك، فبعث إليه جماعة من الأتراك فهجموا على داره ليلاً فلم يجدوا شيئاً، ووجدوه في بيت مغلق عليه وهو يقرأ وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصباء، متوجّه إلى اللّه تعالى يتلو القرآن، فحمل على حالته تلك إلى المتوكّل، فأدخل عليه وهو في مجلس الشراب والكأس في يد المتوكّل فأعظمه وأجلسه إلى جانبه وناوله الكأس، فقال: واللّه ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني فأعفاه، وقال له: أسمعني صوتاً فقال عليه السلام: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ..﴾ الآيات.. فقال: أنشدني شعراً فقال: إني قليل الرواية للشعر. فقال: لا بدّ من ذلك، فأنشده:

باتوا على قُلل الأجبال تحرسُهم ... غُلْبُ الرجال فما أغنتهم القلل

واستُنزلوا بعد عزّ من معاقلهم ... وأسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخٌ من بعد دفنهم ... أين الأساورُ والتيجانُ والحُلل

أين الوجوهُ التي كانت منعّمةً ... من دونها تُضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين سائلهُ ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكّل حتى بلّت دموعه لحيته.

وكان ولده الحسن العسكري عليه السلام عالماً فاضلاً زاهداً، أفضل أهل زمانه، روت عنه العامة كثيراً.

وولده مولانا الإمام المهدي محمد عليه السلام روى ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عمر: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي

اسمه كاسمي وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً فذلك هو المهدي».

فهؤلاء الأئمة المعصومون الذين بلغوا الغاية في الكمال، ولم يتخذوا ما اتّخذ غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك وأنواع المعاصي والملاهي وشرب الخمور والفجور حتى بأقاربهم! على ما هو المتواتر من الناس!

قالت الإمامية: فالله يحكم بيننا وبين هؤلاء وهو خير الحاكمين، وما أحسن قول بعض الناس:

إذا شئتَ أن ترضى لنفسك مذهباً	وتعلمَ صدقَ الناس في نقل أخبارِ
فدعْ عنك قولَ الشافعيِّ ومالكٍ	وأحمدَ والمرويِّ عن كعب أحبار
وَوَالِ أناساً قولهم وحديثهمْ	روى جَدُّنا عن جبرئيلَ عن الباري

وما أظن أحداً من المحصّلين وقف على هذه المذاهب، فاختار غير مذهب الإمامية باطناً، وإن كان في الظاهر يصير إلى غيره طلباً للدنيا، حيث وضعت لهم المدارس والربط والأوقاف حتى تستمر لبني العباس الدعوة، ويشيدوا للعامة اعتقاد إمامتهم!

وكثيراً ما رأينا من يدين في الباطن بمذهب الإمامية ويمنعه عن إظهاره حبّ الدنيا وطلب الرياسة.

وقد رأيت بعض أئمة الحنابلة يقول: إني على مذهب الإمامية، فقلت له: لم تُدَرِّسْ على مذهب الحنابلة؟ فقال: ليس في مذهبكم البغلات والمشاهرات!

وكان أكبر مدرسي الشافعية في زماننا، حيث توفي أوصى بأن يتولّى أمره في غسله وتجهيزه بعض المؤمنين، وأن يدفن في مشهد الكاظم عليه السلام، وأشهد عليه أنه على دين الإمامية!

الوجه الخامس

إن الإمامية لم يذهبوا إلى التعصّب في غير الحق، فقد ذكر الغزالي والمتولي وكانا إمامين للشافعية: أن تسطيح القبور هي المشروع، لكن لمّا جعلته الرافضة شعاراً لهم عدلنا عنه إلى التسنيم!

وذكر الزمخشري ـ وكان من أئمة الحنفية ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾، أنه يجوز بمقتضى هذه الآية أن يصلّى على آحاد المسلمين، لكن لمّا اتخذت الرافضة ذلك في أئمتهم منعناه!

وقال مصنف الهداية من الحنفية: المشروع التختم في اليمين، لكن لمّا اتخذته الرافضة عادةً جعلنا التختم في اليسار! وأمثال ذلك كثيرا فانظر إلى من يغيّر الشريعة ويبدّل الأحكام التي ورد بها حديث النبي صلّى الله عليه وآله، ويذهب إلى ضدّ الصّواب معاندةً لقوم معيّنين، هل يجوز اتّباعه والمصير إلى أقواله؟

مع أنهم ابتدعوا أشياء اعترفوا بأنها بدعة وأن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة فإن مصيرها إلى النار». وقال صلّى الله عليه وآله: «من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو ردّ عليه». ولو رُدُّوا عنها كرهته نفوسهم ونفرت قلوبهم:

كذكر الخلفاء في خطبتهم، مع أنه بالإجماع لم يكن في زمن النبي صلّى الله عليه وآله ولا في زمن أحد من الصحابة والتابعين، ولا في زمن بني أمية ولا في صدر ولاية العباسيين! بل هو شيء أحدثه المنصور لما وقع بينه وبين العلوية فقال: والله لأرغمنّ أنفي وأنوفهم وأرفع عليهم بني تيم وعدي! وذكَرَ الصحابة في خطبته. واستمرت هذه البدعة إلى هذا الزمان!

وكمسح الرجلين الذي نصّ عليه الله تعالى في كتابه العزيز، فقال: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، قال

ابن عباس: عضوان مغسولان وعضوان ممسوحان. فغيّروه وأوجبوا الغسل!

وكالمتعتين اللّتين ورد بهما القرآن، فقال في متعة الحج: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾. وتأسّف النبي صلّى الله عليه وآله على فواتها لمّا حج قارناً وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي». وقال في متعة النساء: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾. واستمرّ فعلها مدةَ زمان النبي صلّى الله عليه وآله، ومدة خلافة أبي بكر وبعض خلافة عمر، إلى أن صعد المنبر وقال: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما!

ومنع أبو بكر فاطمة عليها السلام إرثها فقالت له: «يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي»! والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها وكان هو الغريم لها، لأن الصدقة تحلّ له: أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، على ما رووه عنه! والقرآن يخالف ذلك لأن الله تعالى قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾، ولم يجعل الله تعالى ذلك خاصاً بالأمة دونه صلّى الله عليه وآله. وكذّب روايتهم فقال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقال تعالى عن زكريا: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾.

ولما ذكرت فاطمة عليها السلام أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وهبها فدكاً قال لها: هات أسود أو أحمر يشهد لك بذلك! فجاءت بأم أيمن فشهدت لها بذلك فقال: امرأة لا يقبل قولها! وقد رووا جميعاً أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «أم أيمن امرأة من أهل الجنة». فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فشهد لها فقال: هذا بعلك يجرّه إلى نفسه ولا نحكم بشهادته لك! وقد رووا جميعاً أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»! فغضبت فاطمة عليها السلام عند ذلك وانصرفت وحلفت أن لا تكلّمه ولا صاحبه حتى تلقى أباها وتشكو إليه.

فلما حضرتها الوفاة أوصت علياً أن يدفنها ليلاً، ولا يدع أحداً منهم يصلّي عليها، وقد رووا جميعاً أن النبي صلّى اللّه عليه وآله قال: «يا فاطمة إن اللّه يغضب لغضبك ويرضى لرضاك». ورووا جميعاً أنه صلّى اللّه عليه وآله قال: «فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى اللّه»!

ولو كان هذا الخبر حقاً لما جاز له ترك البغلة التي خلّفها النبي صلّى اللّه عليه وآله، وسيفه وعمامته عند أمير المؤمنين عليه السلام، ولما حكم بها له لما ادّعاها العباس! ولكان أهل البيت الذين طهّرهم اللّه تعالى في كتابه عن الرجس عليهم السّلام مرتكبين ما لا يجوز، لأن الصدقة عليهم محرمة.

وبعد ذلك، جاء إليه مال البحرين وعنده جابر بن عبد اللّه الأنصاري فقال له: إن النبي صلّى اللّه عليه وآله قال لي: إذا أتى مال البحرين حثوت لك ثم حثوت لك ثلاثاً، فقال له: تقدم فخذ بعدّتها، فأخذ من مال بيت المسلمين من غير بيّنة، بل لمجرّد الدّعوى.

وقد روت الجماعة كلّهم أن النبي قال في حق أبي ذر: «ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»، ولم يسمّوه صدّيقاً وسمّوا أبابكر بذلك، مع أنه لم يرو مثل ذلك في حقه!

وسمّوه خليفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله مع أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله لم يستخلفه في حياته، ولا بعد وفاته عندهم! ولم يُسمّوا أمير المؤمنين عليه السلام خليفة رسول اللّه مع أنه استخلفه في عدة مواطن، منها أنه استخلفه على المدينة في غزاة تبوك وقال له: «إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

وأمّر أسامة على الجيش الذين فيهم أبو بكر وعمر ومات ولم يعزله، ولم يسمّوه خليفة! ولما تولّى أبو بكر غضب أسامة وقال: إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أمّرني

عليك فمن استخلفك عليّ؟ فمشى إليه هو وعمر حتى استرضياه، وكانا يسمّيانه مدّة حياتهما أميراً.

وسمّوا عمر الفاروق ولم يسمّوا علياً عليه السلام بذلك، مع أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال فيه: «هذا فاروق أمتي يفرق بين الحق والباطل». وقال ابن عمر: «ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله إلّا ببغضهم عليّاً».

وعظّموا أمر عائشة على باقي نسوانه، مع أنه صلّى الله عليه وآله كان يكثر من ذكر خديجة بنت خويلد وقالت له عائشة: إنك تكثر من ذكرها وقد أبدلك الله خيراً منها! فقال لها: «والله ما بُدّلتُ بها من هو خير منها: صدقتني إذ كذّبني الناس، وآوتني إذ طردني الناس، وأسعدتني بمالها، ورزقني الله الولد منها ولم أرزق من غيرها!»

وأذاعت سرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال لها النبي صلّى الله عليه وآله: «إنك تقاتلين علياً وأنت ظالمة».

ثم إنها خالفت أمر الله تعالى في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وخرجت في ملأ من الناس تقاتل علياً عليه السلام على غير ذنب، لأن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان وكانت هي كلّ وقت تأمر بقتله وتقول: أقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً، فلمّا بلغها قتله فرحت بذلك ثم سألت: من تولّى الخلافة؟ فقالوا: علي عليه السلام فخرجت لقتاله على دم عثمان! فأيّ ذنب كان لعلي عليه السلام على ذلك؟!

وكيف استجاز طلحة والزبير مطاوعتها على ذلك؟ وبأيّ وجه يلقون رسول الله صلّى الله عليه وآله مع أن الواحد منّا لو تحدّث مع امرأة غيره وأخرجها من منزله وسافر بها، كان أشدّ الناس عداوة له. وكيف أطاعها على ذلك عشرات الألوف من المسلمين وساعدوها على حرب أمير المؤمنين عليه السلام، ولم ينصر أحدٌ منهم بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا طلبت حقها من أبي بكر، ولا شخصٌ واحد بكلمة واحدة!

وسمّوها أم المؤمنين ولم يسمّوا غيرها بذلك!

ولم يسمّوا أخاها محمد بن أبي بكر مع عظم شأنه وقرب منزلته من أبيه ومن أخته عائشة أم المؤمنين، خالَ المؤمنين، وسمّوا معاوية بن أبي سفيان خالَ المؤمنين، لأن أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان بعض زوجات النبي صلّى الله عليه وآله! وأخت محمد بن أبي بكر وأبوه أعظم عندهم من أخت معاوية ومن أبيها! مع أن رسول الله صلّى الله عليه وآله لعن معاوية الطّليق بن الطليق اللّعين وقال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه! وكان من المؤلّفة قلوبهم، وقاتل عليّاً وهو عندهم رابع الخلفاء إمامُ حق، وكلّ من حارب إمام حق فهو باغ ظالم! وسبب ذلك محبة محمد بن أبي بكر لعلي عليه السلام ومفارقته لأبيه وبغض معاوية لعلي ومحاربته له.

وسمّوه كاتب الوحي ولم يكتب له كلمة واحدة من الوحي بل كان يكتب له رسائل، وقد كان بين يدي النبي صلّى الله عليه وآله أربعة عشر نفساً يكتبون الوحي، أوّلهم وأخصهم به وأقربهم إليه علي بن أبي طالب عليه السلام.

مع أن معاوية لم يزل مشركاً مدّة كون النبي صلّى الله عليه وآله مبعوثاً يكذب بالوحي ويهزأ بالشرع! وكان باليمن يوم الفتح يطعن على رسول الله صلّى الله عليه وآله ويكتب إلى أبيه صخر بن حرب يعيّره بإسلامه، ويقول له: أصبوت إلى دين محمد، وكتب إليه:

يا صخرُ لا تُسلمنْ طوعاً فتفضحنا	بعد الذين ببدر أصبحوا فرقا
جدّي وخالي وعمّ الأم ثالثهم	قوماً وحنظلة المهدي لنا الأرقا
فالموتُ أهون من قول الوشاة	لنا خلّى ابن هند عن العزّى فرقا

والفتح كان في شهر رمضان لثمان سنين من قدوم النبي صلّى الله عليه وآله المدينة، ومعاوية حينئذ مقيمٌ على الشرك، هاربٌ من النبي صلّى الله عليه وآله لأنه قد هدر دمه فهرب إلى مكة، فلمّا لم يجد له مأوىً صار إلى النبي صلّى الله عليه وآله

مضطراً فأظهر الإسلام.

وكان إسلامه قبل موت النبي صلّى الله عليه وآله بخمسة أشهر، وطرح نفسه على العباس فسأل فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله فعفا عنه ثم شفع إليه أن يشرّفه ويضيفه إلى جملة الكتّاب، فأجابه وجعله واحداً من أربعة عشر. فكم كان يخصّه من الكتابة في هذه المدة لو سلّمنا أنه كان كاتب الوحي، حتى استحق أن يوصف بذلك دون غيره!

مع أن الزمخشري من مشايخ الحنفية ذكر في ربيع الأبرار أنه ادّعى بنوّته أربعة نفر!

على أن من جملة كتبة الوحي ابن أبي سرح وارتدّ مشركاً وفيه نزل: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقد روى عبد الله بن عمر قال: أتيت النبي صلّى الله عليه وآله فسمعته يقول: «يطلع عليكم رجل يموت على غير سنّتي» فطلع معاوية.

وقام النبي صلّى الله عليه وآله يوماً يخطب، فأخذ أبو سفيان بيد ابنه يزيد وخرج ولم يسمع الخطبة، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «لعن الله القائد والمقود! وأيّ يوم يكون لهذه الأمة من معاوية ذي الإستاه؟!».

وبالغ في محاربة علي عليه السلام وقتل جمعاً كثيراً من خيار الصحابة، ولعنه على المنابر، واستمر سبّه مدة ثمانين سنة إلى أن قطعه عمر بن عبد العزيز.

وسمّ الحسن.

وقتل ابنه يزيد مولانا الإمام الحسين.

وكسر جدّه ثنيّة النبي صلّى الله عليه وآله.

وأكلت أمّه كبد حمزة عم الرسول صلّى الله عليه وآله.

وسمّوا خالد بن الوليد سيف الله، عناداً لأمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أحق بهذا الإسم حيث قتل بسيفه الكفار، وثبتت بواسطة جهاده قواعد الدين، وقال فيه

رسول الله صلّى الله عليه وآله: عليٌ سيْفُ الله وسَهْمُ الله. وقال علي عليه السلام على المنبر: أنا سيف الله على أعدائه ورحمته لأوليائه.

وخالد لم يزل عدواً لرسول الله مكذباً له، وهو كان السبب في قتل المسلمين في يوم أحد وفي كسر رباعية النبي صلّى الله عليه وآله وقتل حمزة عمّه. ولما تظاهر بالإسلام بعثه النبي صلّى الله عليه وآله إلى بني خزيمة ليأخذ منهم الصدقات فخانه وخالفه على أمره، وقتل المسلمين فقام النبي صلّى الله عليه وآله في أصحابه خطيباً بالإنكار عليه، رافعاً يديه إلى السماء حتى شوهد بياض إبطيه وهو يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد! ثم أنفذ إليهم أمير المؤمنين عليه السلام لتلافي فارطته وأمره أن يسترضي القوم ففعل».

ولمّا قبض النبي صلّى الله عليه وآله وأنفذه أبو بكر لقتال أهل اليمامة، قتل منهم ألفاً ومائتي نفس مع تظاهرهم بالإسلام! وقتل مالك بن نويرة صبراً وهو مسلم، وعرّس بامرأته! وسمّوا بني حنيفة أهل الردّة لأنهم لم يحملوا الزكاة إلى أبي بكر لأنهم لم يعتقدوا إمامته! واستحلّ دماءهم وأموالهم ونساءهم حتى أنكر عمر عليه. فسمّوا مانع الزكاة مرتداً ولم يسمّوا من استحلّ دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين عليه السلام مرتدّاً، مع أنهم سمعوا قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يا علي حربك حربي وسلمك سلمي». ومحارب رسول الله كافر بالإجماع.

وقد أحسن بعض العقلاء في قوله: شرٌ من إبليس من لم يسبقه في سالف طاعته وجرى معه في ميدان معصيته! ولا شك بين العلماء أن إبليس كان أعبد الملائكة وكان يحمل العرش وحده ستة آلاف سنة! ولما خلق الله تعالى آدم وجعله خليفة في الأرض وأمره بالسجود فاستكبر! فاستحق الطرد واللعن.

ومعاوية لم يزل في الإشراك وعبادة الأصنام إلى أن أسلم بعد ظهور النبي صلّى الله عليه وآله بمدة طويلة، ثم استكبر عن طاعة الله تعالى في نصب أمير المؤمنين عليه

السلام إماماً وتابعه الكلّ بعد عثمان وجلس مكانه فكان شرّاً من إبليس!

وتمادى البعض في التعصّب حتى اعتقد إمامة يزيد بن معاوية مع ما صدر عنه من الأفعال القبيحة، من قتل الإمام الحسين عليه السلام ونهب أمواله وسبي نسائه والدوران بهم في البلاد على الجمال بغير قتب، ومولانا زين العابدين عليه السلام مغلول اليدين! ولم يقنعوا بقتله عليه السلام حتى رضّوا أضلاعه وصدره بالخيول وحملوا رؤوسهم على القنا!

مع أن مشايخهم رووا أن يوم قتل الحسين عليه السلام قطرت السماء دماً!

وقد ذكر الرافعي في شرح الوجيز وذكر ابن سعد في الطبقات أن الحمرة ظهرت في السماء يوم قتل الحسين عليه السلام ولم تر قبل ذلك!

وقال أيضاً: ما رفع حجر في الدنيا إلا وتحته الدم عبيط! ولقد مطرت السماء مطراً بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت.

قال الزهري: ما بقي أحد من قاتلي الحسين الا وعوقب في الدنيا، إما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة!

وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يكثر الوصية للمسلمين في ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ويقول لهم: «هؤلاء وديعتي عندكم»، وأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

وتوقف جماعة ممن لا يقول بإمامته في لعنه! مع أنه عندهم ظالم بقتل الحسين ونهب حريمه، وقد قال الله تعالى: ﴿أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

وقال أبو الفرج بن الجوزي من شيوخ الحنابلة: عن ابن عباس قال: «أوحى الله تعالى إلى محمد صلّى الله عليه وآله إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتل بابن بنتك فاطمة سبعين ألفاً وسبعين ألفاً».

وحكى السدّي ـ وكان من فضلائهم ـ قال: نزلت بكربلاء ومعي طعام للتجارة

فنزلنا على رجل فتعشينا عنده وتذاكرنا قتل الحسين وقلنا: ما شرك أحد في قتل الحسين إلا ومات أقبح موته! فقال الرجل: ما أكذبكم! أنا شركت في دمه وكنت فيمن قتله فما أصابني بشيء. قال: فماكان في آخر الليل إذا بالصياح! قلنا: ما الخبر؟ قالوا: قام الرجل يصلح المصباح فاحترقت إصبعه، ثم دبّ الحريق في جسده فاحترق! قال السدّي: فأنا والله رأيته كأنه حِمَمَة!

وقد سأل مهنا بن يحيى أحمد بن حنبل عن يزيد فقال: هو الذي فعل ما فعل قلت: وما فعل؟ قال: نهب المدينة! وقال له صالح ولده يوماً: إن قوماً ينسبوننا إلى توالي يزيد فقال: يا بنيّ وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقلت: لم لا تلعنه؟ فقال: وكيف لا ألعن من لعنه الله في كتابه؟ فقلت: وأين لعن يزيد؟ فقال: في قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾. فهل يكون فسادٌ أعظم من القتل.

ونَهَبَ المدينة ثلاثة أيام وسبى أهلها وقَتَل جمعاً من وجوه الناس فيها من قريش والأنصار والمهاجرين يبلغ عددهم سبعمائة؟ وقَتَل من لم يُعرف من عبد أو حرّ أو امرأة عشرة آلاف، وخاض الناس في الدماء، حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله وامتلأت الروضة والمسجد! ثم ضرب الكعبة بالمناجق وهدمها وأحرقها.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إن قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شدّت يداه ورجلاه بسلاسل من نار، منكس في النار حتى يقع في قعر جهنم، له ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم من شدة نتن ريحه، وهو فيها خالد ذائق للعذاب الأليم، كلّما نضجت جلودهم بدّل الله لهم الجلود حتى يذوقوا العذاب لا يفتر عنهم ساعة ويسقى من حميم جهنم، الويل لهم من عذاب الله عز وجل». وقال صلّى الله عليه وآله: «اشتدّ غضب الله تعالى وغضبي على من أهرق

دمي وآذاني في عترتي».

فلينظر العاقل أي الفريقين أحق بالأمن: الذي نزّه الله تعالى وملائكته وأنبياءه وأئمته، ونزّهوا الشرع عن المسائل الرديّة، ومن يبطل الصّلاة بإهمال الصّلاة على أئمتهم ويذكر أئمة غيرهم، أم الذي فعل ضدّ ذلك واعتقد خلافه؟

الوجه السادس

إن الإمامية لمّا رأوا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وكمالاته لا تحصى، قد رواها المخالف والمؤالف، ورأوا الجمهور قد نقلوا عن غيره من الصحابة مطاعن كثيرة ولم ينقلوا في علي عليه السلام طعناً البتة! اتبعوا قوله وجعلوه إماماً لهم حيث نزّهه المخالف والمؤالف، وتركوا غيره حيث روى فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن في إمامته. ونحن نذكر هنا شيئاً يسيراً مما هو صحيح عندهم ونقلوه في المعتمد من كتبهم، ليكون حجة عليهم يوم القيامة:

فمن ذلك: ما رواه أبو الحسن الأندلسي في الجمع بين الصحاح الستة: موطأ مالك، وصحيحي مسلم والبخاري، وسنن أبي داود، وصحيح الترمذي، وصحيح النسائي، عن أم سلمة زوج النبي صلّى الله عليه وآله أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، أنزلت في بيتي وأنا جالسة عند الباب فقلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ فقال: إنك على خير إنك من أزواج رسول الله. قالت: وفي البيت رسول الله وعلي وفاطمة وحسن وحسين فجللّهم بكساء وقال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ونحوه رواه أحمد بن حنبل.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ما عمل بهذه الآية غيري وبي خفف الله

تعالى أمر هذه الآية.

وعن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب عليه السلام فقال طلحة بن شيبة: معي مفتاح البيت ولو أشاء بتُّ فيه! وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بتُّ في المسجد. وقال علي عليه السلام: ما أدري ما تقولان! لقد صلّيت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك قال: قلنا لسلمان: سل النبي من وصيه! فقال له سلمان: يا رسول الله من وصيك؟ فقال: يا سلمان، من كان وصي موسى؟ فقال: يوشع بن نون. قال: وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي، علي بن أبي طالب.

وعن أبي مريم عن علي عليه السلام قال: انطلقت أنا والنبي صلّى الله عليه وآله حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: إجلس! فصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به فرأى مني ضعفاً فنزل وجلس لي نبي الله صلّى الله عليه وآله وقال: إصعد على منكبي فصعدت على منكبيه قال: فنهض بي قال: فإنه تخيل لي أني لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استحكمت منه، قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: إقذف به فقذفت به فتكسّر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت وانطلقت أنا ورسول الله نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس.

وعن معقل بن يسار أن النبي صلّى الله عليه وآله قال لفاطمة: ألا ترضين أني زوّجتك أقدم أمتي سلماً، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً؟

وعن ابن أبي ليلى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الصدّيقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس الذي قال: ﴿يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾، وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم.

وعن عمرو بن ميمون قال: لعلي عشر خصال ليست لغيره:

قال له النبي صلّى الله عليه وآله: لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحب الله ورسوله فاستشرف لها من استشرف قال: أين علي؟ قالوا: هو في الرحى يطحن، قال: وما كان أحدكم يطحن! قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر قال: فنفث في عينيه، ثم هز الراية ثلاثاً، فأعطاها إياه. قال: ثم بعث أبا بكر بسورة التوبة فبعث علياً عليه السلام خلفه فأخذها منه وقال: لا يذهب بها إلّا رجل هو مني وأنا منه.

وقال صلّى الله عليه وآله لبني عمّه: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ قال وعلي معهم جالسٌ، فأبوا فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة! قال: فتركه ثم أقبل على رجل منهم فقال: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة فأبوا! فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، فقال: أنت وليي في الدنيا والآخرة.

قال: وكان علي أوّل من أسلم من الناس بعد خديجة.

قال: وأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله ثوبه فوضعه على علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

قال: وشرى عليٌّ نفسه ولبس ثوب رسول الله صلّى الله عليه وآله ثم نام مكانه وكان المشركون يرمونه بالحجارة.

وخرج النبي صلّى الله عليه وآله في غزوة تبوك فقال له علي عليه السلام: أأخرج معك؟ فقال: لا، فبكي علي فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا

أنك لست بنبي. لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي.

قال: وقال له رسول الله: أنت وليي في كلّ مؤمن بعدي.

قال: وسدّ أبواب المسجد غير باب علي، قال: فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره.

وقال له: من كنت مولاه، فإن مولاه علي.

وعن النبي صلّى الله عليه وآله مرفوعاً: أنه بعث أبابكر ببراءة إلى أهل مكة، فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي عليه السلام إلحقه فردّه وبلّغها أنت ففعل، فلما قدم أبو بكر على النبي صلّى الله عليه وآله بكى وقال: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟ قال: لا، ولكن أمرت ألا يبلّغه إلا أنا أو رجل مني.

ومنها: مارواه أخطب خوارزم عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: يا علي لو أن عبداً عبد الله عز وجل مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أُحُد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، ومَدّ في عمره حتى حج ألف عام على قدميه، ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثم لم يوالك يا علي، لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها!

وقال رجل لسلمان: ما أشدّ حبّك لعليّ! قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: من أحبّ عليّاً فقد أحبّني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني.

وعن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: خلق الله من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبّيه إلى يوم القيامة.

وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «من أحبّ علياً قبل الله منه صلاته وصيامه وقيامه واستجاب دعاءه، ألا ومن أحبّ علياً أعطاه الله بكلّ عرق في بدنه مدينة في الجنة. ألا ومن أحبّ آل محمد أمن من الحساب والميزان والصراط. ألا ومن مات على حبّ آل محمد فأنا كفيله بالجنة مع الأنبياء. ألا ومن أبغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيسٌ من رحمة الله».

وعن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «من زعم أنه آمن بي وبما جئت به وهو يبغض علياً، فهو كاذب ليس بمؤمن».

وعن أبي برزة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله ونحن جلوس ذات يوم: والذي نفسي بيده لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأله تبارك وتعالى عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن ماله ممّ كسبه وفيم أنفقه، وعن حبنا أهل البيت». فقال له عمر: فما آية حبّكم من بعدكم؟ فوضع يده على رأس علي عليه السلام وهو إلى جانبه فقال: «إن حبي من بعدي حبّ هذا».

وعن عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد سئل: «بأيّ لغة خاطبك ربّك ليلة المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة علي بن أبي طالب فألهمني أن قلت: يا ربّ أنت خاطبتني أم علي؟ فقال: يا أحمد، أنا شيء ليس كالأشياء لا أقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك، فاطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحبّ من علي بن أبي طالب عليه السلام، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك».

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لو أن الرياض أقلام والبحر مداد والجن حساب والإنس كتاب، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب».

وبالإسناد قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إن الله تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها. ثم قال: النظر إلى وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عبادة وذكره عبادة لا يقبل الله إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه».

وعن حكيم عن أبيه عن جدّه عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: «المبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة».

وعن سعد بن أبي وقاص قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً بالسبّ فأبى، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: «ثلاث قالهن رسول الله صلّى الله عليه وآله فلن أسبه لأنْ يكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حُمْر النعم، سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول لعلي وقد خلّفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله تخلّفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فتطاولنا فقال: أدعوا لي علياً فأتاه وبه رمد فبصق في عينيه فدفع الراية إليه ففتح الله عليه. وأنزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي».

وعن عامر بن واثلة قال: كنت مع علي عليه السلام في البيت يوم الشورى، فسمعت علياً عليه السلام يقول لهم: لأحتجنّ عليكم بما لا يستطيع عربيّكم ولا عجميّكم تغيير ذلك! ثم قال: أنشدكم بالله أيها النفر جميعاً: أفيكم أحدٌ وحّد الله تعالى قبلي؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر الطيار في الجنة مع الملائكة، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له عم مثل عمي حمزة أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنة، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ له سبطان مثل سبطيَّ الحسن والحسين سيدي

شباب أهل الجنة غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله صلّى الله عليه وآله عشر مرات وقدم بين يدي نجواه صدقة، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ليبلغ الشاهد الغايب، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: اللهم ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ وأشدّهم لك حبّاً ولي حبّاً، يأكل معي هذا الطائر، فأتاه فأكل معه، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: لأعطين الرّاية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله على يديه إذ رجع غيري منهزماً، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لبني وليعة: لتنتهنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً نفسه كنفسي طاعة طاعتي ومعصية معصيتي يفصلكم بالسيف، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: كذب من زعم أنه يحبّني ويبغض هذا، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد سلّم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف من الملائكة، منهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، حيث جئت بالماء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله من القليب، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد نودي به من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له جبرئيل: هذه هي المواساة فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنه مني وأنا منه. فقال جبرئيل عليه السلام وأنا منكما، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين على لسان النبي صلّى الله عليه وآله غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: إني قاتلت على تنزيل القرآن وتقاتل على تأويل القرآن، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد ردّت عليه الشمس حتى صلّى العصر في وقتها، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أمره رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يأخذ براءة من أبي بكر، فقال له أبو بكر: يا رسول الله أنزل فيّ شيء؟ فقال له: إنه لا يؤدّي عني إلا علي، غيري ؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله أتعلمون أنه أمر بسدّ أبوابكم وفتح بابي، فقلتم في ذلك، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما أنا سددت أبوابكم ولا أنا فتحت بابه بل الله سدّ أبوابكم وفتح بابه، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله، أتعلمون أنه ناجاني في يوم الطائف دون الناس فأطال ذلك، فقلتم: ناجاه دوننا! فقال: ما أنا انتجيته بل الله انتجاه، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله، أتعلمون أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: الحق مع علي وعلي مع الحق، يدور الحق مع علي كيفما دار؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم بالله، أتعلمون أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي لن تضلّوا ما استمسكتم بهما، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد وقى رسول الله من المشركين بنفسه واضطجع في مضجعه، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد بارز عمرو بن ودّ العامري حيث دعاكم إلى البراز، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير حيث يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله: أنت سيد العرب غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما سألت الله شيئاً إلا سألت لك مثله، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

ومنها: ما رواه أبو عمر الزاهد، عن ابن عباس، قال: لعلي أربع خصال ليس لأحد من الناس غيره: هو أوّل عربي وعجمي صلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهو الذي كان لواؤه معه في كلّ زحف، وهو الذي صبر معه يوم حنين، وهو الذي غسّله وأدخله قبره. صلّى الله عليهما.

وعن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «مررت ليلة المعراج بقوم تشرشر أشداقهم فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يقطعون الناس بالغيبة. قال: مررت بقوم ضأضؤوا فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الكفار. قال: ثم عدلنا عن ذلك الطريق، فلما انتهينا إلى السماء الرابعة رأيت علياً يصلّي، فقلت لجبرئيل: يا جبرئيل، أهذا علي قد سبقنا؟ قال: لا، ليس هذا علياً. قلت: فمن هو؟ قال: إن الملائكة المقربين

والملائكة الكروبيين، لما سمعت فضائل علي عليه السلام وبخاصّة سمعت قولك فيه: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، اشتاقت إلى علي، فخلق الله لها ملكاً على صورة علي، فإذا اشتاقت إلى علي نظرت إلى ذلك الملك، فكأنها قد رأت علياً»!

وعن ابن عباس قال: إن المصطفى صلّى الله عليه وآله قال ذات يوم وهو نشيط: «أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى! قال: فقوله: أنا الفتى، يعني هو فتى العرب بإجماع، أي سيدها وقوله: ابن الفتى، يعني إبراهيم الخليل عليه السلام، من قوله عز وجل: ﴿**قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ**﴾، وقوله: أخو الفتى، يعني علياً عليه السلام وهو قول جبرئيل عليه السلام في يوم بدر وقد عرج إلى السماء بالفتح وهو فرحٌ وهو يقول: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلا علي».

وعن ابن عباس قال: رأيت أبا ذر وهو متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر، لو صمتم حتى تكونوا كالأوتار، وصلّيتم حتى تكونوا كالحنايا، ما نفعكم ذلك حتى تحبوا علياً عليه السلام!

ومنها: ما نقله صاحب الفردوس في كتابه: عن معاذ عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام حسنة لا تضرّ معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة».

وعن ابن مسعود، قال: «حبّ آل محمد خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة».

وعن أنس قال: كنت جالساً مع النبي صلّى الله عليه وآله إذ أقبل علي فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «أنا وهذا حجة الله على خلقه».

وعن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «لو اجتمع الناس على حبّ علي لم يخلق الله النار».

ومنها: ما رواه أبو عبد الله الحافظ الشافعي بإسناده عن أبي برزة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إن الله عهد إلي عهداً في علي فقلت: يا رب بيّنه لي فقال: إسمع فقلت: سمعت فقال: إن علياً راية الهدى وإمام الأولياء ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبه أحبني ومن أبغضه أبغضني فبشره بذلك! فجاء علي فبشّرته فقال: يا رسول الله! أنا عبد الله في قبضته فإن يعذبني فبذنوبي وإن يتم لي الذي بشّرتني به فالله أولى به، قال: فقلت: اللهم اجل قلبه واجعل ربيعه الإيمان! فقال الله عز وجل فقد فعلت به ذلك. ثم إنه رفع إلي أنه سيخصّه من البلاء بشيء لم يخص به أحد من أصحابي فقلت: يا ربّ أخي وصاحبي فقال: إن هذا شيء قد سبق، إنه مبتلى ومبتلى به».

ورواه صاحب كتاب حلية الأولياء.

وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أوصي من آمن بي وصدّقني بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام من تولّاه فقد تولّاني ومن تولّاني فقد تولّى الله عز وجل».

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يا علي من سبّك فقد سبني ومن سبني فقد سبّ الله ومن سبّ الله أكبّه على منخريه في النار»!

والأخبار الواردة من قبل المخالفين أكثر من أن تحصى، لكن اقتصرنا في هذه المختصر على هذا القدر.

المطاعن في الجماعة

وأما المطاعن في الجماعة: فقد نقل أتباعهم الجمهور منها شيئاً كثيراً، حتى صنّف الكلبي كتاباً كلّه في مثالب الصحابة، ولم يذكر فيه منقصة واحدة لأهل البيت عليهم السّلام. وقد ذكر غيره منهم أشياء كثيرة، ونحن نذكر شيئاً يسيراً منها:

منها: ما رووه عن أبي بكر أنه قال على المنبر: إن النبي صلّى الله عليه وآله كان يعصم بالوحي وإن لي شيطاناً يعتريني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوّموني. وكيف تجوز إمامة من يستعين بالرعية على تقويمه مع أن الرعية تحتاج إليه!

وقال: أقيلوني فلست بخيركم! فإن كانت إمامته حقاً كانت استقالته منها معصية، وإن كانت باطلة لزم الطعن.

وقال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. ولو كانت إمامته صحيحة لم يستحق فاعلها القتل، فيلزم تطرّق الطعن إلى عمر، وإن كانت باطلة لزم الطعن عليهما معاً!

وقال أبو بكر عند موته: ليتني كنت سألت رسول الله صلّى الله عليه وآله هل للأنصار في هذا الأمر حق؟ وهذا يدلّ على أنه في شك من إمامته ولم تقع صواباً.

وقال عند احتضاره: ليت أمي لم تلدني! يا ليتني كنت تبنه في لبنة! مع أنهم نقلوا عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: ما من محتضر يحتضر إلا ويرى مقعده من الجنة أو النار.

وقال أبو بكر: ليتني في ظلّة بني ساعدة ضربت يدي على يد أحد الرجلين وكان هو الأمير وكنت الوزير! وهو يدلّ على أنه لم يكن صالحاً يرتضي نفسه للإمامة.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله في مرض موته مرة بعد أخرى مكرّراً لذلك: أنفذوا جيش أسامة، لعن الله المتخلّف عن جيش أسامة! وكان الثلاثة معه. ومنع أبو بكر عمر من ذلك.

وأيضاً، لم يولّ النبي صلّى الله عليه وآله أبا بكر عملاً البتة في وقته، بل ولّى عليه عمرو بن العاص تارة وأسامة أخرى، ولمّا أنفذه بسورة براءة ردّه بعد ثلاثة أيام بوحي من الله تعالى! وكيف يرتضي العاقل إمامة من لا يرتضيه النبي صلّى الله عليه وآله بوحي من الله تعالى لأداء عشر آيات من براءة؟!

وقطع أبو بكر يسار سارق ولم يعلم أن القطع لليد اليمنى!

وأحرق الفجاءة السلمي بالنار وقد نهى النبي صلّى الله عليه وآله عن الإحراق بالنار وقال: لا يعذب بالنار إلا ربّ النار!

وخفي عليه أكثر أحكام الشريعة فلم يعرف حكم الكلالة، وقال: أقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان.

وقضى في الجدّ سبعين قضيّة وهو يدلّ على قصوره في العلم!

فأي نسبة له إلى من قال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماء فإني أعرف بها من طرق الأرض؟! قال أبو البختري: رأيت علياً عليه السلام صعد المنبر بالكوفة وعليه مدرعة كانت لرسول الله متقلّداً بسيف رسول الله متعمماً بعمامة رسول الله في إصبعه خاتم رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقعد على المنبر وكشف عن بطنه فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنما بين الجوانح مني علم جم، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، هذا ما زقّني رسول الله صلّى الله عليه وآله زقّاً من غير وحي أوحيَ إليّ، فوالله لو ثُنِيَتْ لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتى ينطق الله التوراة والإنجيل فتقول: صدق عليٌّ قد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون؟!

وروى البيهقي في كتابه بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام». فأثبت له ما تفرّق فيهم.

قال أبو عمرو الزاهد: قال أبو العباس ثعلب: لا نعلم أحداً قال بعد نبيّه: سلوني من شيئ إلى محمد صلّى الله عليه وآله إلا علياً، فسأله الأكابر: أبو بكر وعمر وأشباههما حتى انقطع السؤال، ثم قال بعد هذا كلّه: يا كميل بن زياد! إن هاهنا لعلماً جمّاً لو وجدت

له حملة.

وأهمل أبو بكر حدود الله، فلم يقتص من خالد بن الوليد ولا حدّه حين قتل مالك بن نويرة وكان مسلماً وتزوّج امرأته من ليلة قتله وضاجعها! وأشار عليه عمر بقتله فلم يقبل!

وخالف أمر الله تعالى في توريث بنت النبي صلّى الله عليه وآله ومنعها فدكاً.

وتَسَمى بخليفة رسول الله من غير أن يستخلفه.

ومنها: ما رووه عن عمر: روى أبو نعيم الحافظ في كتاب حلية الأولياء: أنه لما احتضر قال: «يا ليتني كنت كبشاً لقومي فسمنوني ما بدا لهم ثم جاءهم أحبّ قومهم إليهم فذبحوني، فجعلوا نصفي شواء ونصفي قديداً فأكلوني، فأكون عذرة ولا أكون بشراً»!! هل هذا إلا مساو لقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾؟

وقال لابن عباس عند احتضاره: لو أن لي مل الأرض ذهباً ومثله معه لافتديت به نفسي من هول المطّلع! وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ﴾!

فلينظر المنصف العاقل قول الرجلين عند احتضارهما، وقول علي عليه السلام: متى ألقاها، متى يبعث أشقاها، متى ألقى الأحبّة محمداً وحزبه؟ وقوله حين قتل: فُزْتُ وَرَبِّ الكعبة!

وروى صاحب الجمع بين الصّحاح الستّة، من مسند ابن عباس أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال في مرض موته: «إئتوني بدواة وبياض لأكتب لكم كتاباً لا تضلّون به من بعدي، فقال عمر: إن الرجل ليهجر، حسبنا كتاب الله! وكثر اللّغط فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أخرجوا عني لا ينبغي التنازع لديّ»! فقال ابن عباس: الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وقال عمر لمّا مات رسول الله صلّى الله عليه وآله: والله ما مات محمد ولا يموت

حتى يقطع أيدي رجال وأرجلهم! فلما نبّهه أبو بكر وتلا عليه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، وقوله: ﴿فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾، قال: كأني ما سمعت بهذه الآية.

ولمّا وعظت فاطمة عليه السلام أبا بكر في فدك كتب لها بها كتاباً وردّها عليها فخرجت من عنده، فلقيها عمر فخرّق الكتاب، فدعت عليه بما فعله أبو لؤلؤة به.

وعطّل حدّ الله تعالى فلم يحد المغيرة بن شعبة.

وكان يعطي أزواج النبي صلّى الله عليه وآله من بيت المال أكثر مما ينبغي، فكان يعطي عائشة وحفصة في كلّ سنة عشرة آلاف درهم.

وغيّر حكم الله تعالى في المتعتين.

وكان قليل المعرفة بالأحكام: أمر برجم حامل، فقال له علي عليه السلام: إن كان لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما في بطنها. فأمسك، وقال: لو لا علي لهلك عمر.

وأمر برجم مجنونة، فقال له علي عليه السلام: إن القلم رفع عن المجنون حتى يفيق، فأمسك، وقال: لو لا علي لهلك عمر.

وقال في خطبة له: من غالى في مهر امرأة جعلته في بيت المال. فقالت له امرأة: كيف تمنعنا ما أعطانا الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً﴾، فقال: كلّ أفقه من عمر حتى المخدّرات.

ولم يَحُدَّ قدامة بن مظعون في الخمر لأنه تلا عليه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾، فقال له علي عليه السلام: ليس قدامة من أهل هذه الآية، وأمره بحدّه، فلم يدر كم يحدّه؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: حُدَّهُ ثمانين، إن شارب الخمر إذا شربها سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى.

وأرسل إلى حامل يستدعيها فأجهضت خوفاً، فقال له الصحابة: نراك مؤدّباً ولا شيء عليك، ثم سأل أمير المؤمنين عليه السلام فأوجب الدية على عاقلته.

وتنازعت امرأتان في طفل، فلم يعلم الحكم وفزع فيه إلى أمير المؤمنين عليه

السلام، فاستدعى المرأتين ووعظهما فلم ترجعا، فقال عليه السلام: إئتوني بمنشار! فقالت المرأتان له: ما تصنع؟ قال: أقدّه نصفين تأخذ كلّ واحدة نصفاً، فرضيت إحداهما، وقالت الأخرى: الله الله يا أبا الحسن، إن كان لا بدّ من ذلك قد سمحت به لها، فقال عليه السلام: الله أكبر هو ابنك دونها، ولو كان ابنها لرقّت عليه! فاعترفت الأخرى أن الحق مع صاحبتها، ففرح عمر ودعا لأمير المؤمنين عليه السلام.

وأمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر فقال له علي عليه السلام: إن خاصمتك بكتاب الله خصَمْتُك! إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾ وقال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، فخلى سبيلها.

وكان يضطرب في الأحكام، فقضى في الجدّ بمائة قضيّة.

وكان يفضّل في الغنيمة والعطاء وأوجب الله تعالى التسوية.

وقال بالرأي والحدس والظن.

وجعل الأمر شورى من بعده وخالف فيه من تقدّمه، فإنه لم يفوّض الأمر فيه إلى اختيار الناس ولا نصّ على إمام بعده، بل تأسّف على سالم مولى حذيفة وقال: لو كان حيّاً لم يختلجني فيه شك! وأمير المؤمنين علي عليه السلام حاضر! وجمع في من يختار بين المفضول والفاضل ومن حق الفاضل التقدّم على المفضول، ثم طعن في كلّ واحد ممّن اختاره للشورى. وأظهر أنه يكره أن يتقلّد أمر المسلمين ميّتاً كما تقلّده حياً، ثم تقلّده بأن جعل الإمامة في ستة، ثم ناقض فجعلها في أربعة، ثم في ثلاثة ثم في واحد، فجعل إلى عبد الرحمن بن عوف الإختيار بعد أن وصفه بالضعف والقصور! ثم قال: إن اجتمع أمير المؤمنين وعثمان فالقول ما قالاه، وإن صاروا ثلاثة ثلاثة فالقول للذين فيهم عبد الرحمن، لعلمه أن علياً وعثمان لا يجتمعان على أمر، وأن عبد الرحمن لا يعدل بالأمر عن أخيه وهو عثمان وابن عمه! ثم أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعة ثلاثة أيام، مع أنهم عندهم من العشرة المبشّرة بالجنّة، وأمر بقتل من خالف

الثلاثة الذين منهم عبد الرحمن، وكلّ ذلك مخالف للدّين. وقال لعلي عليه السلام: إن وليتها وليسوا فاعلين، لتركبنّهم على المحجة البيضاء، وفيه إشارة إلى أنهم لا يولّونه إياها. وقال لعثمان: إن وليتها لتركبن آل أبي معيط على رقاب الناس ولئن فعلت لتقتلن، وفيه إشارة إلى الأمر بقتله.

وأما عثمان، فإنه ولّى أمور المسلمين من لا يصلح للولاية حتى ظهر من بعضهم الفسوق ومن بعضهم الخيانة. وقسّم الولايات بين أقاربه وعوتب على ذلك مراراً فلم يرجع. واستعمل الوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر، وصلّى بالناس وهو سكران. واستعمل سعيد بن العاص على الكوفة، فظهر منه ما أدّى إلى أن أخرجه أهل الكوفة منها. وولّى عبد الله بن أبي سرح مصر حتى تظلّم منه أهلها، وكاتبه أن يستمرّ على ولايته سرّاً خلاف ما كتب إليه جهراً، وأمره بقتل محمد بن أبي بكر.

وولّى معاوية الشام فأحدث من الفتن ما أحدث. وولّى عبد الله بن عامر العراق ففعل من المناكير ما فعل. وولّى مروان أمره وألقى إليه مقاليد أموره ودفع إليه خاتمه، فحدث من ذلك قتل عثمان فحدث من الفتنة بين الأمة ما حدث.

وكان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من بيت مال المسلمين، حتى أنه دفع إلى أربعة نفر من قريش زوّجهم بناته أربع مائة ألف دينار، ودفع إلى مروان ألف ألف دينار.

وكان ابن مسعود يطعن عليه ويكفّره، ولمّا علم ضربه حتى مات! وضرب عماراً حتى صار به فتق وقد قال فيه النبي صلّى الله عليه وآله: «عمار جلدة بين عيني تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة»! وكان عمار يطعن عليه.

وطرد رسول الله صلّى الله عليه وآله الحكم بن أبي العاص عمّ عثمان عن المدينة ومعه ابنه مروان، فلم يزل طريداً هو وابنه في زمن النبي صلّى الله عليه وآله وأبي بكر وعمر، فلما ولي عثمان آواه وردّه إلى المدينة وجعل مروان كاتبه وصاحب تدبيره، مع أن الله تعالى قال: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَـٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.

ونفى أبا ذر إلى الربذة وضربه ضرباً وجيعاً، مع أن النبي صلّى اللّه عليه وآله قال في حقه: «ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر. وقال: إن اللّه تعالى أوحى إليّ أنه يحبّ أربعة من أصحابي وأمرني بحبّهم فقيل له: من هم يا رسول اللّه؟ قال: علي سيدهم وسلمان والمقداد وأبو ذر».

وضيّع حدود اللّه، فلم يَقِدْ عبيد اللّه بن عمر حين قتل الهرمزان مولى أمير المؤمنين بعد إسلامه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يطلب عبيد اللّه لإقامة القصاص عليه فلحق بمعاوية. وأراد أن يعطّل حد الشرب في الوليد بن عقبة حتى حدّه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: لا يبطل حدُّ اللّه وأنا حاضر.

وزاد الأذان الثاني يوم الجمعة وهي بدعة وصار سنّة إلى الآن، وخالفه المسلمون كلّهم حتى قتل، وعابوا فعاله وقالوا له: غبت عن بدر وهربت يوم أحد ولم تشهد بيعة الرضوان! والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى.

وقد ذكر الشهرستاني ـ وهو أشدّ المبغضين للإمامية ـ: أن مثار الفساد بعد شبهة إبليس الإختلافات الواقعة في مرض النبي صلّى اللّه عليه وآله.

فأول تنازع وقع في مرضه فيما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عباس قال: لما اشتدّ بالنبي مرضه الذي توفي فيه قال: «إئتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي فقال عمر: إن صاحبكم ليهجر حسبنا كتاب اللّه! وكثر اللّغط فقال النبي صلّى اللّه عليه وآله: قوموا عني لاينبغي عندي التنازع».

والخلاف الثاني في مرضه صلّى اللّه عليه وآله: أنه قال: جهّزوا جيش أسامة، لعن اللّه من تخلّف عنه. فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأسامة قد برز عن المدينة، وقال قوم: اشتد مرضه ولا يسع قلوبنا المفارقة.

والثالث في موته صلّى الله عليه وآله. قال عمر: من قال أن محمّداً قد مات قتلته بسيفي هذا، وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم. وقال أبو بكر: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد إله محمد فإنه حي لا يموت.

الرابع في الإمامة: وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة: إذ ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سُلَّ على الإمامة، في كلّ زمان، واختلف المهاجرون والأنصار فقالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، واتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الأنصاري، فاستدرك عمر وأبو بكر بأن حضرا سقيفة بني ساعدة، ومدّ عمر يده إلى أبي بكر فبايعه فبايعه الناس. وقال عمر: إنما كانت فلتةً وقى الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه! وأمير المؤمنين عليه السلام مشغول بما أمر النبي صلّى الله عليه وآله من دفنه وتجهيزه وملازمة قبره وتخلّف هو وجماعة عن البيعة.

الخامس في فدك والتوارث عن النبي صلّى الله عليه وآله: دفعها أبو بكر بروايته عن النبي: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.

والسادس في قتال مانعي الزكاة، فقاتلهم أبو بكر واجتهد عمر في أيام خلافته فرد السبايا والأموال إليهم وأطلق المحبوسين.

السابع في تنصيص أبي بكر على عمر بالخلافة: فمن الناس من قال: ولّيت علينا فظاً غليظاً.

الثامن في أمر الشورى: واتفقوا بعد الإختلاف على إمامة عثمان. ووقعت اختلافات كثيرة: منها: رده الحكَم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله وكان يسمّى طريد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وبعد أن تشفّع إلى أبي بكر وعمر أيام خلافتهما فما أجابا إلى ذلك، ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخاً.

ومنها: نفيه أبا ذر إلى الربذة، وتزويجه مروان بن الحكم ابنته، وتسليمه خمس غنائم أفريقية له، وقد بلغت مائتي ألف دينار.

ومنها: إيواؤه عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد أن أهدر النبي صلّى الله عليه وآله دمه وتوليته إياه مصر، وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث. وكان أمراء جنوده: معاوية بن أبي سفيان عامل الشام، وسعيد بن العاص عامل الكوفة، وبعده عبد الله بن عامر، والوليد بن عقبة عامل البصرة.

التاسع في زمن أمير المؤمنين عليه السلام بعد الإتفاق عليه وعقد البيعة له، فأوّلها خروج طلحة والزبير إلى مكة، ثم حمل عائشة إلى البصرة، ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل. والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفين، ومغادرة عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري. وكذا الخلاف بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان.

وبالجملة: كان عليٌّ مع الحق والحق مع علي عليه السلام. وظهر في زمانه الخوارج عليه مثل الأشعث بن قيس، ومسعود بن مذكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي وغيرهم. وظهر في زمانه الغلاة كعبد الله بن سبأ، ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة، وصدق فيه قول النبي صلّى الله عليه وآله: «يهلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال».

فانظر بعين الإنصاف إلى كلام هذا الرجل، هل خرج موجب الفتنة عن المشائخ، أو تعدّاهم؟!

الفصل الثالث: في الأدلة الدالة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله

الأدلّة في ذلك كثيرة لا تحصى، لكن نذكر المهمّ منها، وننظمه أربعة مناهج.

المنهج الأول: في الأدلة العقلية

وهي خمسة:

الأول

إن الإمام يجب أن يكون معصوماً، ومتى كان كذلك كان الإمام هو علي عليه السلام.

أما المقدّمة الأولى، فلأن الإنسان مدني بالطبع لا يمكن أن يعيش منفرداً، لافتقاره في بقائه إلى مأكل وملبس ومسكن لا يمكنه بنفسه، بل يفتقر إلى مساعدة غيره، بحيث يفزع كل منهم لما يحتاج إليه صاحبه حتى يتم نظام النوع. ولمّا كان الاجتماع في مظنة التغالب والتناوش، فإن كلّ واحد من الأشخاص قد يحتاج إلى ما في يد غيره، فتدعوه قوّته الشهوية إلى أخذه وقهره عليه وظلم فيه، فيؤدّي ذلك إلى وقوع الهرج والمرج وإثارة الفتن، فلا بدّ من نصب إمام معصوم يصدّهم عن الظلم والتعدّي ويمنعهم عن

التغلّب والقهر وينتصف للمظلوم من الظالم ويوصل الحق إلى مستحقه، لا يجوز عليه الخطأ ولا السهو ولا المعصية، وإلا لافتقر إلى إمام آخر! لأن العلّة المحوجة إلى نصب الإمام هي جواز الخطأ على الأمة، فلو جاز الخطأ عليه لاحتاج إلى إمام، فإن كان معصوماً كان هو الإمام، وإلا لزم التسلسل.

وأما المقدّمة الثانية فظاهرة، لأن أبابكر وعمر وعثمان لم يكونوا معصومين اتفاقاً، وعلي عليه السلام معصوم، فيكون هو الإمام.

الثاني

إن الإمام يجب أن يكون منصوصاً عليه، لما بيّنا من بطلان الإختيار وأنه ليس بعض المختارين لبعض الأمة أولى من البعض المختار للآخر، ولأدائه إلى التنازع والتناحر، فيؤدّي نصب الإمام إلى أعظم الفساد التي لأجل إعدام الأقلّ منها أوجبنا نصبه. وغير علي عليه السلام من أئمتهم لم يكن منصوصاً عليه بالإجماع، فتعيّن أن يكون هو الإمام.

الثالث

إن الإمام يجب أن يكون حافظاً للشرع، لانقطاع الوحي بموت النبي صلّى الله عليه وآله، وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل أحكام الجزئيات الواقعة إلى يوم القيامة، فلا بدّ من إمام منصوب من الله تعالى معصوم من الزلل والخطأ، لئلا يترك بعض الأحكام أو يزيد فيها عمداً أو سهواً، وغير علي عليه السلام لم يكن كذلك بالإجماع.

الرابع

إن الله تعالى قادر على نصب إمام معصوم، والحاجة للعالم داعية إليه ولا مفسدة فيه، فيجب نصبه. وغير علي عليه السلام لم يكن كذلك إجماعاً. فتعيّن أن يكون الإمام هو علي عليه السلام.

أما القدرة فظاهرة، وأما الحاجة فظاهرة أيضاً، لما بيّنا من وقوع التنازع بين العالم، وأما انتفاء المفسدة فظاهر أيضاً، لأن المفسدة لازمة لعدمه، وأما وجوب نصبه، فلأنه عند ثبوت القدرة والداعي وانتفاء الصارف يجب الفعل.

الخامس

إن الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيّته، وعلي عليه السلام أفضل أهل زمانه على ما يأتي، فيكون هو الإمام، لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً ونقلاً. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾!

المنهج الثاني: في الأدلة المأخوذة من القرآن

والبراهين الدالّة على إمامة علي عليه السلام من الكتاب العزيز أربعون برهاناً:

الأول

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. وقد أجمعوا على أنها نزلت في علي عليه السلام. قال الثعلبي بإسناده إلى أبي ذر قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله بهاتين وإلّا فصُمّتا، ورأيته بهاتين وإلّا فعميتا، يقول: «علي قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره مخذول من خذله». أما إني صلّيت مع رسول الله يوماً صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله، فلم يعطني أحد شيئاً! وكان علي عليه السلام راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان يتختّم بها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي صلّى الله عليه وآله، فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن موسى سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي أُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾. اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، علياً اشدد به ظهري! قال أبو ذر: فما استتمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله حتى نزل عليه جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى فقال: يا محمد إقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: إقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾! ونقل الفقيه ابن المغازلي الواسطي الشافعي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام. والولي هو المتصرف، وقد أثبت له الولاية في الآية كما أثبتها الله تعالى لنفسه ولرسوله صلّى الله عليه وآله.

البرهان الثاني

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

اتفقوا على نزولها في علي عليه السلام. روى أبو نعيم الحافظ من الجمهور بإسناده عن عطية قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وآله في علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن تفسير الثعلبي قال: معناه بلغ ما أنزل إليك من ربك في فضل علي فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله بيد علي وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

والنبي صلّى الله عليه وآله مولى أبي بكر وعمر وباقي الصحابة بالإجماع، فيكون علي عليه السلام مولاهم، فيكون هو الإمام.

ومن تفسير الثعلبي قال: لمّا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله بغدير خم نادى

الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فشاع ذلك وطار في البلاد، وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله على ناقته حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها وعقلها وأتى النبي وهو في ملأ من أصحابه فقال: يا محمد! أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلّي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلناه منك، وأمرتنا أن نزكّي أموالنا فقبلناه منك، وأمرتنا أن نحجّ البيت فقبلناه! ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضّلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه! فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال: والذي لا إله إلا هو إنه من أمر الله! فولّى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾! فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾.

وقد روى هذه الرواية النقاش من علماء الجمهور في تفسيره.

البرهان الثالث

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً﴾. روى أبو نعيم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري قال: إن النبي صلّى الله عليه وآله دعا الناس إلى علي في غدير خم، وأمر بما تحت الشجر من الشوك فقُمّ، ودعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطيْ رسول الله صلّى الله عليه وآله ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً﴾، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الربّ برسالتي وبالولاية لعلي من بعدي» ثم قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله»!

البرهان الرابع

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾. روى الفقيه علي بن المغازلي الشافعي بإسناده عن ابن عباس قال: كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي صلّى الله عليه وآله إذ انقض كوكب، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من انقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي! فقام فتية من بني هاشم فنظروا الكوكب قد انقض في منزل علي بن أبي طالب عليه السلام قالوا يا رسول الله قد غويت في حبّ علي! فأنزل الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾.

البرهان الخامس

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. روى أحمد بن حنبل في مسنده عن واثلة بن الأسقع قال: طلبت علياً عليه السلام في منزله فقالت فاطمة: ذهب يأتي برسول الله صلّى الله عليه وآله فجاءا جميعاً فدخلا ودخلت معهما، فأجلس علياً عن يساره وفاطمة عن يمينه والحسن والحسين بين يديه، ثم التفعَ عليهم ثوبه وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. اللهم إن هؤلاء أهلي، اللهم هؤلاء أحق. وعن أم سلمة قالت: إن النبي صلّى الله عليه وآله كان في بيتها فأتته فاطمة ببرنة فيها حريرة فدخلت بها عليه قال: أدعي لي زوجك وابنيك قالت: فجاء علي وحسن وحسين عليهم السّلام فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة، وهو وهم على منام له على دكان تحته كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، قالت: فأخذ فضل الكساء وكساهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء وقال: «هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، اللهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وكرّر ذلك قالت: فأدخلت رأسي وقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنك إلى خير إنك إلى خير.

وفي هذه الآية دلالة على العصمة مع التأكيد بلفظ إنما، وبإدخال اللام في الخبر، والإختصاص في الخطاب بقوله: أهل البيت، والتكرير بقوله: يطهّركم، والتأكيد بقوله: تطهيراً. وغيرهم ليس بمعصوم فتكون الإمامة في علي عليه السلام.

ولأنه ادعاها في عدّة من أقواله كقوله: والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلّي منها محلّ القطب من الرحى.

وقد ثبت نفي الرجس عنه فيكون صادقاً. فيكون هو الإمام.

البرهان السادس

قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ...﴾. قال الثعلبي بإسناده عن أنس بن مالك وبريدة قالا: قرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله هذه الآية فقام رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول؟ فقال: بيوت الأنبياء، فقام إليه أبو بكر فقال: يارسول الله صلّى الله عليه وآله هذا البيت منها؟ يعني بيت علي وفاطمة؟ قال: نعم من أفاضلها.

ووصف فيها الرجال بما يدلّ على أفضليتهم فيكون علي هو الإمام، وإلّا لزم تقديم المفضول على الفاضل.

البرهان السابع

قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. روى أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: لما نزل: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما.

وكذا في تفسير الثعلبي، ونحوه في الصحيحين.

وغير علي عليه السلام من الصحابة الثلاثة لا تجب مودّته. فيكون علي عليه السلام أفضل فيكون هو الإمام، لأن مخالفته تنافي المودّة وامتثال أوامره يكون مودّة فيكون واجب الطّاعة، وهو معنى الإمامة.

البرهان الثامن

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. قال الثعلبي: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله لما أراد الهجرة خلّف علي بن أبي طالب عليه السلام لقضاء ديونه وردّ الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار ـ وقد أحاط المشركون بالدار ـ أن ينام على فراشه فقال له: يا علي إتّشِح ببُرْدي الحضرمي الأخضر ونم على فراشي، فإنه لايخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله عز وجل، ففعل ذلك.

فأوحى الله عز وجل إلى جبرئيل وميكائيل: إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله عز وجل إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب عليه السلام، آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، فقال جبرئيل: بخٍ بخٍ! من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة عليهم السّلام! فأنزل الله على رسوله وهو متوجّه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

وقال ابن عباس: إنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام لما هرب النبي صلّى الله عليه وآله من المشركين إلى الغار.

وهذه فضيلة لم تحصل لغيره وتدلّ على أفضليّته على جميع الصحابة، فيكون هو الإمام.

البرهان التاسع

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى

﴿الْكَاذِبِينَ﴾. نقل الجمهور كافة أن (أبناءنا) إشارة إلى الحسن والحسين، و(نساءنا) إشارة إلى فاطمة عليها السلام، و(أنفسنا) إشارة إلى علي بن أبي طالب عليهم السّلام.

وهذه الآية أدلّ دليل على ثبوت الإمامة لعلي عليه السلام، لأنه تعالى قد جعله نفس رسول الله صلّى الله عليه وآله والإتحاد محالٌ، فيبقى المراد المساوي، وله صلّى الله عليه وآله الولاية العامة، فكذا لمساويه. وأيضاً، لو كان غير هؤلاء مساوياً لهم أو أفضل منهم في استجابة الدعاء لأمره الله تعالى بأخذهم معه لأنه في موضع الحاجة، وإذا كانوا هم الأفضل تعيّنت الإمامة فيهم.

وهل تخفى دلالة هذه الآية على المطلوب إلّا على من استحوذ الشيطان عليه وأخذ بمجامع قلبه، وخُيِّل له حبّ الدنيا التي لا ينالها إلّا بمنع أهل الحق عن حقهم؟

البرهان العاشر

قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾. روى الفقيه ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن ابن عباس قال: «سئل النبي صلّى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقها آدم من ربه فتاب عليه قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليَّ، فتاب عليه»!

وهذه فضيلة لم يلحقه أحد من الصحابة فيها، فيكون هو الإمام لمساواته النبي صلّى الله عليه وآله في التوسل به إلى الله تعالى.

البرهان الحادي عشر

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي...﴾ روى الفقيه ابن المغازلي الشافعي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: انتهت الدعوة إليَّ وإلى علي، لم يسجد أحدنا لصنم قط، فاتّخذني نبياً واتّخذ علياً وصيّاً!

وهذا نص في الباب.

البرهان الثاني عشر

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾. روى الحافظ أبو نعيم بإسناده إلى ابن عباس قال: نزلت في علي عليه السلام قال: والوُدُّ محبته في قلوب المؤمنين.

وعن تفسير الثعلبي: عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي قل: اللّهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودةً»! فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.

ولم يثبت لغيره من الصحابة ذلك، فيكون أفضل منهم، فيكون هو الإمام.

البرهان الثالث عشر

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

من كتاب الفردوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أنا المنذر وعلي الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون».

ونحوه رواه أبو نعيم.

وهو صريح في ثبوت الولاية والإمامة.

البرهان الرابع عشر

قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾. من طريق الحافظ أبي نعيم عن الشعبي عن ابن عباس قال في قوله تعالى: وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ، قال: عن ولاية علي بن أبي طالب.

وكذا في كتاب الفردوس عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلّى الله عليه وآله.

وإذا سئلوا عن الولاية وجب أن تكون ثابتة له، ولم يثبت لغيره من الصحابة ذلك فيكون أفضل، فيكون هو الإمام.

البرهان الخامس عشر

قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ..﴾. روى أبو نعيم الحافظ بإسناده عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ، قال: ببغضهم عليّاً!

ولم يثبت لغيره من الصحابة ذلك، فيكون أفضل منهم، فيكون هو الإمام.

البرهان السادس عشر

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾. روى أبو نعيم الحافظ عن ابن عباس قال في هذه الآية: سابق هذه الأمة علي بن أبي طالب.

وروى الفقيه ابن المغازلي الشافعي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، قال: سبق يوشع بن نون إلى موسى وصاحب يس إلى عيسى، وسبق علي إلى محمد صلّى الله عليه وآله.

وهذه الفضيلة لم تثبت لغيره من الصحابة، فيكون هو الإمام.

البرهان السابع عشر

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ.. الآيات﴾. روى رزين بن معاوية في الجمع بين الصحاح الستة أنها نزلت في علي لما افتخر طلحة بن شيبة والعباس.

وهذه فضيلة لم تحصل لغيره من الصحابة، فيكون أفضل فيكون هو الإمام.

البرهان الثامن عشر

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. من طريق الحافظ أبي نعيم إلى ابن عباس قال: إن الله حرم كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله إلّا بتقديم الصدقة وبخلوا أن يتصدّقوا قبل كلامه وتصدّق علي ولم يفعل ذلك أحد من المسلمين غيره!

ومن تفسير الثعلبي، قال ابن عمر: كان لعلي عليه السلام ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت أحبّ إلي من حُمْرِ النعم: تزويجه بفاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

وروى رزين العبدري في الجمع بين الصحاح الستة عن علي عليه السلام: ما عمل بهذه الآية غيري، وبي خفف الله تعالى عن هذه الأمة.

وهذا يدلّ على أفضليّته عليهم، فيكون أحق بالإمامة.

البرهان التاسع عشر

قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾. قال ابن عبد البر ـ وأخرجه أبو نعيم أيضاً ـ قال: إن النبي صلّى الله عليه وآله ليلة أسري به جمع الله تعالى بينه وبين الأنبياء عليهم السّلام ثم قال له: سلهم يا محمد على ماذا بعثتم؟ فقالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله وعلى الإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب.

وهذا تصريح بثبوت الإمامة لعلي عليه السلام.

البرهان العشرون

قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾. في تفسير الثعلبي قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: سألت الله عز وجلّ أن يجعلها أذنك يا علي.

ومن طريق أبي نعيم قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يا علي إن الله عز وجل أمرني أن أدنيك وأعلّمك لتعي وأنزلت هذه الآية: أذن واعية، فأنت أذنٌ واعية للعلم».

وهذه الفضيلة لم تحصل لغيره، فيكون هو الإمام.

البرهان الحادي والعشرون

سورة هل أتى. في تفسير الثعلبي من طرق مختلفة قال: مرض الحسن والحسين

صلّى الله عليه وآله فعادهما جدّهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وعامّة العرب فقالوا له: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر صوم ثلاثة أيام وكذا نذرت أمهما فاطمة عليها السلام وجاريتهم فضة، فبرءا وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فاستقرض علي عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير.

فقامت فاطمة عليها السلام إلى صاع فطحنته واختبزت منه خمسة أقراص لكلّ واحد منهم قرصاً.

وصلّى علي عليه السلام مع النبي صلّى الله عليه وآله المغرب، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه علي عليه السلام فأمر بإعطائه فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلهم لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح. فلمّا أن كان اليوم الثاني، قامت فاطمة عليها السلام فاختبزت صاعاً وصلّى علي عليه السلام مع النبي صلّى الله عليه وآله ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فأتاهم يتيم فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه علي عليه السلام فأمر بإعطائه فأعطوه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح. فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة إلى الصاع الثالث فطحنته واختبزته، وصلّى علي مع النبي صلّى الله عليه وآله ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدّوننا ولا تطعموننا؟ أطعموني فإني أسيرُ محمد أطعمكم الله على موائد الجنة! فسمعه علي عليه السلام فأمر بإعطائه فأعطوه الطعام.

ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح.

فلمّا كان اليوم الرابع وقد وفوا نذرهم، أخذ علي عليه السلام الحسن بيده اليمنى

والحسين بيده اليسرى وأقبل على رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، فلما بصر به النبي صلّى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن ما أشدّ ما يسوءني ما أرى بكم! إنطلق بنا إلى منزل ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق ظهرها ببطنها من شدّة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها النبي صلّى الله عليه وآله قال: واغوثاه بالله، أهل بيت محمد يموتون جوعاً! فهبط جبرئيل عليه السلام على محمد صلّى الله عليه وآله فقال: يا محمد، خُذْ ما هنأك الله في أهل بيتك قال: وما آخذ يا جبرئيل؟ فأقرأه: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً...﴾.

وهي تدلّ على فضائل جمّة لم يسبق إليها أحد ولا يلحقها أحد، فيكون أفضل من غيره، فيكون هو الإمام.

البرهان الثاني والعشرون

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ..﴾ من طريق أبي نعيم عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾: محمد. ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قال: علي بن أبي طالب.

ومن طريق الفقيه الشافعي عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾، قال: جاء به محمد صلّى الله عليه وآله وصدق به علي عليه السلام.

وهذه فضيلة اختص بها عليه السلام، فيكون هو الإمام.

البرهان الثالث والعشرون

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾. من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة: قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مكتوب على العرش: لا إله إلا الله وحد لا شريك له، محمد عبدي ورسولي أيّدته بعلي بن أبي طالب، وذلك قوله تعالى في كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني علي بن أبي طالب.

وهذه من أعظم الفضائل التي لم تحصل لغيره، فيكون هو الإمام.

البرهان الرابع والعشرون

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. من طريق أبي نعيم قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

وهذه فضيلة لم تحصل لأحد من الصحابة غيره، فيكون هو الإمام.

البرهان الخامس والعشرون

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾. قال الثعلبي: إنها نزلت في علي عليه السلام.

وهذا يدلّ على أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

البرهان السادس والعشرون

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ...﴾. روى أحمد بن حنبل بإسناده إلى ابن أبي ليلى عن أبيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصدّيقون ثلاثة: حبيب بن موسى النجار مؤمن آل يس، الذي قال: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ وحزقيل مؤمن آل فرعون، الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ وعلي بن أبي طالب عليه السلام الثالث وهو أفضلهم».

ونحوه رواه الفقيه ابن المغازلي الشافعي، وصاحب كتاب الفردوس.

وهذه فضيلة تدلّ على إمامته.

البرهان السابع والعشرون

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾. من طريق أبي نعيم الحافظ بإسناده إلى ابن عباس قال: نزلت في علي كان معه أربعة دراهم فأنفق بالليل درهماً وبالنهار درهماً، وفي السرّ درهماً، وفي العلانية درهماً.

وكذا رواه الثعلبي في تفسيره.

ولم يحصل لغير علي عليه السلام ذلك، فيكون أفضل فيكون هو الإمام.

البرهان الثامن والعشرون

ما رواه أحمد حنبل عن ابن عباس، قال ليس من آية في القرآن: ﴿يا أيُّها الذين آمَنُوا﴾، إلا وعليٌّ رأسها وأميرها وشريفها وسيّدها، ولقد عاتب الله عز وجل أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله في القرآن وما ذكر علياً إلا بخير.

وهذا يدلّ على أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

البرهان التاسع والعشرون

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾. من صحيح البخاري عن كعب بن عجرة قال: سألنا رسول الله صلّى الله عليه وآله فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علّمنا كيف نسلّم؟ قال: قولوا: اللهم صلّى على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

ومن صحيح مسلم: «قلنا يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصّلاة عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم».

ولا شك في أن علياً أفضل آل محمد، فيكون أولى بالإمامة.

البرهان الثلاثون

قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾. من تفسير الثعلبي وطريق أبي نعيم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾: قال: عليٌّ وفاطمة. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾: النبي صلّى الله عليه وآله. ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾: الحسن والحسين صلّى الله عليه وآله.

ولم يحصل لغيره من الصحابة هذه الفضيلة، فيكون أولى بالإمامة.

البرهان الحادي والثلاثون

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾. من طريق الحافظ أبي نعيم عن ابن الحنفية قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام وفي تفسير الثعلبي عن عبد الله بن سلام قلت: من هذا الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: إنما ذلك علي بن أبي طالب.

وهذا يدلّ أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

البرهان الثاني والثلاثون

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾. روى أبو نعيم مرفوعاً إلى ابن عباس قال: أول من يُكسى من حلل الجنة إبراهيم لخلته من الله ومحمد صلّى الله عليه وآله لأنه صفوة الله ثم عليٌّ يزفُّ بينهما إلى الجنان. ثم قرأ ابن عباس: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، قال: عليٌّ وأصحابه.

وهذا يدلّ على أنه أفضل من غيره، فيكون هو الإمام.

البرهان الثالث والثلاثون

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾. روى الحافظ أبو نعيم بإسناده إلى ابن عباس قال: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين».

وإذا كان خير البريّة، وجب أن يكون هو الإمام.

البرهان الرابع والثلاثون

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾. في تفسير الثعلبي عن ابن سيرين قال: نزلت في النبي صلّى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب زوّج فاطمة علياً وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً.

ولم يثبت لغيره ذلك، فكان أفضل، فكان هو الإمام.

البرهان الخامس والثلاثون

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. أوجب اللّٰه تعالى علينا الكون مع المعلوم فيهم الصدق، وليس إلا المعصوم، لتجويز الكذب في غيره، فيكون هو علياً إذْ لا معصومَ من الأربعة سواه.

في حديث أبي نعيم، عن ابن عباس: إنها نزلت في علي عليه السلام.

البرهان السادس والثلاثون

قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾. من طريق أبي نعيم عن ابن عباس: أنها نزلت في رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وعلي عليه السلام خاصة، وهما أوّل من صلّى وركع.

وهو يدلّ على أفضليّته فيدلّ على إمامته.

البرهان السابع والثلاثون

قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي﴾ من طريق أبي نعيم عن ابن عباس قال: أخذ النبي صلّى اللّٰه عليه وآله بيد علي بن أبي طالب وبيدي ونحن بمكة وصلّى أربع ركعات. ثم رفع يده إلى السماء فقال: «اللهم إن موسى بن عمران سألك، وأنا محمد نبيّك، أسألك أن تشرح لي صدري وتحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي، علي بن أبي طالب عليه السلام أخي، اشدد به أزري وأشركه في أمري». قال ابن عباس: فسمعت منادياً ينادي: يا أحمد قد أوتيت ما سألت.

وهذا نصّ في الباب.

البرهان الثامن والثلاثون

قوله تعالى: ﴿إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾. من مسند أحمد بن حنبل بإسناده إلى زيد بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول اللّٰه مسجده فذكر قصة مؤاخاة رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله بين أصحابه فقال علي: لقد ذهبت روحي وانقطع ظهري حين

فعلت بأصحابك ما فعلت، غيري! فإن كان هذا من سخط علي فلك العتبى والكرامة، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالحق نبياً ما اخترتك إلا لنفسي، فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ورفيقي وأنت معي في قصري في الجنة مع ابنتي فاطمة، وأنت أخي ورفيقي، ثم تلا رسول الله صلّى الله عليه وآله: ﴿إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾. والمتحابّون في الله ينظر بعضهم إلى بعض».

والمؤاخاة تستدعي المناسبة والمشاكلة، فلما اختص علي بمؤاخاة رسول الله صلّى الله عليه وآله كان هو الإمام.

البرهان التاسع والثلاثون

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ... الآية..﴾. من كتاب الفردوس لابن شيرويه يرفعه عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لو يعلم الناس متى سمّي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمّي أمير المؤمنين وآدم بين الروح والجسد، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ قالت الملائكة: بلى، فقال تبارك وتعالى: أنا ربّكم ومحمد نبيكم وعليٌّ أميركم». وهو صريح في الباب.

البرهان الأربعون

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾. أجمع المفسرون على أن صالح المؤمنين هو علي.

وروى أبو نعيم بإسناده إلى أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقرأ هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال: صالح المؤمنين علي بن أبي طالب.

واختصاصه بذلك يدلّ على أفضليّته، فيكون هو الإمام.

والآيات المذكورة في هذا المعنى كثيرة، اقتصرنا على ما ذكرناه للإختصار.

المنهج الثالث
في الأدلّة المستندة إلى السنّة المنقولة عن النبي وهي اثنا عشر:

الأول

ما نقله الناس كافة أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾. جمع رسول الله صلّى الله عليه وآله بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلاً، وأمر أن يصنع لهم فخذ شاة مع مُدٍّ من البُرّ، ويُعِدُّ لهم صاعاً من اللَّبن، وكان الرجل منهم يأكل الجَذْعَة في مقعد واحد ويشرب الفَرَقَ من الشراب في ذلك المقام، فأكلت الجماعة كلّها من ذلك اليسير حتى شبعوا ولم يتبين ما أكلوا، فبهرهم بذلك وتبيّن لهم آية نبوّته. ثم قال: «يا بني عبد المطلب إن الله بعثني بالحق إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة فقال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللّسان ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فمن يجبني إلى هذا الأمر ويؤازرني على القيام به، يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي»؟ فلم يجب أحد منهم. فقال أمير المؤمنين: أنا يا رسول الله أؤازرك على هذا الأمر فقال: «إجلس»، ثم أعاد القول على القوم ثانية فأصمتوا وقمت فقلت مثل مقالتي الأولى، فقال: «إجلس»، ثم أعاد على القوم مقالته ثالثةً فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقمت فقلت: أنا أؤازرك يا رسول الله على هذا الأمر! فقال: «إجلس فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي»! فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: ليَهْنِكَ اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك.

الثاني

الخبر المتواتر عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، خطب الناس في غدير خم وقال للجمع كلّه: «أيها الناس ألست أولى منكم بأنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»! فقال له عمر: بخ بخ، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة!

والمراد بالمولى هنا الأولى بالتصرف، لتقدّم التقرير منه صلّى الله عليه وآله بقوله: ألستُ أولى منكم بأنفسكم؟

الثالث

قوله صلّى الله عليه وآله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيٌّ بعدي». أثبت له جميع منازل هارون من موسى صلّى الله عليه وآله، للإستثناء.

ومن جملة منازل هارون أنه كان خليفة لموسى ولو عاش بعده لكان خليفة أيضاً، وإلا لزم تطرّق النقص إليه، ولأنه خليفة مع وجوده وغيبته مدّة يسيرة، وبعد موته وطول الغيبة أولى بأن يكون خليفة.

الرابع

أنه صلّى الله عليه وآله استخلفه على المدينة مع قصر مدة الغيبة، فيجب أن يكون خليفته بعد موته، وليس غير علي عليه السلام خليفة له في حال حياته إجماعاً، لأنه لم يعزله عن المدينة فيكون خليفة له بعد موته فيها، وإذا كان خليفة في المدينة، كان خليفة في غيرها إجماعاً.

الخامس

ما رواه الجمهور بأجمعهم عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني».

وهو نصّ في الباب.

السادس

المؤاخاة: روى أنس قال: لما كان يوم المباهلة وآخى النبي صلّى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، وعليٌّ واقف يراه ويعرف مكانه، ولم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف علي باكيَ العين فافتقده النبي صلّى الله عليه وآله فقال: «ما فعل أبو الحسن»؟ قالوا: انصرف باكي العين، قال: «يا بلال إذهب فائت به»، فمضى إليه وقد دخل منزله باكي العين.

فقالت فاطمة: ما يبكيك لا أبكى الله عينيك؟ قال: آخى النبي صلّى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعرف مكاني ولم يؤاخ بيني وبين أحد!

قالت: لا يحزنك الله، لعلّه إنما ادّخرك لنفسه.

فقال بلال: يا علي أجبِ النبي صلّى الله عليه وآله.

فأتى النبي صلّى الله عليه وآله فقال: ما يبكيك يا أبا الحسن؟ فقال: آخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله وأنا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تؤاخ بيني وبين أحد، قال: «إنما إدّخرتك لنفسي، ألا يسرّك أن تكون أخا نبيّك؟ قال: بلى يا رسول الله أنى لي بذلك.

فأخذ بيده، فأرقاه المنبر فقال: اللهم إن هذا مني وأنا منه، ألا إنه مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه»!

فانصرف علي قرير العين. فاتبعه عمر فقال: بخٍ بخٍ يا أبا الحسن، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن!

والمؤاخاة تدلّ على الأفضليّة، فيكون هو الإمام.

السابع

ما رواه الجمهور كافة أن النبي صلّى الله عليه وآله لما حاصر خيبر تسعاً وعشرين ليلة، وكانت الراية لأمير المؤمنين عليه السلام، فلحقه رمد أعجزه عن

الحرب، وخرج مرحب يتعرض للحرب، فدعا رسول الله صلّى الله عليه وآله أبا بكر فقال له: خذ الراية، فأخذها في جمع من المهاجرين فاجتهد ولم يغن شيئاً ورجع منهزماً. فلما كان من الغد تعرّض لها عمر فسار غير بعيد ثم رجع يجبّن أصحابه!

فقال النبي صلّى الله عليه وآله: جيئوني بعلي عليه السلام. فقيل: إنه أرمد. فقال: أرونيه تُرُوني رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ليس بفرار. فجاءوه بعلي، فتفل في يده ومسحها على عينيه ورأسه فبرئ، وأعطاه الراية ففتح الله على يده وقتل مرحباً!

ووصفه عليه السلام بهذا الوصف يدلّ على انتفائه عن غيره، وهو يدلّ على أفضليته، فيكون هو الإمام.

الثامن

خبر الطائر: روى الجمهور كافة أن النبي صلّى الله عليه وآله أُتِيَ بطائر فقال: «اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليّ يأكل معي من هذا الطائر». فجاء علي عليه السلام فدقّ الباب فقال أنس بن مالك: إن النبي صلّى الله عليه وآله على حاجة. فانصرف. ثم قال النبي صلّى الله عليه وآله كما قال أولاً، فدقّ علي عليه السلام الباب، فقال أنس: أوَلَمْ أقل لك إن النبي صلّى الله عليه وآله على حاجة؟ فانصرف. فقال النبي صلّى الله عليه وآله كما قال في الأولين، فجاء علي عليه السلام فدقّ الباب أشدّ من الأولين، فسمعه النبي صلّى الله عليه وآله وقد قال له أنس إنه على حاجة، فأذن له بالدخول وقال: «يا علي، ما أبطأك عني»؟ قال: جئت فردّني أنس ثم جئت فردّني ثم جئت الثالثة فردّني! فقال صلّى الله عليه وآله: «يا أنس ما حملك على هذا»؟ فقال: رجوت أن يكون الدعاء لأحد من الأنصار! فقال: «يا أنس، أفي الأنصار خيرٌ من علي؟ أو في الأنصار أفضل من علي»؟

وإذا كان أحبّ الخلق إلى الله تعالى، وجب أن يكون هو الإمام.

التاسع

ما رواه الجمهور من أنه عليه السلام أمر أصحابه بأن يسلّموا على علي بإمرة المؤمنين، وقال: «إنه سيّد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجّلين»، وقال: «هذا وليُّ كلِّ مؤمن بعدي»، وقال في حقه: «إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كلّ مؤمن ومؤمنة» فيكون عليٌّ بعده كذلك.

وهذه نصوص في الباب.

العاشر

ما رواه الجمهور من قول النبي صلّى اللّه عليه وآله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض». وقال صلّى اللّه عليه وآله: «مَثَلُ أهل بيتي فيكم مثلُ سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق».

وهذا يدلّ على وجوب التمسك بقول أهل بيته عليهم السّلام وسيّدهم علي عليه السلام فيكون واجب الطاعة على الكلّ، فيكون هو الإمام دون غيره من الصحابة.

الحادي عشر

ما رواه الجمهور من وجوب محبّته وموالاته. روى أحمد بن حنبل في مسنده: أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أخذه بيده حسن وحسين وقال: «من أحبني وأحبّ هذين وأباهما وأمهما، كان معي في درجتي يوم القيامة».

وروى ابن خالويه عن حذيفة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: «من أحبّ أن يتمسك بقصبة الياقوت التي خلقها اللّه تعالى بيده ثم قال لها: كوني فكانت، فليتولّ علي بن أبي طالب من بعدي».

وعن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله لعلي: «حبّك إيمان وبغضك نفاق وأوّل من يدخل الجنة محبّك، وأوّل من يدخل النار مبغضك، وقد

جعلك أهلاً لذلك، فأنت مني وأنا منك ولا نبي بعدي».

وعن شقيق بن سلمة عن عبد الله قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: «هو وليي وأنا وليه، عاديتُ من عادى وسالمتُ من سالم».

وروى أخطب خوارزم عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «جاءني جبرئيل من عند الله عز وجلّ بورقة خضراء مكتوب فيها ببياض: إني افترضت محبّة علي بن أبي طالب عليه السلام على خلقي فبلّغهم ذلك عني».

والأخبار في ذلك لا تحصى كثرة من طرق المخالفين، وهذا يدلّ على أفضليّته واستحقاقه للإمامة.

الثاني عشر

روى أخطب خوارزم بإسناده إلى أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر».

وعن أنس قال: كنت عند النبي صلّى الله عليه وآله، فرأى علياً عليه السلام مقبلاً فقال: «أنا وهذا حجّة على أمتي يوم القيامة».

وعن معاوية بن حيدة القشيري قال: سمعت النبي صلّى الله عليه وآله يقول لعلي: «يا علي لا يبالي من مات وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً».

قالت الإمامية: إذا رأينا المخالف لنا يورد مثل هذه الأحاديث، ونقلنا نحن أضعافها عن رجالنا الثقات، وجب علينا المصير إليها وحرم العدول عنها.

المنهج الرابع
في الأدلّة على إمامته المستنبطة من أحواله وهي اثنا عشر:

الأول

أنه عليه السلام كان أزهد الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وطلّق الدنيا ثلاثاً، وكان قوته جريش الشعير وكان يختمه لئلا يضع الإمامان عليهما السلام فيه أدماً، وكان يلبس خشن الثياب وقصيرها، ورقّع مدرعته حتى استحيا من راقعها، وكانت حمائل سيفه من اللّيف، وكذا نعله.

روى أخطب خوارزم عن عمار قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «يا علي إن الله تعالى زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إليه منها: زهّدك في الدنيا وبغّضها إليك، وحبّب إليك الفقراء فرضيت بهم أتباعاً ورضوا بك إماماً. يا علي طوبى لمن أحبّك وصدّق عليك، والويل لمن أبغضك وكذب عليك. أما من أحبّك وصدّق عليك فإخوانك في دينك وشركاؤك في جنتك، وأما من أبغضك وكذب عليك فحقيق على الله تعالى يوم القيامة أن يقيمه مقام الكذّابين».

قال سويد بن غفلة: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام القصر، فوجدته جالساً بين يديه صحفة فيها لبن حازر أجد ريحه من شدة حموضته، وفي يديه رغيف أرى قشار الشعير في وجهه وهو يكسره بيده أحياناً، فإذا غلبه كسره بركبته فطرحه فيه، فقال: أدن فأصب من طعامنا هذا! فقلت: إني صائم! فقال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: من منعه الصيام من طعام يشتهيه كان حقاً على الله أن يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها. قال: فقلت لجاريته وهي قائمة بقرب منه: ويحك يا فضّة، ألا تتقين الله في هذا الشيخ؟ ألا تنخلون له طعاماً مما أرى فيه من النخالة؟ فقالت: لقد تقدّم إلينا ألا ننخل له طعاماً! قال: ما قلت لها؟ فأخبرته، فقال: بأبي وأمي من لم ينخل له

طعام ولم يشبع من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله عز وجل!

واشترى يوماً ثوبين غليظين فخيَّر قنبراً فيهما، فأخذ واحداً ولبس هو الآخر، ورأى في كمّه طولاً عن أصابعه فقطعه.

قال ضرار بن ضمرة: دخلت على معاوية بعد قتل علي أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: صف لي علياً فقلت: أعفني! فقال: لا بدّ أن تصفه، فقلت: أما إذا لابدَّ، فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس باللّيل ووحشته، غزير العبرة طويل الفكرة، يقلّب كفه ويعاتب نفسه، يعجبه من اللّباس ما خشن ومن الطعام ما جشب. وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكاد نكلّمه هيبة له، يُعظِّم أهل الدين ويقرّب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى اللّيل سدوله وغارت نجومه، قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غُرّي غيري، أبي تعرّضت أم لي تشوّفت؟ هيهات هيهات قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعُمرك قصير وخطرك يسير وعيشك حقير. آهٍ من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق!

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك!

قال معاوية: كيف كان حبّك له؟ قال: كحبّ أم موسى لموسى! قال: فما حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذُبح ولدها في حجرها، فلا ترقأ عبرتها، ولا يسكن حزنها!

وبالجملة، فزهده لم يلحقه أحد فيه، ولا يسبقه أحد إليه.

وإذا كان أزهد الناس كان هو الإمام، لامتناع تقدّم المفضول عليه.

الثاني

أنه عليه السلام كان أعبد الناس يصوم النهار ويقوم اللّيل، ومنه تعلّم الناس صلاة اللّيل ونوافل النهار، وأكثر العبادات والأدعية المأثورة عنه تستوعب الوقت. وكان يصلّي في نهاره وليلته ألف ركعة، ولم يُخِلّ بصلاة اللّيل حتى في ليلة الهرير.

قال ابن عباس: رأيته في حربه وهو يرقب الشمس فقلت: يا أمير المؤمنين ماذا تصنع؟ فقال: أنظر إلى الزوال لأصلّي، فقلت: في هذا الوقت؟ فقال: إنما نقاتلهم على الصّلاة!

فلم يغفل عن فعل العبادة في أوّل وقتها في أصعب الأوقات.

وكان إذا أريد إخراج شيء من الحديد من جسده تُرك إلى أن يدخل في الصلاة فيبقى متوجهاً إلى الله تعالى غافلاً عما سواه، غير مدرك للآلام التي تفعل به.

وجمع بين الصّلاة والزكاة فتصدّق وهو راكع، فأنزل الله تعالى فيه قرآناً يتلى.

وتصدّق بقوته وقوت عياله ثلاثة أيام حتى أنزل فيه وفيهم: هَلْ أَتَى....

وتصدّق ليلاً ونهاراً وسرّاً وجهاراً.

وناجى الرسول فقدم بين يدي نجواه صدقة فأنزل الله تعالى فيه قرآناً.

وأعتق ألف عبد من كسب يده.

وكان يؤجّر نفسه وينفق على رسول الله صلّى الله عليه وآله في الشِّعب.

وإذا كان أعبد الناس كان أفضل، فيكون هو الإمام.

الثالث

أنه كان أعلم الناس بعد رسول الله، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أقضاكم عليٌّ. والقضاء يستلزم العلم والدين.

وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

ولأنه عليه السلام كان في غاية الذكاء والفطنة شديد الحرص على التعلّم، ولازم

رسول الله صلّى الله عليه وآله الذي هو أكمل الناس ملازمة شديدة ليلاً ونهاراً من صغره إلى وفاة رسول الله. وقال صلّى الله عليه وآله: العلم في الصغر كالنقش في الحجر. فتكون علومه أكثر من علوم غيره، لحصول القابل الكامل، والفاعل التام.

ومنه استفاد الناس العلم:

أما النحو، فهو واضعه، قال لأبي الأسود الدؤلي: الكلام كلّه ثلاثة أشياء: إسم وفعل وحرف... وعلّمه وجوه الإعراب.

وأما الفقه، فالفقهاء كلّهم يرجعون إليه، أما الإمامية فظاهر، لأنهم أخذوا علمهم منه ومن أولاده. وأما غيرهم فكذلك، أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وزفر، فإنهم أخذوا عن أبي حنيفة، والشافعي قرأ على محمد بن الحسن وعلى مالك فرجع فقهه إليهما. وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي، فرجع فقهه إليه، وفقه الشافعي راجع إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على الصادق، والصّادق قرأ على الباقر، والباقر قرأ على زين العابدين، وزين العابدين قرأ على أبيه، وأبوه قرأ على علي عليه السلام. وأما مالك فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وعكرمة على عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عباس تلميذ علي عليه السلام.

وأما علم الكلام، فهو أصله ومن خطبه استفاد الناس، وكلّ الناس تلاميذه، فإن المعتزلة انتسبوا إلى واصل بن عطاء وهو كبيرهم وكان تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذ علي عليه السلام: والأشعرية تلامذة أبي الحسن علي بن أبي بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وهو شيخ من شيوخ المعتزلة.

وعلم التفسير إليه يعزى، لأن ابن عباس كان تلميذه فيه، قال ابن عباس: حدّثني أمير المؤمنين من تفسير الباء من بسم الله الرحمن الرحيم من أول اللّيل إلى آخره.

وأما علم الطريقة، فإليه منسوب، فإن الصوفيّة كلّهم يسندون الخرقة إليه.

وأما علم الفصاحة، فهو منبعه حتى قيل في كلامه أنه فوق كلامه المخلوق ودون كلام الخالق، ومنه تعلم الخطباء. وقال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماء فإني أعلم بها من طرق الأرض!

وإليه يرجع الصحابة في مشكلاتهم، ورووا في عمر قضايا كثيرة قال فيها: لولا علي لهلك عمر. وأوضح كثيراً من المشكلات:

جاء إليه شخصان كان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة، فجلسا يأكلان فجاءهما ثالث فشاركهما، فلما فرغوا رمى لهما ثمانية دراهم، فطلب صاحب الأكثر خمسة فأبى عليه صاحب الأقل، فتخاصما ورجعا إلى علي عليه السلام فقال: قد أنصفك فقال: يا أمير المؤمنين إن حقي أكثر وأنا أريد مرّ الحق، فقال: إذا كان كذلك فخذ درهماً واحداً وأعطه الباقي.

ووقع مالكا جارية عليها جهلاً في طهر واحد فحملت، فأشكل الحال فترافعا إليه فحكم بالقرعة فصوّبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: الحمد لله الذي جعل لنا أهل البيت من يقضي على سنن داود. يعني به القضاء بالإلهام.

وركبت جارية أخرى فنخستها ثالثة فوقعت الراكبة فماتت، فقضى بثلثي ديتها على الناخسة والقامصة، وصوّبه النبي صلّى الله عليه وآله.

وقتلت بقرة حماراً، فترافع المالكان إلى أبي بكر فقال: بهيمة قتلت بهيمة لا شيء على ربها! ثم مضيا إلى عمر فقضى بذلك أيضاً، ثم مضيا إلى علي عليه السلام فقال: إن كانت البقرة دخلت على الحمار في منامه فعلى ربّها قيمة الحمار لصاحبه، وإن كان الحمار دخل على البقرة في منامها فقتلته فلا غرم على صاحبها! فقال النبي صلّى الله عليه وآله: لقد قضى علي بن أبي طالب بينكما بقضاء الله عز وجلّ.

والأخبار العجيبة في ذلك لا تحصى كثرةً.

وإذا كان أعلم وجب أن يكون هو الإمام، لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾!

الرابع

أنه كان أشجع الناس، وبسيفه ثبتت قواعد الإسلام وتشيّدت أركان الإيمان، ما انهزم في موطن قطّ ولا ضرب بسيفه إلا قطّ، وطالما كشف الكرب عن وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولم يفرّ كما فرّ غيره.

ووقاه بنفسه لما بات على فراشه مستتراً بإزاره فظنّه المشركون وقد اتفقوا على قتل رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه هو، فأحدقوا به وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه فيذهب دمه ويعدو كلّ قبيل إلى رهطه. وكان ذلك سبب حفظ دم رسول الله صلّى الله عليه وآله وتمت السّلامة وانتظم به الغرض في الدعاء إلى الملّة، فلما أصبح القوم وأرادوا الفتك به ثار إليهم فتفرّقوا عنه حين عرفوه، وانصرفوا وقد ضلّت حيلتهم وانتقض تدبيرهم.

وفي غزاة بدر وهي أول الغزوات، كانت على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه المدينة، وعمره سبعة وعشرون سنة، قتل عليه السلام منهم ستة وثلاثين رجلاً بانفراده، وهم أعظم من نصف المقتولين، وشرك في الباقين.

وفي غزاة أحد انهزم الناس كلّهم عن النبي صلّى الله عليه وآله إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وحده! ورجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله نفرٌ يسيرٌ أوّلهم عاصم بن ثابت وأبو دجانة وسهل بن حنيف، وجاء عثمان بعد ثلاثة أيام، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله لقد ذهبت فيها عريضة! وتعجّبت الملائكة من ثبات علي عليه السلام وقال جبرئيل وهو يعرج إلى السماء: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي! وقتل علي عليه السلام أكثر المشركين في هذه الغزاة، وكان الفتح فيها على يديه عليه السلام.

روى قيس بن سعد عن أبيه قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أصابتني يوم

أحد ست عشرة ضربة، سقطت إلى الأرض في أربع منهنّ، فجاءني رجل حسن الوجه حسن الكلم طيب الريح فأخذ بضبعي فأقامني ثم قال: أقبل عليهم فإنك في طاعة الله وطاعة رسوله، فهما عنك راضيان. قال علي: فأتيت رسول الله صلّى الله عليه وآله فأخبرته فقال: يا علي أما تعرف الرجل؟ قلت: لا ولكن شبّهته بدحية الكلبي، فقال: يا علي أقرّ الله عينك كان جبرئيل عليه السلام.

وفي غزاة الأحزاب وهي غزاة الخندق، لما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وآله من عمل الخندق أقبلت قريش يقدمها أبو سفيان وكنانة وأهل تهامة في عشرة آلاف، وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد، ونزلوا من فوق المسلمين ومن تحتهم كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، فخرج النبي صلّى الله عليه وآله بالمسلمين وهم ثلاثة آلاف وجعل الخندق بينهم، واتفق المشركون مع اليهود وطمع المشركون بكثرتهم وموافقة اليهود. وركب عمرو بن عبدود وعكرمة بن أبي جهل ودخلوا من مضيق في الخندق إلى المسلمين وطلب المبارزة، فقام عليٌ وأجابه فقال له النبي صلّى الله عليه وآله إنه عمرو، فسكت. ثم طلب المبارزة ثانياً وثالثاً، وكلّ ذلك يقوم علي ويقول له النبي صلّى الله عليه وآله: إنه عمرو، فأذن له في الرابعة. فقال له علي عليه السلام: كنت عاهدتَ الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى احدى خلّتين إلا أخذتها منه، وأنا أدعوك إلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: أدعوك إلى النزال! قال: ما أحبّ أن أقتلك! فقال له علي عليه السلام: ولكني أحبّ أن أقتلك! فحميَ عمرو ونزل عن فرسه وتجاولا فقتله علي ووَلّدَه وانهزم عكرمة، ثم انهزم باقي المشركين واليهود!

وعنه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قتل علي لعمرو بن ود أفضل من عبادة الثقلين!

وفي غزاة بني النضير قتل علي عليه السلام رامي قبة النبي صلّى الله عليه وآله

بسهم، وقتل بعده عشرة منهم فانهزموا.

وفي غزاة السلسلة، جاء أعرابي فأخبر النبي صلّى الله عليه وآله أن جماعة من العرب قصدوا أن يبيّتوا النبي صلّى الله عليه وآله بالمدينة، فقال صلّى الله عليه وآله: من للوادي؟ فقال أبو بكر: أنا له، فدفع إليه اللّواء وضمّ إليه سبعمائة، فلما وصل إليهم قالوا له: إرجع إلى صاحبك فإنا في جمع كثير، فرجع!

فقال صلّى الله عليه وآله في اليوم الثاني: من للوادي؟ فقال عمر: أنا ذا يا رسول الله فدفع إليه الراية، ففعل كالأول!

فقال صلّى الله عليه وآله في اليوم الثالث: أين علي بن أبي طالب؟ فقال: أنا ذا يا رسول الله فدفع إليه الراية، فمضى إلى القوم فلقيهم بعد صلاة الصبح، فقتل منهم ستة أو سبعة وانهزم الباقون، وأقسم الله تعالى بفعل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً...﴾.

وقتل من بني المصطلق مالكاً وابنه، وسبى كثيراً من جملتهم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فاصطفاها النبي صلّى الله عليه وآله، فجاء أبوها في ذلك اليوم فقال: يا رسول الله ابنتي كريمة لا تسبى، فأمره بأن يخيّرها فاختارت النبي صلّى الله عليه وآله فقال: أحسنت وأجملت. ثم قال: يا بنية لا تفضحي قومك! فقالت: اخترت الله ورسوله صلّى الله عليه وآله!

وفي غزاة خيبر، كان الفتح فيها على يد أمير المؤمنين عليه السلام. دفع صلّى الله عليه وآله الراية إلى أبي بكر فانهزم، ثم إلى عمر فانهزم، ثم إلى علي عليه السلام وكان أرمد العين فتفل في عينه وخرج فقتل مرحباً فانهزم الباقون وغلّقوا عليهم الباب، فعالجه أمير المؤمنين عليه السلام فقلعه وجعله جسراً على الخندق، وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً، ودخل المسلمون الحصن ونالوا الغنائم، وقال عليه السلام: والله ما قلعت باب خيبر بقوّة جسمانية، بل بقوّة ربانية.

وكان فتحُ مكةَ بواسطته عليه السلام.

وفي غزاة حنين، خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله متوجها إليهم في عشرة آلاف من المسلمين فعاينهم أبو بكر وقال: لن نغلب اليوم من كثرة، فانهزموا ولم يبق مع النبي صلّى الله عليه وآله غير تسعة من بني هاشم، وأيمن ابن أم أيمن! وكان أمير المؤمنين بين يديه يضرب بالسيف، وقتل من المشركين أربعين نفراً فانهزموا!!

الخامس

إخباره بالغائب والكائن قبل كونه:

فأخبر بأن طلحة والزبير لما استأذناه في الخروج إلى العمرة: لا والله ما يريدان العمرة وإنما يريدان البصرة، فكان كما قال!

وأخبر وهو بذي قار جالس لأخذ البيعة: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون ولا ينقصون يبايعوني على الموت، فكان كذلك وكان آخرهم أويس القرني.

وأخبر بقتل ذي الثدية وكان كذلك.

وأخبره شخص بعبور القوم في قضية النهروان فقال: لم يعبروا، ثم أخبره آخر بذلك، فقال: لم يعبروه وإنه والله مصرعهم، فكان كذلك!

وأخبر بقتل نفسه الشريفة.

وأخبر جويرية بن مسهر بأن اللّعين يقطع يديه ورجليه ويصلبه، ففعل به معاوية ذلك.

وأخبر ميثم التمار بأنه يصلب على باب عمرو بن حريث عاشر عشرة هو أقصرهم خشبة، وأراه النخلة التي يصلب عليها، فوقع كذلك!

وأخبر رشيد الهجري بقطع يديه وزجليه وصلبه وقطع لسانه، فوقع!

وأخبر كميل بن زياد بأن الحجاج يقتله فوقع، وأن قنبراً يذبحه الحجاج، فوقع!

وقال للبراء بن عازب: إن ابني الحسين يقتل ولا تنصره، فكان كما قال. وأخبر بموضع قتله.

وأخبر بملك بني العباس وأخذ الترك الملك منهم، فقال: ملك بني العباس عُسْرٌ لا يسرَ فيه، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلسان على أن يزيلوا ملكهم لما قدروا أن يزيلوه حتى يشذّ عنهم مواليهم وأرباب دولتهم، ويُسلط عليهم ملك من الترك يأتي عليهم من حيث بدأ ملكهم لا يمرّ بمدينة إلا فتحها، ولا ترفع له راية إلا نكسها، الويل الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر، ثم يدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به. وكان الأمر كذلك حيث ظهر هولاكو من ناحية خراسان، ومنه ابتدأ ملك بني العباس، حيث بايع لهم أبو مسلم الخراساني.

السادس

أنه كان مستجاب الدعاء:

دعا على بسر بن أرطاة بأن يسلبه الله عقله، فخولط فيه!

ودعا على العيزار بالعمى فعميَ.

ودعا على أنس بن مالك لمّا كتم شهادته بالبرص، فأصابه.

وعلى زيد بن أرقم بالعمى، فعميَ!

السابع

أنه لمّا توجه إلى صفين، لحق بأصحابه عطشٌ شديد، فعدل بهم قليلاً فلاح لهم ديْرٌ فصاحوا بساكنه وسألوه عن الماء؟ فقال: بيني وبينه أكثر من فرسخين، ولولا أني أُوتى بما يكفيني كلّ شهر على التقصير لتلفت عطشاً. فأشار أمير المؤمنين إلى مكان قريب من الدير وأمر بكشفه، فوجدوا صخرة عظيمة فعجزوا عن إزالتها، فقلعها وحده ثم شربوا الماء، فنزل إليه الراهب وقال له: أنت نبيٌّ مرسل أو ملكٌ مقرب؟ قال: لا،

ولكني وصي رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأسلم على يده وقال: إن هذا الدير بني على طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها، وقد مضى جماعة قبلي ولم يدركوه، وكان الراهب من جملة من استشهد معه، ونظم القصّة السيد الحميري في قصيدته المذهّبة.

ولقد سرى فيما يسير بليلةٍ   بعد العشاء بكربلاء في موكب

الثامن

ما رواه الجمهور أن النبي صلّى الله عليه وآله لما خرج إلى بني المصطلق جنّب عن الطريق وأدركه الليل، فنزل بقرب واد وعر، فهبط جبرئيل عليه السلام آخر اللّيل وأخبره أن طائفة من كفار الجن قد استوطنوا الوادي يريدون كيده وإيقاع الشر بأصحابه، فدعا بعلي عليه السلام وعوّذه وأمره بنزول الوادي، فقتلهم.

التاسع

رجوع الشمس له مرّتين، إحداهما في زمن النبي صلّى الله عليه وآله، والثانية بعده.

أما الأولى، فروى جابر وأبو سعيد الخدري أن رسول الله صلّى الله عليه وآله نزل عليه جبرئيل يوماً يناجيه من عند الله تعالى، فلما تغشاه الوحي توسّد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس، فصلّى علي عليه السلام العصر بالإيماء، فلما استيقظ النبي صلّى الله عليه وآله قال له: سل الله تعالى يردّ عليك الشمس لتصلّي العصر قائماً، فدعا فردّت الشمس، فصلّى العصر قائماً.

وأما الثانية، فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل، اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابّهم، وصلّى بنفسه في طائفة من أصحابه العصر، وفاتت كثيراً منهم، فتكلّموا في ذلك فسأل الله تعالى ردّ الشمس فردّت. ونظمه السيد الحميري في قصيدته المذهّبة، فقال:

رُدَّت عـليه الشـمس لـمَّا فـاتَهُ وقتُ الصلاة وقد دنت للمغربِ
حـتى تـبلَّج نـورها فـي وقـتها للعصر ثم هَوَتْ هَوِيَّ الكـوكب
وعـليه قــد رُدَّت بــبابل مــرةً أخرى وما رُدت لخـلق مُـعْرِب

العاشر

مــا رواه أهــل السِّيَر: أن المـاء زاد فـي الكـوفة وخـافوا الغـرق، فـفزعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فركب بغلة رسول الله صلّى الله عليه وآله وخرج النـاس معه، فنزل على شاطئ الفرات فصلّى ثم دعا وضرب صفحة الماء بـقضيب فـي يـده، فغاض الماء وسلّم عليه كثير من الحيتان، ولم ينطق الجرّي والزمّار والمارماهي، فسئل عن ذلك فقال: أنطق الله لي ماطهر من السموك، وأصمت ماحرمه ونجّسه وأبعده.

الحادي عشر

روى جماعة أهل السيرة: أنه عليه السلام كان يخطب على منبر الكـوفة، فـظهر ثعبان فرقى المنبر، فخاف الناس وأرادوا قتله فمنعهم، فخاطبه ثم نـزل! فسأل النـاس عنه فقال: إنه حاكم من حكام الجن التبس عليه قضية فأوضحتها له! وكان أهل الكوفة يسمّون الباب الذي دخل منه باب الثعبان، فأراد بنو أمية إطفاء هذه الفضيلة فـنصبوا على ذلك الباب فيلاً مدة طويلة حتى سمي: باب الفيل.

الثاني عشر

الفضائل: إما نفسانيّة أو بدنيّة أو خارجيّة، وعلى التقديرين الأولين، فإما أن تكون متعلّقة بالشخص نفسه أو بغيره، وأمير المؤمنين عليه السلام جمع الكلّ!

أما فضائله النفسانية المتعلّقة به كعلمه وزهده وكرمه وحلمه، فهي أشهر من أن تخفى، والمتعلّقة بغيره كذلك كظهور العلوم عنه واستفادة غيره منه.

وكذا فضائله البدنية كالعبادة والشجاعة والصدقة.

وأما الخارجية فكالنسب، ولم يلحقه أحد فيه لقربه من رسول الله صلّى الله عليه

وآله وتزويجه إيّاه بابنته سيدة النساء.

وقد روى أخطب خوارزم من كبار السنّة بإسناده عن جابر قال: لما تزوّج علي فاطمة زوجه الله إياها من فوق سبع سماوات وكان الخاطب جبرئيل، وكان ميكائيل وإسرافيل في سبعين ألفاً من الملائكة شهوداً، فأوحى الله تعالى إلى شجرة طوبى أن انثري ما فيك من الدرّ والجواهر ففعلت، وأوحى الله تعالى إلى الحور العين أن القُطْنَ، فلقطنَ فهنَّ يتهادين بينهن إلى يوم القيامة.

وأورد أخباراً كثيرة في ذلك.

وكان أولاده عليهم السّلام أشرف الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وبعد أبيهم.

عن حذيفة بن اليمان قال: رأيت النبي صلّى الله عليه وآله آخذاً بيد الحسين بن علي صلّى الله عليه وآله وقال: أيها الناس، هذا الحسين بن علي ألا فاعرفوه وفضلوه، فوالله لجدّه أكرم على الله من جدّ يوسف بن يعقوب صلّى الله عليه وآله هذا الحسين بن علي جدّه في الجنة، وجدّته في الجنة، وأمّه في الجنة، وأبوه في الجنة، وعمّه في الجنة، وعمّته في الجنّة، وخاله في الجنة، وخالته في الجنة، وأخوه في الجنة، وهو في الجنة، ومحبّوهم في الجنة، ومحبو محبّيهم في الجنة.

وعن حذيفة بن اليمان قال: بتُّ عند النبي صلّى الله عليه وآله ذات ليلة، فرأيت عنده شخصاً فقال لي: هل رأيت؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: هذا مَلَكٌ لم ينزل إلي منذ بعثت، أتاني من الله فبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة!

والأخبار في ذلك كثيرة.

وكان محمد بن الحنفية فاضلاً عالماً، حتى ادّعى قوم فيه الإمامة.

الفصل الرابع: في إمامة باقي الأئمة الاثنا عشر عليهم السّلام

لنا في ذلك طرق:

أحدها

النص، وقد تواترت به الشيعة في البلاد المتباعدة خلفاً عن سلف عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال للحسين عليه السلام: هذا ابني إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة تاسعهم قائمهم، اسمه اسمي وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وقد روى ابن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي، اسمه كاسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً، فذلك هو المهدي.

رواه ابن الجوزي الحنبلي عن أبي داود وصحيح الترمذي.

الثاني

أنا قد بيّنا أنه يجب في كلّ زمان إمامٌ معصوم، وغير هؤلاء عليهم السّلام إجماعاً ليس بمعصوم.

الثالث

الفضائل التي اشتمل كلّ واحد منهم عليها عليهم السّلام، الموجبة لكونه إماماً.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الخامس: في أن من تقدمه لم يكن إماماً

ويدلّ عليه وجوه:

الأول

قول أبي بكر: إن لي شيطاناً يعتريني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوّموني! ومن شأن الإمام تكميل الرعية، فكيف يطلب منهم الكمال؟!

الثاني

قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتةً وقى الله المسلمين شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه! وكونها فلتة يدلّ على أنها لم تنبع عن رأيٍ صحيح، ثم سأل وقاية شرّها، ثم أمر بقتل من يعود إلى مثلها. وكلّ ذلك يوجب الطعن فيه.

الثالث

قصورهم في العلم والإلتجاء في أكثر الأحكام إلى علي عليه السلام.

الرابع

الوقائع الصادرة عنهم، وقد تقدّم أكثرها.

الخامس

قوله تعالى: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، أخبر بأن عهد الإمامة لا يصل إلى الظالم والكافر لقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. ولا شكّ في أن الثلاثة كانوا كفاراً

يعبدون الأصنام إلى أن ظهر النبي صلّى الله عليه وآله.

السّادس

قول أبي بكر: أقيلوني فلست بخيركم! ولو كان إماماً لم يجز له طلب الإقالة.

السابع

قول أبي بكر عند موته: ليتني كتب سألت رسول الله صلّى الله عليه وآله هل للأنصار في هذا الأمر حق؟ وهذا يدلّ على شكه في صحّة بيعة نفسه، مع أنه الذي دفع الأنصار يوم السقيفة لما قالوا: منا أمير ومنكم أمير، بما رواه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: الأئمة من قريش!

الثامن

قوله في مرضه: ليتني كنت تركت بيت فاطمة لم أكشفه، وليتني في ظلّة بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين فكان هو الأمير وكنت الوزير! وهذا يدلّ على إقدامه على بيت فاطمة عليها السلام عند اجتماع أمير المؤمنين والزبير وغيرهما فيه! وعلى أنه كان يرى الفضل لغيره لا لنفسه!

التاسع

أن رسول الله صلّى الله عليه وآله جهّز جيش أسامة وكرّر الأمر بتنفيذه، وكان فيهم أبو بكر وعمر وعثمان، ولم يُنْفِذ أمير المؤمنين عليه السلام لأنه أراد منعهم من التوثّب على الخلافة بعده، فلم يقبلوا منه.

العاشر

أن النبي صلّى الله عليه وآله لم يولّ أبا بكر شيئاً من الأعمال، وولّى غيره.

الحادي عشر

أنه صلّى الله عليه وآله أنفذه لأداء سورة براءة ثم أنفذ إليه عليًا عليه السلام وأمره بردّه وأن يتولّى هو ذلك! ومن لا يصلح لأداء سورة أو بعضها كيف يصلح للإمامة العامة

المتضمنة لأداء الأحكام إلى جميع الأمة!

الثاني عشر

قول عمر: أن محمداً لم يمت! وهو يدلّ على قلّة علمه! وأمر برجم حامل فنهاه علي عليه السلام فقال: لولا علي لهلك عمر! وغير ذلك من الأحكام التي غلط فيها وتلوّن فيها.

الثالث عشر

أبدع التراويح مع أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «يا أيها الناس إن الصّلاة باللّيل في شهر رمضان في النافلة جماعة بدعة، وصلاة الضحى بدعة، ألا فلا تجمعوا ليلاً في شهر رمضان في النافلة، ولا تصلّوا صلاة الضحى، فإن قليلاً في سنّة خير من كثير في بدعة، ألا وإن كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة سبيلها إلى النار»!

وخرج عمر في شهر رمضان ليلاً فرأى المصابيح في المساجد فقال: ما هذا؟ فقيل له: إن الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوع، فقال: بدعة ونعمت البدعة! فاعترف بأنها بدعة.

الرابع عشر

أن عثمان فعل أموراً لا يجوز فعلها، حتى أنكر عليه المسلمون كافة، وأجمعوا على قتله أكثر من إجماعهم على إمامته وإمامة صاحبيه.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل السادس: في نسخ حججهم على إمامة أبي بكر

احتجوا بوجوه:

الأول

الإجماع. والجواب منع الإجماع. فإن جماعة من بني هاشم لم يوافقوا على ذلك، وجماعة من أكابر الصحابة كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وحذيفة وسعد بن عبادة وزيد بن أرقم وأسامة بن زيد وخالد بن سعيد بن العاص.. حتى أن أباه أنكر ذلك وقال: من استخلف الناس؟ فقالوا: ابنك فقال: وما فعل المستضعفان إشارة إلى علي والعباس؟ فقالوا: اشتغلوا بتجهيز رسول الله، ورأوا أن ابنك أكبر الصحابة سناً، فقال: أنا أكبر منه! وكبني حنيفة كافة، لم يحملوا الزكاة إليه حتى سمّاهم أهل الردّة وقتلهم وسباهم، وأنكر عمر عليه وردّ السبايا أيام خلافته.

وأيضاً، الإجماع ليس أصلاً في الدلالة، بل لابدّ أن يستند المجمعون إلى دليل على الحكم حتى يجمعوا عليه وإلا لكان خطأ، وذلك الدليل إما عقلي وليس في العقل دلالة على إمامته، وإما نقلي وعندهم أن النبي صلّى الله عليه وآله مات عن غير وصية ولا نص على إمامته والقرآن خال منه. فلو كان الإجماع متحققاً كان خطأ فتنتفي دلالته.

وأيضاً، الإجماع، إما أن يعتبر فيه قول كلّ الأمة، ومعلوم أنه لم يحصل، بل ولا إجماع أهل المدينة أو بعضهم، وقد أجمع أكثر الناس على قتل عثمان. وأيضاً، كلّ

واحد من الأمة يجوز عليه الخطأ، فأي عاصم لهم عن الكذب عند الإجماع؟

وأيضاً، قد بيّنا ثبوت النص الدالّ على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام فلو أجمعوا على خلافه كان خطأ، لأن الإجماع الواقع على خلاف النصّ يكون خطأً عندهم.

الثاني

ما رووه عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: إقتدوا باللّذين من بعدي أبي بكر وعمر.

والجوابُ: المنع من الرواية، ومن دلالتها على الإمامة، فإن الإقتداء بالفقهاء لا يستلزم كونهم أئمة.

وأيضاً، فإن أبابكر وعمر اختلفا في كثير من الأحكام، فلا يمكن الإقتداء بهما.

وأيضاً، فإنه معارض بما رووه من قوله: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، مع إجماعهم على انتفاء إمامتهم.

الثالث

ما ورد فيه من الفضائل.

كآية الغار وقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، والدّاعي هو أبو بكر. وأنه كان أنيس رسول الله صلّى الله عليه وآله في العريش يوم بدر، وأنفق على النبي صلّى الله عليه وآله، وتقدّم في الصلاة.

والجواب: أنه لا فضيلة له في الغار لجواز أن يستصحبه حذراً منه لئلا يظهر أمره!

وأيضاً، فإن الآية تدلّ على نقصه لقوله: لا تَحْزَنْ، فإنه يدل على خَوَره وقلّة صبره وعدم يقينه بالله تعالى، وعدم رضاه بقضاء الله وقدره! لأن الحزن إن كان طاعة استحال أن ينهى النبي صلّى الله عليه وآله عنه، وإن كان معصية كان ما ادّعوه فضيلة رذيلة.

وأيضاً، فإن القرآن حيث ذكر إنزال السكينة على رسول الله صلّى الله عليه وآله، شرّك معه المؤمنين، إلّا في هذا الموضع، ولا نقص أعظم منه.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الَّذِي..﴾.

فإن المراد به أن أبا الدحداح حيث اشترى نخلة شخص لأجل جاره، وقد عرض النبي صلّى الله عليه وآله على صاحب النخل نخلة في الجنة فأبى، فسمع أبو الدحداح فاشتراها ببستان له ووهبها للجار، فجعل له رسول الله صلّى الله عليه وآله بستاناً عوضها في الجنة.

وأمّا قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾.

فإنه أراد الذين تخلّفوا عن الحديبية، والتمس هؤلاء أن يخرجوا إلى غنيمة خيبر فمنعهم الله بقوله: ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا..﴾ الآية، لأنه تعالى جعل غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ثم قال: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ..﴾ يريد أنه سندعوكم فيما بعد إلى قتال قوم أولي بأس شديد، وقد دعاهم النبي صلّى الله عليه وآله إلى غزوات كثيرة، كمؤتة وحنين وتبوك وغيرها، وكان الداعي رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وأيضاً، جاز أن يكون عليّاً عليه السلام حيث قتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وكان رجوعهم إلى طاعته إسلاماً لقوله: «يا علي حربك حربي»، وحرب رسول الله صلّى الله عليه وآله كفر.

وأمّا كونه أنيسه في العريش يوم بدر. فلا فضل فيه، لأن النبي صلّى الله عليه وآله كان أنسه بالله تعالى مغنياً له عن كلّ أنيس، لكن لما عرف النبي صلّى الله عليه وآله أن أمره لأبي بكر بالقتال يؤدي إلى فساد الحال، حيث هرب عدّة مرّات في غزواته. فأيّما أفضل: القاعد عن القتال أو المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله؟

وأمّا إنفاقه على رسول الله صلّى الله عليه وآله. فكذبٌ، لأنه لم يكن ذا مال، فإن أباه كان فقيراً في الغاية، وكان ينادي على مائدة عبد الله بن جدعان بمُدّ في كلّ يوم

يقتات به، فلو كان أبو بكر غنياً لكفى أباه!

وكان أبو بكر في الجاهلية معلّماً للصبيان، وفي الإسلام كان خيّاطاً، ولمّا ولي أمر المسلمين منعه الناس من الخياطة فقال: إني أحتاج إلى القوت! فجعلوا له في كلّ يوم ثلاثة دراهم من بيت المال! والنبي صلّى الله عليه وآله كان قبل الهجرة غنياً بمال خديجة، ولم يحتج إلى الحرب وتجهيز الجيوش، وبعد الهجرة لم يكن لأبي بكر شيء البتة على حال من الأحوال!

ثم لو أنفق، لوجب أن ينزل فيه قرآن كما نزل في علي: هَلْ أَتَى.. ومن المعلوم أن النبي صلّى الله عليه وآله كان أشرف من الذين تصدّق عليهم أمير المؤمنين عليه السلام والمال الذي يدّعون إنفاقه كان أكثر، فحيث لم ينزل شيء دلّ على كذب النقل.

وأمّا تقدّمه في الصلاة. فخطأ، لأن بلالاً لمّا أذّن بالصّلاة أمرت عائشة أن يقدّم أبو بكر، فلما أفاق النبي صلّى الله عليه وآله سمع التكبير فقال: من يصلّي بالناس؟ فقالوا أبو بكر فقال: أخرجوني! فخرج بين علي عليه السلام والعباس فنحّاه عن القبلة وعزله عن الصّلاة، وتولّى هو الصّلاة.

فهذا حال أدلّة هؤلاء!

فلينظر العاقل بعين الإنصاف ويقصد طلب الحق دون اتباع الهوى، ويترك تقليد الآباء والأجداد، فقد نهى الله تعالى في كتابه عن ذلك، ولا تلهه الدنيا عن إيصال الحق إلى مستحقه، ولا يمنع المستحق عن حقه.

فهذا آخر ما أردنا إثباته في هذه المقدمة، والله الموفق للصواب.

فرغت من تسويده في جمادى الأولى من سنة تسع وسبعمائة بناحية خراسان، وكتب حسن بن يوسف المطهر مصنف الكتاب.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين

شرحُ

منهاج الكرامة

والردُّ على منهاج ابن تيميّة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والسلام على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين.

وبعد؛ فإن الشيخ أبا منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي (٧٢٦)، علامة الشيعة على الإطلاق في جميع الآفاق، ومؤلّفاته من عمدة المراجع في المذهب في مختلف العلوم، من الفقه والأصول والكلام والفلسفة وغيرها. وله قدس سرّه كتب قيّمة، منها هذا الكتاب (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة)، الذي حوى -على صغره- أمّهات المسائل الخلافيّة التي أشار إلى أدلّة الإمامية فيها، تاركاً الحكم بعد ذلك للقارئ البصير الباحث المنصف.

وهذا الكتاب هو الذي ردّ عليه الشيخ أحمد بن عبد الحليم الحرّاني المعروف بابن تيمية (٧٢٨)، بكتاب (الردّ على الرافضي) الذي عرف فيما بعد بـ(منهاج السُّنّة).

ولأهميّة كتاب العلّامة قدس سرّه وضرورة مناقشة كلمات ابن تيميّة، عمدتُ إلى شرحه، وإثبات مطالبه، وإزاحة الشبهات التي أثيرت حولها. فجاء مقارنة للمنهجين، جامعاً للأقوال والأدلّة من كتب علماء الفريقين المشهورة المعتمدة، مع تحقيقات قيمة ومطالب عالية لا تخفى قيمتها عن أهلها.

وهذا أوان الشروع في (شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) الذي أرجو أن يكون النافع لي في يوم القيامة، والله أسأل أنْ يوفّقني لإتمامه، وينفع به الباحثين عن الحق المبين بمحمد وآله الطاهرين الطيّبين، إنه سميع مجيب.

علي الحسيني الميلاني



شرح المقدّمة

قال المؤلف قدس سره: أما بعد؛ فهذه رسالة شريفة ومقالة لطيفة، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، وهي مسألة الإمامة.

الشرح:

مكانة الإمامة في الدّين

وصف المؤلّف قدس سره الإمامة بـ«أهمّ المطالب في أحكام الدّين، وأشرف مسائل المسلمين... وهي أحد أركان الإيمان»، ثم استشهد على ذلك بالحديث النبويّ الآتي. وهذا السياق ظاهر بل صريح في أن المراد هو الأهمّ في حدود الدّين وبالإضافة إلى غيرها من (مسائل المسلمين). وهل يتحقق (الدين) ويصدق عنوان (المسلمين) إلا (بالإيمان بالله ورسوله)؟ فالمراد: كون (الإمامة) أهمّ المطالب بعد الإيمان بالله ورسوله صلّى الله عليه وآله، والإمامة كما عرفها الشيعة والسنة ـ كما في شرح المواقف وغيرها ـ: «رئاسة في الدّين والدنيا لشخص نيابة عن النبي صلّى الله عليه وآله»[1].

---

(١) شرح المواقف ٨ / ٣٤٥، شرح المقاصد ٢ / ٢٧٢.

ولم يكن هذا بذاك الغموض حتى لا يفهمه ابن تيمية، فيورد عليه بما لا طائل تحته، ويستدلّ ـ على أن الإيمان بالله ورسوله أهمّ[١] ـ بما لا حاجة إليه.

قال قدس سره: التي يحصل بسبب إدراكها نيلُ درجة الكرامة

الشرح:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٢] فبالتقوى والكون مع الصادقين تُنال درجة الكرامة، وكلّما يكون الإنسان أقرب إلى الصادقين بالجنان والجوارح يكون أكثر عبودية لله وامتثالاً له في أوامره ونواهيه، فيكون أتقى، ومن كان أتقى كان أكرم، كما في الآية المباركة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣].

وبالجملة، إذا أدرك الإمامة وعرف الإمام ائتمّ به، فكان هذا الإدراك سبباً لنيل درجة الكرامة، وكلّما كان الانقياد أكثر كانت درجة الكرامة أعلى وأرفع.

فهذا شرح هذا الكلام والدليل عليه، وهكذا يسقط قول ابن تيمية من «أنّ مجرد معرفة إمام وقته وإدراكه لا يستحق به الكرامة...».

قال قدس سره: وهي أحدُ أركان الإيمان، المستحَقّ بسببه الخلود في الجنان، والتخلّص من غضب الرحمن...

الشرح:

وهذه هي الكرامة التي لا تحصل، بعد الإيمان بالله ورسوله صلّى الله عليه وآله إلا بإدراك (الإمامة)، ولذا كانت أحد أركان الإيمان، بحيث تنتفي (الكرامة) بانتفاء أحدها.

فإن قيل: فالإمامة آخر المراحل، فكيف تكون أهم وأشرف؟

---

(١) منهاج السنة ١ / ٧٥.

(٢) سورة التوبة: ١١٩.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

قلنا: قد أشرنا إلى أن الإمامة نيابة النبوّة، والنبوّة من الله، كما أشرنا من قبل إلى أن الإمامة أهمّ المطالب في أحكام الدين، والدين هو الإيمان بالتوحيد والرسالة، فسقط السؤال المذكور.

قال قدس سره: وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

الشرح:

حديث: «من مات...» من أصحّ الأحاديث المتّفق عليها، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهذا أحد ألفاظه، وهو موجود في كتب الفريقين[1]، وله ألفاظ أخرى، ولا بدّ أن ترجع كلّها إلى معنى واحد ومقصد فارد، وهو ما صرّح به ونصّ عليه اللّفظ الأول. فتأمّل.

كقوله: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».

وقوله: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية».

وقوله: «من مات وليس عليه طاعة إمام مات ميتة جاهلية».

وقوله: «من خرج من الطّاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية».

وقوله: «من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية»[2].

وهذا الحديث أحد الأدلّة النقلية على أن الإمامة «أحد أركان الإيمان..» مع أدلّة عقلية ونقلية أخرى مذكورة في مظانّها.

---

(١) راجع من كتب أهل السنّة: شرح المقاصد ٢ / ٢٧٥ وشرح العقائد النسفية: ٢٣٢.

(٢) مسند أحمد ١ / ٢٩٧ و ٣١٠ و ٢ / ٧٠ و ٨٣ و ٩٤ و ١٢٣ و ١٥٤ و ٣ / ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤ / ٩٦. صحيح مسلم ٦ / ٢١، ٢٢. مجمع الزوائد ١ / ٣٢٤ و ٥ / ٢١٨ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥.

قال قدس سره: خدمت بها خزانة السّلطان الأعظم...

الشرح:

السلطان محمد أولجايتو خان خدابنده ابن أرغون بن ابقاخان بن هولاكو بن تولي بن جنكيز خان المغولي، و(أولجايتو) لقب له، ومعناه: السّلطان الكبير المبارك، و (خدابنده) أي: عبد اللّه، وقيل: (خربنده)، أي: كبير العباد. ولد سنة ٦٨٠ وتوفي سنة ٧١٦. وكان تشيّعه على المشهور على يد العلّامة سنة ٧٠٨ في خبر ذكر في ترجمة العلّامة من كتب التراجم. فراجع كتاب: أعيان الشيعة[١] وغيره.

وقد أشار إلى الخبر الحافظ ابن حجر في ترجمته في الدرر[٢].

***



(١) أعيان الشيعة ٥ / ٤٠٠.

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢ / ٧٢.

الفصل الأوّل



في نقل المذاهب في هذه المسألة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قال قدس سره: ذهبت الإمامية إلى أن الله تعالى عَدْلٌ حكيمٌ لا يفعل قبيحاً ولا يُخِلُّ بواجب، وأن أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وحكمة، وأنه لا يفعل الظلم ولا العبث، وأنه رؤوف بالعباد يفعل بهم ما هو الأصلح لهم والأنفع، وأنه تعالى كلّفهم تخييراً لا إجباراً، ووعدهم بالثواب وتوعّدهم بالعقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين عليهم السّلام، بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي؛ وإلّا لم يبق وثوق بأقوالهم...»

الشرح:

الإشارة إلى اصول الدين عند الامامية

اعترض ابن تيمية على التعرّض لمسائل القدر ونحوها: بأن «إدخال مسائل القدر والتعديل والتجويز في هذا الباب كلام باطل من الجانبين؛ لأنها مسائل لا تتعلّق بالإمامة...»[1].

قلت: صحيح أن هذه المسائل لا علاقة لها مباشرة بالإمامة، ولذا لم يتعرّض لها العلّامة في هذا الكتاب ولم يفصّل الكلام في إثباتها فيه، فإنه مُصنّفٌ في الإمامة، غير أنه أشار إلى تلك المسائل هنا مقدّمة للقول بوجوب نصب الإمام على الله تعالى، فإن

---

(١) منهاج السنة ١ / ١٢٧.

مذهب الإماميّة أن مقتضى عدل الباري وحكمته وأنه لا يفعل قبيحاً ولا يخلّ بواجب، أن ينصب الإمام كما يقتضي أن يرسل رسولاً.. وشرح ذلك موكول إلى الكتب المفصّلة المصنفة في هذا الشأن(١).

فهذا مراد العلّامة وهو ظاهر لمن تأمّل كلامه، فلا يرد عليه الاعتراض بما ذكر. وكذا اعتراضه بأن: «ما نقله عن الإمامية ليس تمام قولهم...» ساقط.

نصبُ الإمام لطفٌ

قال قدس سره: ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول صلّى اللّه عليه وآله بالأئمة عليهم السّلام فنصب أولياء معصومين ليأمن الناس من غلطهم وسهوهم وخطئهم...

الشرح:

واعترض عليه: «إن أراد بقوله: نصب... أنه مكّنهم وأعطاهم القدرة على سياسة الناس حتى ينتفع الناس بسياستهم، فهذا كذب واضح وهم لا يقولون بذلك، بل يقولون: إن الأئمة مقهورون مظلومون. وإن قيل: المراد بنصبهم أنه أوجب على الخلق طاعتهم، فإذا أطاعوهم هدوهم، لكن الخلق عصوهم. فيقال: فلم يحصل بمجرّد ذلك...»(٢).

قلت: قول العلّامة «ليأمن» تعليل لاشتراط العصمة، و«لئلا...» تعليل للنصب.

ثم إن (النصب) شيء و(التصرّف) شيء آخر، فلا وجه لأن يراد (التصرّف) من (النصب)، كما أنه ليس المراد (بنصبهم) أنه أوجب على الخلق طاعتهم، بل المراد من

---

(١) منها كتابه: نهج الحق وكشف الصدق.

(٢) منهاج السنة ١ / ١٣١.

(النصب) هو الإقامة والجعل، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[1]، فالله تعالى أوجدهم وجعلهم الأدلّاء عليه لطفاً ورحمة بالعباد، كما تنصب الرّايات في الطرقات لاهتداء العابرين بها لطفاً ورحمة بهم. فحال الإمام حال الراية، من خالف ضلّ، ومن اهتدى بلغ الغاية.. ولا ملازمة حتى يقال: «فلم يحصل بمجرّد ذلك في العالم لا لطف ولا رحمة». كما لا ينكر اهتداء أقوام من الناس بهم، فقول ابن تيمية: «إن ما حصل تكذيب الناس لهم ومعصيتهم إيّاهم» كذب. فهذا سرّ التعبير بـ(النصب).

ثم إن من الأئمة من حصل له التمكّن ومنهم من لم يحصل، كما كان الحال بالنسبة إلى الأنبياء والمرسلين، ومنهم من سيحصل له ذلك، وهو المهديّ المنتظر المتّفق على القول به بين المسلمين، وبه فسّر قوله عز وجلّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ..﴾[3] وغيرهما من آيات الكتاب، حيث يحصل من وجوده وتصرّفه النفع العام للعالم كلّه، كما كان إيجاده ونصبه إماماً لطفاً ورحمة بالعباد.

مضافاً إلى أن طوائف من الناس انتفعوا به في غيبته في قضايا شخصيّة أو وقائع عامّة أثبتها المحدّثون الأثبات في كتبهم الخاصّة به.

وبهذا المجمل يسقط قول ابن تيمية: «وأيضاً، فالمؤمنون بالمنتظر لم ينتفعوا به ولا حصل لهم به لطف...».

قال قدس سره: فينقادون إلى أوامرهم، لئلا يُخلي الله تعالى العالم من لطفه ورحمته. وأنه تعالى لمّا بعث رسوله محمداً صلّى الله عليه وآله قام بنقل الرسالة، ونصّ على أن الخليفة بعده علي بن أبي طالب، ثم من بعده ولده الحسن الزكيّ ثم

---

(١) سورة الأنبياء: ٧٣.

(٢) سورة النور: ٥٥.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٥.

الحسين الشهيد، ثم علي بن الحسين زين العابدين... وأن النبي صلّى الله عليه وآله لم يمت إلّا عن وصية بالإمامة.»

الشرح:

ستعرف ذلك بالتفصيل، حيث نذكر النصوص والبراهين على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

الإشارة إلى اصول الدين عند أهل السنّة

قال قدس سره: وذهب أهل السنّة إلى خلاف ذلك كلّه، فلم يثبتوا العدل والحكمة في أفعاله تعالى!..»

الشرح:

واعترض عليه ابن تيمية: «أن قوله عن أهل السنّة إنهم لم يثبتوا... نقل باطل عنهم من وجهين:

أحدهما: إن كثيراً من أهل السنّة ـ الذين لا يقولون في الخلافة بالنص على علي ولا بإمامة الاثني عشر ـ يثبتون ما ذكره من العدل والحكمة على الوجه الذي قاله هو، وشيوخه عن هؤلاء أخذوا ذلك، كالمعتزلة وغيرهم ممن وافقهم من متأخري الرافضة على القدر، فنقله عن جميع أهل السنّة ـ الذين هم في اصطلاحه واصطلاح العامّة من سوى الشيعة ـ هذا القول كذب بيّن منه.

الوجه الثاني: إن سائر أهل السنّة الذين يقرّون بالقدر ليس فيهم من يقول إن الله تعالى ليس بعدل، ولا من يقول إنه ليس بحكيم، ولا فيهم من يقول إنه يجوز أن يترك واجباً ولا أن يفعل قبيحاً، فليس في المسلمين من يتكلّم بمثل هذا الكلام الذي من أطلقه كان كافراً مباح الدم باتفاق المسلمين...»[1].

---

(١) منهاج السنة ١ / ١٣٣.

أقول: وكلا الوجهين جهل أو تجاهل؛

أمّا الأوّل، فيبطله أن مقصود العلاّمة من (أهل السنّة) هنا خصوص (الأشاعرة)، ويشهد به قوله في نفس هذه المسألة في كتاب آخر: «قالت الإماميّة ومتابعوهم من المعتزلة... وقال الأشاعرة: ليس جميع أفعال الله...»[1].

وأما الثاني، فيكذّبه ما نصّ عليه الحافظ ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ في الفصَل: ٣/ ١٦٠، والشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ في الملل والنحل: ١/ ٩٢، والقاضي العضد المتوفى سنة ٧٥٦ في المواقف، وسيأتي تفصيل الكلام عليه في الفصل الثاني.

قال قدس سره: وأنه تعالى لا يفعل لغرض، بل كلّ أفعاله لا لغرض من الأغراض، ولا لحكمة ألبتّة، وأنه تعالى يفعل الظلم والعبث، وأنه لا يفعل ما هو الأصلح للعباد، بل ما هو الفساد في الحقيقة...

الشرح:

أقول: سيأتي مزيد من الكلام على هذا كلّه في الفصل الثاني من الكتاب.

وقد ذكر الفخر الرازي بتفسيره ما نصّه: «أن العبد لا يستحق على الطاعة ثواباً، ولا على المعصية عقاباً استحقاقاً عقلياً واجباً. وهو قول أهل السنّة واختيارنا»[2].

لكن ابن تيمية يقول في جواب العلاّمة في هذا الموضع: «فهذا فرية على أهل السنّة»[3]، فانظر من المفتري؟

وأمّا أن أفعاله ليست لغرض.. فلم ينكره ابن تيمية، واستدلّ له الرازي عقلاً ونقلاً، قال: «أمّا النصوص فأكثر من أن تعدّ، وهي على أنواع، منها ما يدلّ على أن الإضلال بفعل الله...، ومنها ما يدلّ على أن الأشياء كلّها بخلق الله...»[4]، وقال: «قول أصحابنا:

---

(١) نهج الحق وكشف الصدق: ٧٣.

(٢) التفسير الكبير ٢/ ١٢٨.

(٣) منهاج السنة ١/ ٤٦٦.

(٤) التفسير الكبير ٢٨/ ٢٣٣.

وهو أنه يحسن منه كلّما أراد، ولا يعلّل شيء من أفعاله بشيء من الحكمة والمصالح»[١].

قال قدس سره: وأن الأنبياء عليهم السّلام غير معصومين! بل قد يقع منهم الخطأ والزلل والفسوق والكذب والسهو، وغير ذلك!

الشرح:

اعترض عليه ابن تيمية بأن «ما نقله عنهم أنهم يقولون أن الأنبياء غير معصومين فهذا الإطلاق نقل باطل عنهم؛ فإنّهم متّفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلّغون عن الله تعالى»[٢].

قلت: قد ذكر العلاّمة مذهب الإماميّة ومخالفيهم في هذه المسألة على الإجمال، فقال: بأن الإماميّة ذهبوا إلى وجوب عصمتهم «بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي؛ وإلّا لم يبق وثوق بأقوالهم وأفعالهم فتنتفي فائدة البعثة»، وأن أهل السنّة ذهبوا إلى «أن الأنبياء غير معصومين...» فأجمل القول في الموردين، ولم يفصّل أن هذه العصمة متى هي؟ وفي أي شيء؟ وعن أيّ شيء؟ نعم، ظاهر عبارته في طرف مذهب الإماميّة هو الإطلاق، وهو كذلك، فإن مذهبهم أنه لا يقع من الأنبياء السهو ولا النسيان، ولا تصدر منهم المعصية، لا الصغيرة ولا الكبيرة، لا سهواً ولا عمداً، ولا فرق في ذلك كلّه بين حال قبل النبوّة وحال بعدها، فيما يبلّغونه عن الله تعالى وفي غيره.

وقد نفى هذا الإطلاق عن أهل السنّة، لا أنه نسب إليهم كونهم غير معصومين مطلقاً، حتى يقال بأنهم متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلّغونه عن الله تعالى...، وسيأتي بعض التفصيل في المسألة في الفصل الثاني.

---

(١) التفسير الكبير ١٧ / ١١.

(٢) منهاج السنة ١ / ٤٧٠.

قولهم: النّبي لم ينص على أحد

قال قدس سره: وأن النبي صلّى الله عليه وآله لم ينصّ على إمام بينهم.

الشرح:

أجاب ابن تيميّة: «ليس هذا قول جميعهم، بل قد ذهبت طوائف من أهل السنّة إلى أن إمامة أبي بكر ثبتت بالنص»[١].

أقول: هذا كذب، فإن ما ذكر العلّامة قول جميعهم ـ إلا البكريّة، ولا عبرة بهم؛ لأنهم شرذمة شاذّة تعصّبوا لأبي بكر، واختلقوا في فضله وخلافته النصوص كما ستعرف ـ ففي المواقف وشرحها: «والإمام الحقّ بعد النبي صلّى الله عليه وآله أبو بكر، ثبتت إمامته بالإجماع وإن توقّف فيه بعضهم... ولم ينصّ رسول الله صلّى الله عليه وآله على أحد، خلافاً للبكريّة، فأنهم زعموا النص على أبي بكر، وللشيعة، فإنّهم يزعمون النص على علي كرّم الله وجهه، إمّا نصاً جلياً وإما نصاً خفيّاً. والحقّ عند الجمهور نفيهما»[٢]، وبه اعترف أهل الحديث كالمناوي[٣].

فقوله: «ليس هذا قول جميعهم بل قد ذهبت طوائف...» كذب. نعم هو مذهب البكريّة، لكن النصّ الذي يزعمونه من وضعهم ولا أصل له عن النبي صلّى الله عليه وآله، قال الحافظ ابن الجوزي: «قد تعصّب قوم لا خلاق لهم يدّعون التمسك بالسنّة، فوضعوا لأبي بكر فضائل»[٤]، وهؤلاء هم (البكريّة) بالتحديد كما في كلام ابن أبي الحديد، قال:

«فلمّا رأت البكريّة ما صنعت الشيعة، وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه

---

(١) منهاج السنّة ١/ ٤٨٦.

(٢) شرح المواقف ٨/ ٣٥٤.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢/ ٧٢.

(٤) الموضوعات ١/ ٣٠٣.

الأحاديث، نحو: (لو كنت متخذاً خليلاً)، فإنّهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء. ونحو: (سدّ الأبواب)، فإنه كان لعلي عليه السلام فقلبته البكريّة إلى أبي بكر. ونحو: (إيتوني بدواة وبياض أكتب فيه لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان، ثم قال: يأبى الله والمسلمون إلّا أبا بكر)، فإنّهم وضعوه في مقابلة الحديث المرويّ عنه في مرضه: (إيتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلّون بعده أبداً، فاختلفوا عنده، وقال قوم منهم: لقد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله). ونحو حديث: (أنا راض عنك فهل أنت عنّي راض؟)، ونحو ذلك»[1].

ولا يخفى أن هذه الأحاديث هي النصوص التي ربّما يستدلّون بها على خلافة أبي بكر، ثم يذعنون بعدم اعتبارها سنداً أو سنداً ودلالة، ومنها حديث: «اقتدوا باللّذين من بعدي أبي بكر وعمر» حيث استدلّ به في بعض كتب الأصوليين، وقد نصّ غير واحد من محققيهم ـ كالبزار وابن حزم والعبري والحفيد ـ على أنه موضوع.. وقد حقّقنا ذلك في رسالة مفردة جيّدة، طبعت ـ والحمد لله ـ في كتابنا (الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة).

قال قدس سره: وأنه مات عن غير وصيّة.

الشرح:

قد عرفت من عبارة المواقف وشرحها ـ وهما من أجلّ الكتب الكلاميّة عندهم ـ: أن أهل السنّة ـ عدا البكريّة ـ على أن خلافة أبي بكر ثبتت بالإجماع، وفيه ما فيه، وأنه لا نصّ ولا وصيّة.. والأصل في قولهم بعدم الوصيّة هو قول عمر، وقد قيل له: لو استخلفت: «إن أستخلف فقد استخلف أبو بكر، وإن لم أستخلف لم يستخلف رسول الله صلّى الله عليه وآله»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١ / ٤٩.

(٢) مسند أحمد ١ / ٤٧، صحيح البخاري ٨ / ١٢٦، صحيح مسلم ٦ / ٥، سنن الترمذي ٣ / ٣٤١.

ولا يخفى ما في القول بموت النبي صلّى الله عليه وآله بلا وصيّة، ولعلّه من هنا اضطرب بعضهم في تصحيحه وحاولوا توجيهه والتخلّص منه، ولو بخلط الغث بالسمين.. لكن حاشاه من أن يترك الأمّة ويفارقها بلا وصيّة، وهو على علم بما سيكون من بعده من المنافقين والأئمة المضلّين.. وقد أمر الله سبحانه في محكم كتابه وهو عليه وآله الصّلاة والسلام في الأحاديث المتّفق عليها بالوصيّة.

من الشواهد على عدم النص على أبي بكر

ثم إنه يشهد بما ذهب إليه جمهورهم من عدم النصّ والوصيّة في خلافة أبي بكر أمور، نكتفي هنا بالإشارة إليها، وستعرّض لها بالتفصيل فيما بعد:

١ ـ النزاع في السقيفة بين المهاجرين والأنصار، وإباء جماعة من أعلام المهاجرين، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام وبنو هاشم عن البيعة لأبي بكر.

٢ ـ أنه على فرض وجود النصّ أو الوصيّة وخفاء ذلك على من أبى البيعة أو نازع، لكان من الواجب على أبي بكر أو غيره العالم بذلك إظهاره؛ حسماً للنزاع وإخماداً للفتنة ورفعاً للخلاف.

٣ ـ قول أبي بكر: «أقيلوني...».

٤ ـ قول عمر: «كانت بيعة أبي بكر فلتة».

٥ ـ ما روي عن عائشة أنها سُئلت: «من كان رسول الله صلّى الله عليه وآله مستخلفاً لو استخلف؟»[1].

وأورد ابن تيميّة أحاديث في كلام طويل يتضمّن وجود النص والوصيّة على خلافة أبي بكر، ولكن ذلك خفي عليه وعلى ابنته وعمر وسائر المهاجرين والأنصار!!

(١) منهاج السنة ١ / ٤٩٧.

وهل من عاقل يرتضي هذا القول؟! وكيف ظهر لهذا القائل ما خفي على أولئك القوم؟!. هذا... ويناقضه ما جاء بعده من أن «التحقيق: أن النبي صلّى الله عليه وآله دلّ المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعدّدة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شكّ هل ذلك القول من جهة المرض أو هو قول يجب اتباعه، ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختار والمؤمنون من خلافة أبي بكر، فلو كان التعيين ممّا يشتبه على الأمّة لبيّنه رسول الله صلّى الله عليه وآله بياناً قاطعاً للعذر، لكن لمّا دلّهم دلالات متعدّدة على أن أبا بكر هو المتعيّن وفهموا ذلك، حصل المقصود... ولم ينكر ذلك منهم منكر، ولا قال أحد من الصحابة أن غير أبي بكر من المهاجرين أحقّ بالخلافة منه، ولم ينازع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار؛ طمعاً في أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير... ولم يقل قطّ أحد من الصحابة أن النبي صلّى الله عليه وآله نصّ على غير أبي بكر...»[1].

أقول:

أولاً، أن الكلام في (النصّ) و (الوصيّة) وهما غير (الدلالة) و (الإرشاد).

وثانياً: إن كان دلّهم وأرشدهم فكيف خفي عليهم؟ وإن كان أخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد عليه، فلماذا أبوا عن بيعته أو نازعوه خلافته؟

وثالثاً: إن كان عزم على أن يكتب له بالخلافة، فما الذي منعه عن ذلك؟ ولماذا ترك؟ والخلافة أهمّ الأمور، وهو يعلم بأنه سيطلبها عدّة من الناس؟ وسيقع النزاع بينهم بل القتال حولها؟

ورابعاً: إن كان علمه بأن المسلمين يجتمعون عليه هو السبب في ترك الكتاب،

---

(١) منهاج السنة ١ / ٥١٦ - ٥١٩.

فقد علم ـ وعلم الكلّ ـ بانتفاء هذا الإجتماع، حتى أن بعض المسلمين بقي على معارضته حتى آخر لحظة من حياته، فكان عليه أن يكتب، وإذ وجدناه لم يكتب، علمنا أنه لم يكن من عزمه ذلك.

وخامساً: إن كان قد ترك الكتاب اكتفاء بالإجماع كما زعم، فلماذا عزم على الكتاب مرّة أخرى في مرضه يوم الخميس؟

وسادساً: من أين علم هذا الرجل أن الذي أراد أن يكتبه يوم الخميس فحصل لبعضهم شك فيه... كان الوصية والنص على خلافة أبي بكر؟ ولماذا حصل لهم الشكّ؟ ولماذا حالَ عمر بن الخطاب ومن تبعه دون كتابة الوصية في حق أبي بكر، سواء كانت من جهة المرض أو هو قول يجب اتباعه، وأنت تدّعي إجماع القوم على خلافة أبي بكر ودلالة النبي صلّى الله عليه وآله المسلمين عليها؟

إن حديث القرطاس، وما كان يوم الخميس.. ذو شجون.. وسنتعرّض له في محلّه المناسب له، استناداً إلى أخبار القوم الموثوقة عندهم.

وسابعاً: قوله: «فلو كان التعيين قاطعاً للعذر...» إعتراف بعدم وجود البيان القاطع للعذر من رسول الله في خلافة أبي بكر.

وثامناً: إن ما روي عن أبي بكر وعمر وعائشة وغيرهم، والوجوه الدالّة على عدم النص والإستخلاف، مثل ما كان من علي وبني هاشم وأتباعهم، وما كان من سعد بن عبادة، دليل على أن التعيين ممّا يشتبه على الأمّة.. لكن النبي صلّى الله عليه وآله لم يبيّن البيان القاطع فيما زعم!

وتاسعاً: إنه وإن هوّن أمر نزاع الأنصار لكنّه ذكره، أمّا إباء علي وبني هاشم ومن تابعهم عن البيعة، فلم يذكره ولم يشر إليه أصلاً.

وعاشراً: إن كلمات هذا الرجل متهافتة، فهو من جهة ينفي وجود أيّة شبهة بين الأمّة في تعيين النبي صلّى الله عليه وآله أبا بكر، حتى أنه لم يجد حاجة إلى كتابة ذلك،

ومن جهة، يعترف بأن سعد بن عبادة كان يطلب الولاية لنفسه، وأن جماعة من الأنصار طلبوا تولية غير أبي بكر، حتى أنه جعل يدفع هذا بقوله:

«ففي الجملة: جميع من نقل عنه من الأنصار من بني عبد مناف أنه طلب تولية غير أبي بكر لم يذكر حجّة دينيّة شرعيّة، ولا ذكر أن غير أبي بكر أحقّ بها وأفضل من أبي بكر، وإنما نشأ كلامه عن حبٍّ لقومه وقبيلته، وإرادة منه أن تكون الإمامة في قبيلته. ومعلوم أن مثل هذا ليس من الأدلّة الشرعيّة ولا الطرق الدينيّة، ولا هو ممّا أمر اللّه ورسوله المؤمنين باتّباعه، بل هو شعبة جاهليّة ونوع عصبيّة للأنساب والقبائل. وهذا مما بعث اللّه محمداً بهجره وإبطاله»[1].

قلت: وهل هذا إلا تفسيق لجماعة كبيرة من الصّحابة؟

هذا؛ ولا يخفى ما في هذا الكلام من الإقرار بأن الإمامة لا بدّ وأن تستند إلى حجّة دينيّة، وأنه يعتبر فيها الأحقيّة والأفضليّة.

ثم قال: «ومعلوم أن هذا العلم الذي عندهم بفضله وتقدّمه إنما استفادوه من النبي صلّى اللّه عليه وآله بأمور سمعوها وعاينوها، وحصل بها لهم من العلم ما علموا به أن الصدّيق أحقّ الأمّة بخلافة نبيّهم وأفضلهم عند نبيّهم، وأنه ليس فيهم من يشابهه حتى يحتاج في ذلك إلى مناظرة. ولم يقل أحد من الصحابة أن عمر بن الخطاب أو عثمان أو عليّاً أو غيرهم أفضل من أبي بكر أو أحقّ بالخلافة منه...

حتى أن أعداء النبي صلّى اللّه عليه وآله من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين يعلمون أن لأبي بكر من الاختصاص ما ليس لغيره، كما ذكره أبو سفيان بن حرب يوم أحد... حتى أني أعلم طائفة من حذّاق المنافقين ممن يقول أن النبي صلّى اللّه عليه وآله كان رجلاً عاقلاً أقام الرياسة بعقله وحذقه يقولون: إن أبا بكر كان مباطناً له على ذلك،

---

(١) منهاج السنّة ١ / ٥٢٠.

يعلم أسراره على ذلك»[١].

أقول:

أوّلاً: إن كان هذا العلم موجوداً عندهم وحاصلاً لهم من رسول الله صلّى الله عليه وآله، فلماذا لم يعملوا به؟ وخالفوه؟

وثانياً: نفيه قول أحد من الصحابة بأفضليّة غير أبي بكر منه، مردود بأن جماعة من كبار الصحابة قالوا بأفضليّة أمير المؤمنين عليه السلام منه ومن جميع الصحابة، نصّ على ذلك كبار الحفّاظ.

قال الحافظ ابن عبد البر: «وروي عن سلمان، وأبي ذر، والمقداد، وخباب، وجابر، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن أرقم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أوّل من أسلم، وفضّله هؤلاء على غيره»[٢].

وقال: «اختلف السّلف أيضاً في تفضيل علي وأبي بكر»[٣].

«وأمّا اختلاف السلف في تفضيل علي، فقد ذكر ابن أبي خيثمة في كتابه من ذلك ما فيه كفاية»[٤].

وعزا ابن حزم القول بأنه أفضل الأمّة بعد النبي إلى (بعض أهل السنّة) و(بعض المعتزلة) و(بعض المرجئة) و(جميع الشيعة) و(جماعة من التابعين والفقهاء) قال: «وروينا عن نحو عشرين من الصحابة أن أكرم الناس على رسول الله علي ابن أبي طالب»[٥].

---

(١) منهاج السنة ١/ ٥٢٢ـ ٥٢٤.

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ١٠٩٠.

(٣) نفس المصدر ٣/ ١١١٦.

(٤) نفس المصدر ٣/ ١١١٧.

(٥) الفصل في الأهواء والملل والنحل ٤/ ١١١.

وثالثاً: نفيه قول أحد من الصحابة بأحقيّة أحد بالخلافة من أبي بكر، مردود بقول جماعة من الأنصار بأحقيّة سعد بن عبادة، وقول بني هاشم وجماعة من المهاجرين والأنصار بأحقيّة علي عليه السلام... وكلّ ذلك مذكور في أخبار كيفيّة أخذ البيعة لأبي بكر.

ورابعاً: إستدلاله بقول أبي سفيان يوم أحد: «أفي القوم محمد... أفي القوم أبو بكر...» عجيب جدّاً، لأنه غير معلوم ثبوته، وإن عزا روايته إلى كتابي البخاري ومسلم، ولأنه ـ لو ثبت ـ قول كافر لا يدري معنى الفضيلة وما تثبت به الأفضليّة في الإسلام، كما أنا لا نعلم أنه على أيّ وجه قاله.

على أنّه قد نصّ في موضع من كتابه ـ كما سيأتي ـ بأنّ «الكافر لا يقبل قوله في دين المسلمين» فبين كلاميه في الموضعين تناقض ظاهر.

ثم إنه إن كان أبو سفيان يعتمد على قوله كافراً، فلماذا لا يعتمد على قوله حال إسلامه ظاهراً، فإن أبا سفيان كان من المعترضين على تولّي أبي بكر، حتى أنه جاء إلى أمير المؤمنين ليبايعه ويعاهده على النصرة، كما هو مذكور في كتب التاريخ.

وخامساً: إستناده إلى قول حذّاق المنافقين!! عجيب كذلك، ومن أين حصل له العلم بمقالة هؤلاء؟ وما العلاقة بينه وبين حذّاق المنافقين؟!

إمامة أبي بكر كانت ببيعة عمر

قال قدس سره: وأن الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله أبو بكر بن أبي قحافة.... ✗

الشرح:

وهو: عبد الله ـ وقيل عتيق ـ بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي، ولد ـ كما في

تاريخ الخلفاء[1] ـ بعد مولد النبي صلّى الله عليه وآله بسنتين وستّة أشهر، وأسلم بعد أكثر من خمسين شخصاً فيما رواه الطبري في تاريخه بسند صحيح[2]، وبويع بالخلافة في سقيفة بني ساعدة، وتوفي سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

قال قدس سره: لمبايعة عمر بن الخطاب له برضا أربعة...

الشرح:

اعترض عليه ابن تيمية بأنه «ليس هذا قول أئمة أهل السنّة، وإن كان بعض أهل الكلام يقولون: إن الإمامة تنعقد ببيعة أربعة، كما قال بعضهم: تنعقد ببيعة اثنين، وقال بعضهم: تنعقد ببيعة واحد، فليست هذه أقوال أئمة السنّة. بل الإمامة عندهم تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها، ولا يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة، فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان، فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إماماً، ولهذا قال أئمة السنة: من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية هو من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم... ولو كان جماعة في سفر، فالسنّة أن يؤمّروا أحدهم كما قال النبي... فإذا أمّره أهل القدرة منهم صار أميراً.

فكون الرجل أميراً وقاضياً ووالياً وغير ذلك من الأمور التي مبناها على القدرة والسلطان، متى حصل ما يحصل به في القدرة والسلطان حصلت، وإلّا فلا...

ولهذا قال أحمد في رسالة عبدوس بن مالك العطّار: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ إلى أن قال ـ ومن ولي الخلافة فأجمع عليه الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمّي

(١) تاريخ الخلفاء: ٣٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣١٦.

أمير المؤمنين، فدفع الصّدقات إليه جائز، براً كان أو فاجراً. وقال ـ في رواية إسحاق بن منصور ـ وقد سئل عن حديث النبي صلّى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية ما معناه؟ فقال: تدري ما الإمام؟ الإمام الذي يجمع عليه المسلمون، كلّهم يقول: هذا إمام، فهذا معناه»[١].

أقول: الواقع ـ يوم السقيفة ـ ما ذكره العلّامة، فقد روى المحدّثون والمؤرّخون عامّة عن عمر أنه قال ـ وهو يحكي توجّهه مع أبي بكر نحو السقيفة حيث اجتمع الأنصار واتّفقوا على رئيسهم سعد ـ: «كنت أزوّر في نفسي كلاماً في الطريق، فلمّا وصلنا إلى السقيفة أردت أن أتكلّم فقال أبو بكر: مه يا عمر. فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ما كنت أزوّره في نفسي كأنه يخبر عن غيب، فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام مددت يدي إليه فبايعته...».

وعلى هذا الأساس، قال أهل الكلام منهم بانعقاد الإمامة ببيعة واحد ورضا أربعة ـ كما اعترف به الرجل ـ وقال به القاضي أبو يعلى الحنبلي[٢].

وقال التفتازاني: «اختيار أهل الحلّ والعقد وبيعتهم من غير أن يشترط إجماعهم على ذلك، ولا عدد محدود، بل ينعقد بعقد واحد منهم»[٣].

وقال القاضي العضد: «وإذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة فاعلم أن ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحلّ والعقد كاف، لعلمنا أن الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك، كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان...»[٤].

---

(١) منهاج السنة ١ / ٥٢٦ ـ ٥٢٩.

(٢) الأحكام السلطانية: ٢٣.

(٣) شرح المقاصد ٢ / ٢٨١.

(٤) المواقف ٣ / ٥٩٠.

وأمّا قوله: «بل الإمامة عندهم تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها...» ففيه:

أوّلاً: أنه ظاهر في عدم لزوم النص، ولا أقلّ من ظهوره بل صراحته في عدم كفاية النص لانعقادها.

وثانياً: إنه لا فرق بين ما نسبه إلى (أهل السنة) وما نسبه إلى (أهل الكلام)، إذ ليس المراد من (أهل الشوكة) إلا (أهل الحلّ والعقد) في اصطلاح أهل الكلام، فلا يريد القائل بانعقادها بموافقة واحد مطلق الواحد ولو من سوقة المسلمين الذين لا أثر لبيعة الآلاف منهم... ويوضّح ذلك قوله: «فالإمامة ملك وسلطان، والملك لا يصير ملكاً بموافقة واحد ولا اثنين ولا أربعة، إلّا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم، بحيث يصير ملكاً بذلك، وهكذا كلّ أمر يفتقر إلى المعاونة عليه لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه».

وثالثاً: إن الإمامة ما هي إلّا نيابة عن النبوّة في كلّ ما هو من شؤونها، وهل تتوقف النبوّة على موافقة أهل الشوكة؟ إنه لو تمّ ما ذكره، لزم إنكار نبوّة الأنبياء الذين لم يوافقهم أهل الشوكة بل حاربوهم وقتلوهم.

ورابعاً: إن المقصود من الإمامة استمرار وظائف النبوّة، يقوم بها الإمام نيابة عن النبي صلّى الله عليه وآله، ومن الواضح أن هذا المقصود لا يعتمد على القدرة والسلطان، بل القدرة والسلطان من أسباب حصوله، وهذا صريح الآية المباركة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[1].

وخامساً: إن أمر النبي صلّى الله عليه وآله بتأمير المسافرين أحدهم إرشادي، وليس معنى قوله فيما روي عنه: «لا يحلّ لثلاثة يكونون في سفر إلا أن يؤمّروا واحداً

(١) سورة الحديد: ٢٥.

منهم» حرمة ترك ذلك، بالإجماع... فلا يكوننّ هذا ونحوه دليلاً على أن الإمارة بيد الناس، وأنها تتحقق لكلّ من أمّروه سواء كان عادلاً أو فاسقاً، فبطل الاستدلال بالحديث لما ذهب إليه وقال: «فإذا أمّره أهل القدرة منهم صار أميراً».

وأمّا ما حكاه عن أحمد، فهو على فرض صدوره وظهوره فيما يدّعيه، باطل بالوجوه المذكورة. على أن ما حكاه ثانياً عنه شاهد بعدم صحّة النقل الأول عنه؛ لأن التعريف الذي ذكره لا يصدق على (من غلب المسلمين بالسيف براًكان أو فاجرا) فأيّ إمام من الأئمة (أجمع عليه المسلمون، كلّهم يقول هذا إمام)، وكان قد غلبهم بالسيف وهو فاجر؟ أن هذا غير جائز وغير واقع.

ثم قال هذا الرجل: «والكلام هنا في مقامين أحدهما: في كون أبي بكر كان هو المستحقّ للإمامة وأن مبايعتهم له ممّا يحبّه الله ورسوله. فهذا ثابت بالنصوص والإجماع. والثاني: أنه متى صار إماماً فذلك بمبايعة أهل القدرة له».

أقول: هذا الكلام ليس هنا موضعه، بل سيأتي بالتفصيل، وإنما أشار العلّامة في هذا المقام إلى مبنى القوم في انعقاد الإمامة . وأمّا البحث التفصيلي عن إمامة الثلاثة فليس في مقامين بل مقامات.

وأمّا «كون أبي بكر كان هو المستحق للإمامة» فأوّل الكلام، ومن الضروري البحث أوّلاً: عن أن الإمامة تحصل بالتفضّل أو الإستحقاق؟، ثم عمّا لا بدّ من اتصاف الشخص به من الأوصاف أو توفّره فيه حتى يكون إماماً، ثم نرى هل كان أبو بكر كذلك حتى يكون هو الإمام؟

وأمّا «أن مبايعتهم له ممّا يحبّه الله ورسوله» فهل مرجع الضمير خصوص (أهل الشوكة) أو (عموم المسلمين)؟ إن كان المراد الأوّل، فقد عرفت ما فيه، وإن كان المراد الثاني، فهو كذب. والظاهر أنه يريد الأوّل، لاعترافه بعد ذلك بأنه «لو قدّر أن بعض الناس كان كارهاً للبيعة لم يقدح ذلك في مقصودها» وقال: «وأمّا أبو بكر فتخلّف عن

بيعته سعد»[1] مع كونه من (أهل القدرة)!!، وكأن الرجل قد غفل عمّا استدلّ به من كلام أحمد من أن «الإمام، الذي يجمع عليه المسلمون كلّهم يقول: هذا إمام»!!

تراجم الذين انعقدت خلافة أبي بكر برضاهم

قال قدس سره: أبي عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأسيد بن حضير، وبشير ابن سعد

الشرح:

أبو عبيدة بن الجرّاح، قيل: اسمه عامر بن الجرّاح، وقيل: عبد الله بن عامر بن الجراح، والصحيح: عامر بن عبد الله، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وهو أحد العشرة المبشّرة بالجنّة ـ فيما يروون ـ ومن كبار الصحابة. توفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة في طاعون عمواس سنة ١٨ بالأردن وبها قبره[2].

وسالم بن معقل، مولى أبي حذيفة بن عتبة. كان من أهل فارس من إصطخر، وقيل: إنه من عجم الفرس في كرمد. وكان من فضلاء الموالي ومن كبار الصحابة، وكان عمر يفرط في الثناء عليه. شهد بدراً وقتل يوم اليمامة سنة ١٢ من الهجرة[3].

وأسيد بن حضير الأنصاري، أحد أصحاب الرأي عندهم. توفي في شعبان سنة ٢٠ وقيل ٢١. صلّى عليه عمر وكان قد أوصى إليه[4].

وبشير بن سعد الأنصاري، شهد العقبة وبدراً والمشاهد، ويقال: إنه أوّل من بايع أبابكر يوم السقيفة من الأنصار. قتل ـ وهو مع خالد بن الوليد ـ بعين التمر في

---

(١) منهاج السنّة ١ / ٥٣٦.

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ / ١٧١٠ ـ ١٧١١.

(٣) المصدر السابق ٢ / ٥٦٧.

(٤) المصدر السابق ١ / ٩٢.

خلافة أبي بكر[١].

أقول: روى سليم بن قيس الهلالي: أنه لمّا انطلقوا بعلي عليه السلام إلى أبي بكر، كان عمر قائماً بالسيف على رأسه، وخالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، والمغيرة بن شعبة، وأسيد بن حضير، وبشير ابن سعد، وسائر الناس جلوسٌ، حول أبي بكر، عليهم السلاح[٢].

هذا؛ وأخبار السقيفة وكيفية البيعة لأبي بكر، مذكورة في كتب التواريخ والإمامة بالتفصيل، وقد أفردها بعض علماء الإسلام بالتأليف والتحقيق، ولعلّ من أحسنها من المعاصرين كتاب السقيفة للشيخ محمد رضا المظفر. فراجعه. ولعلّنا نتعرّض فيما سيأتي لطرفٍ من أخبار تلك القضيّة، استناداً إلى رواية الكتب الموثوق بها عند الجمهور.

إمامة عمر بنصّ أبي بكر

قال قدس سره: ثم من بعده عمر بن الخطاب بنصّ أبي بكر عليه.

الشرح:

هو: عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي، ولد ـ كما في تاريخ الخلفاء[٣] عن النووي ـ بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وأسلم في السنة السادسة من النبوة، كما فيه عن الذهبي. وأوصى له أبو بكر بالخلافة بالرغم من مخالفة رجال من أهل الحلّ والعقد. وتوفي آخر سنة ثلاث وعشرين بعد أن طعنه أبو لؤلؤة.

قال ابن تيمية: «وأمّا عمر، فإن أبا بكر عهد إليه، وبايعه المسلمون بعد موت

---

(١) الإستيعاب ١ / ١٧٢.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ١٥١.

(٣) تاريخ الخلفاء: ١٠٨.

أبي بكر فصار إماماً لمّا حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم»[١].

أقول: سيأتي الكلام حول إمامة عمر كذلك. ولكن نقول هنا: إنهم قد جعلوا الأساس في خلافة عمر: (نص) أبي بكر عليه، ولم يتعرضوا لـ(الإستحقاق) وادّعوا أيضاً أنه (بايعه المسلمون) ولم يتعرّضوا لمخالفة من خالف واعتراض من اعترض وإن كان من (أهل القدرة)... ولا بدّ من البحث: هل النص عليه من أبي بكر ثابت؟ وعلى فرضه، فهل كان له أن يستخلف؟ وعلى فرضه، فهل كان عمر مؤهلاً له؟ وهل أجمع عليه المسلمون كلّهم يقول: هذا إمام، على حدّ تعبير أحمد الذي استدلّ به الرجل؟

البيعة لعثمان في الشورى

قال قدس سره: ثم عثمان بن عفّان بنصّ عمر على ستّة هو أحدهم، فاختاره بعضهم.

الشرح:

هو عثمان بن عفّان بن أبي العاص الأموي، ولد ـ كما في تاريخ الخلفاء[٢] ـ في السنة السّادسة من الفيل، وأسلم بعد أبي بكر، واستخلف ببيعة عبد الرحمن بن عوف في الشورى، ثم كان عبد الرحمن من المقاطعين لعثمان مع أعلام المهاجرين والأنصار لأمور كثيرة نقموها عليه، حتى قاموا ضدّه وقتل في سنة خمس وثلاثين.

وأهل الشورى هم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوّام، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الرحمن بن عوف.

نعم اختاره بعضهم، لكن عمر كان قد أوصى أنه إذا اختلف القوم كان القول قول الذين يكون فيهم عبد الرحمن بن عوف؛ لعلمه بأن عبد الرحمن لا يختار علياً عليه

---

(١) منهاج السنة ١ / ٥٣٢.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٤٧.

السلام في حال من الأحوال. ثم إن عبد الرحمن احتال على علي عليه السلام بطريقة تمكّنه من العدول عنه إلى عثمان، وذلك أنه لمّا عرض عليه الأمر اشترط عليه السير بسيرة الشيخين، وهو يعلم بإبائه عن أن يُشرط له ذلك... فبايع عبد الرحمن عثمان وتبعه الآخرون. وهذا مذكور في جميع الكتب ولا يمتري فيه أحد.

وبه يظهر ما في قول ابن تيمية: «عثمان لم يصر إماماً باختيار بعضهم، بل بمبايعة الناس له، وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفّان، لم يتخلّف عن بيعته أحد... فلمّا بايعه ذوو الشوكة والقدرة صار إماماً، وإلّا لو قدّر أن عبد الرحمن بايعه ولم يبايعه علي ولا غيره من الصحابة أهل الشوكة لم يصر إماماً...»[1].

قلت:

أوّلاً: قد أشرنا إلى أن عمر قد جعل الأمر ـ في الحقيقة ـ إلى عثمان، لأنه قد أحاله إلى رأي عبد الرحمن، وهو يعلم بأن عبد الرحمن سوف لا يعدل عن عثمان، وقد أشرنا إلى أنه قد زوى الأمر عن علي بأسلوب يتخيّل الناظر أن علياً هو الذي أغضى عن الأمر! بل سنورد في محلّه من الكتاب بعض الشواهد القويّة على ما ذكرنا، فانتظر.

ثانياً: إن بيعة المسلمين لعثمان بن عفّان إنما كانت متابعة لما انتهى إليه الأمر، وهم يظنّون أنه كان عن شورى حقيقة، إذ لم يطّلع على واقع الحال إلا أفراد من بينهم أعداد سمعوا مناشدات أمير المؤمنين عليه السلام، فكانوا من الموالين المقدّمين له على غيره، كأبي الطفيل عامر بن واثلة الذي روى خبر المناشدة، وعرف في كتب معرفة الصحابة بالولاء؛ ولذا وصف بالتشيّع والرفض.

ثالثاً: إن أهل الشورى، وهم الصحابة أهل الشوكة... عدلوا عن عثمان فيما بعد وقاطعوه... وتلك قضاياهم مذكورة في التواريخ.

---

(١) منهاج السنة ١ / ٥٣٢ ـ ٥٣٣.

ورابعاً: إن جماعة من أعلام السلف وكبار الصحابة يفضّلون عليّاً عليه السلام على أبي بكر فضلاً عن عثمان، ومنهم من يفضّله على عثمان.

ثم إن القوم لم يتعرّضوا هنا أيضاً لـ(الإستحقاق) ولا لحكم (الشورى) في أمر الخلافة، وأنه هل كان لعمر أن يصيّرها شورى؟ ولماذا بين هؤلاء الستّة دون غيرهم...

ويقول الرجل: «عثمان لم يصر إماماً باختيار بعضهم بل بمبايعة الناس له، وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفّان...».

إذن، لم يكن إماماً لانتخابه في الشورى التي جعلها عمر، كما لم تكن إمامته لنصّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله... فلماذا حمل أعضاء الشورى على البيعة بالسيف بوصية من عمر؟ ولماذا لم يترك الأمر إلى المسلمين؟

وإذا كانت إمامته بمبايعة الناس، فإنّهم إنّما بايعوه متابعة لأصحاب الشورى، إذ من الواضح أنه كان بينهم لكلّ منهم أنصار وأتباع، فهل بقي عثمان على ما بايع القوم عليه؟ هذه الأمور كلّها يجب أن تبحث، وسيأتي إن شاء الله....

إمامة علي عليه السلام ببيعة المسلمين

قال قدس سره: ثم علي بن أبي طالب لمبايعة الخلق له.

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأمّا قوله: ثم علي لمبايعة الخلق له. فتخصيصه عليّاً بمبايعة الخلق له دون أبي بكر وعمر وعثمان، كلام ظاهر البطلان»[1].

أقول: سيأتي من العلاّمة ذكر طرف من الأدلّة العقليّة والنقليّة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلّى الله عليه وآله بلا فصل. أما هنا، فإنه بصدد

---

(١) منهاج السنة ١ / ٥٣٤.

بيان مذاهب السنّة باختصار حيث قال: «وذهب أهل السنّة إلى خلاف ذلك كلّه... وأن الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله أبو بكر لمبايعة عمر... ثم من بعده عمر بن الخطاب... ثم عثمان... ثم علي بن أبي طالب...» فهو لا يريد الاستدلال (بمبايعة الخلق له) حتى يقال بأن «تخصيصه علياً بمبايعة الخلق له... كلام ظاهر البطلان» بل إن دليل أهل السنّة على جعله الخليفة بعد عثمان (مبايعة الخلق له) لإنكارهم النصّ عليه مطلقاً، وجحدهم حقّه في الخلافة بعد النبي صلّى الله عليه وآله.

وكأن الرجل لم يفهم مراد العلاّمة، فانبرى للدفاع عن الثلاثة، بأن مبايعة الناس لهم كانت أعظم من مبايعتهم له... توهّماً منه بأن العلاّمة يريد الطعن في خلافة القوم من هذه الناحية.

أقول: إن كان المعيار للخلافة (مبايعة الخلق)، فإن المبايعة مع علي كانت في المسجد بمنظر ومسمع من عموم المسلمين، وأمّا المبايعة مع أبي بكر فقد طبخت في السقيفة ودبّرت بليل، ومع عمر كانت لما زعموه من نصّ أبي بكر عليه، وما علم به إلا عثمان، ومع عثمان لمبايعة أهل الشورى له كما مهّد له عمر من قبل.

ولو كان عدم مبايعة بعض الصحابة ـ كعبد الله بن عمر ـ مع علي مضراً بإمامته، فقد نازع سعد وأتباعه أبا بكر الخلافة، واعترض طلحة ـ ومن كان على رأيه ـ على استخلاف أبي بكر لعمر الذي جعلها شورى، لتنتهي إلى عثمان الذي كتب اسم عمر في وصيّة أبي بكر عندما أغمي عليه في الأثناء.

هذا؛ وقد ثبت ندم ابن عمر على تركه البيعة، بخلاف سعد بن عبادة ومن تبعه، فقد ثبت عنه الإباء عن البيعة حتى قُتِل.

ثم إنه، بعد أن أطال الكلام في هذا المقام بما هو خارج عن المقصود، ولا علاقة له بالبحث هنا أصلاً، تنبه إلى ما قلناه في بيان مراد العلاّمة فأورده هكذا:

«فإن قال: أردت أن أهل السنّة يقولون إن خلافته انعقدت بمبايعة الخلق له

لا بالنص، فلا ريب أن أهل السنّة وإن كانوا يقولون بالنص على أن علياً من الخلفاء الراشدين لقوله: (خلافة النبوة ثلاثون سنة)، فهم يروون النصوص الكثيرة في صحة خلافة غيره، وهذا أمر معلوم عند أهل الحديث، يروون في صحة خلافة الثلاثة نصوصاً كثيرة، بخلاف خلافة علي فإن نصوصها قليلة...»[1].

وأقول: إن أهمّ الأمور وأولاها هو البحث عن أدلّة الإمامة من العقل والنقل كتاباً وسنّة، وأما الأشياء الأخرى التي يذكرها الرجل، فلا اعتبار بها ولا أثر لها، ولذا لم يذكرها غيره من علماء أهل السنّة في الكتب الكلاميّة، وكان هو المنفرد بها... نعم، لابدّ من طرح تلك الأدلّة والنظر فيها سنداً ودلالة على ضوء قواعد البحث وآداب المناظرة، وهذا ما سيفعله العلّامة ونوضّحه إن شاء الله، فإن النصوص القرآنية والنبويّة هي الطريق الصحيح والمستقيم المؤدّي إلى ما فيه رضى الله ورسوله...

قال قدس سره: ثم اختلفوا فقال بعضهم: إن الإمام بعده ابنه الحسن عليه السلام...

الشرح:

هو: الإمام السبط الزكي الحسن بن علي، ولد سنة ثلاث من الهجرة، واستشهد بالسمّ على يد جعدة بنت الأشعث، بدسّ من معاوية، سنة خمسين.

قال قدس سره: وبعضهم قال: إنه معاوية بن أبي سفيان! ثم ساقوا الإمامة في بني أميّة، إلى أن ظهر السفاح من بني العباس، فساقوا الإمامة إليه، ثم انتقلت الإمامة منه إلى أخيه المنصور، ثم ساقوا الإمامة في بني العباس إلى المعتصم، إلى أربعين.

الشرح:

سيأتي بعض الكلام حول نسب معاوية، ووقت إسلامه، ومنكراته زمن حكومته.

---

(١) منهاج السنة ١/ ٥٤٥.

وأبو العباس السفّاح هو: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، أوّل ملوك بني العباس. توفي سنة ١٣٦.

قول أهل السنّة بإمامة بني أمية وبني العباس

قال ابن تيمية: «أهل السنّة لا يقولون إن الواحد من هؤلاء كان هو الذي يجب أن يولّى دون من سواه، ولا يقولون إنه تجب طاعته في كلّ ما يأمر به، بل أهل السنّة يخبرون بالواقع ويأمرون بالواجب، فيشهدون بما وقع ويأمرون بما أمر الله ورسوله...»[1].

أقول: لا يخفى الإضطراب في كلمات الرجل.. فلا يثبت ما قاله العلّامة ولا ينكره، والجواب عمّا قاله في هذا المقام:

أولاً: إن أهل السنّة يقولون بإمامة الذين ذكرهم العلامة، وتشهد بذلك كتبهم المؤلفة في أحوال الخلفاء، فللسيوطي كتاب (تاريخ الخلفاء وأمراء المسلمين).

وثانياً: إن ما حكاه عن أحمد من أن «أصول السنة عندنا... ومن ولي الخلافة...» صريح في اعتقاد أهل السنّة بإمامة بني أمية ثم بني العباس، كما نسب إليهم العلّامة.

وثالثاً: لقد قبل كبار علماء أهل السنّة وقضاتهم المناصب والرواتب من هؤلاء عن رغبةٍ ورضا، وهل قبول ذلك إلا القول بإمامتهم؟.

ورابعاً: هل المطلوب من أهل السنّة هو الإخبار والشهادة بالواقع، أو الإخبار عن اعتقادهم بما يجب أن يكون وموقفهم تجاه ما كان؟.

وخامساً: سلّمنا أنهم لا يقولون إن الواحد من هؤلاء كان هو الذي يجب أن يولّى دون من سواه، ولا يقولون إنه تجب طاعته، لكنا نسألهم: هل انقطعت الإمامة بعد

---

(١) منهاج السنة ١ / ٥٤٧.

الخلفاء الأربعة وبقيتم بلا إمام؟ وإن كانت مستمرة، فمن الذي يجب أن يولّى دون من سواه ويجب طاعته بعد الخلفاء؟ وبمن تقتدون وتأتمّون بعد أولئك؟ وبأي ملاك؟ أبنصّ أو شورى أو بيعة عامّة؟.

وسادساً: إن صريح كلماته في المواضع المختلفة، يقتضي اعتقاده هو وأهل السنّة بإمامة بني أمية وبني العباس، من ذلك قوله: «فليست هذه أقوال أئمة أهل السنّة، بل الإمامة عندهم تثبت بموافقة أهل الشوكة عليهم، ولا يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكة...».

وبالجملة، لقد تحاشى الرجل من أن يعترف بصراحة ووضوح بإمامة ملوك بني أمية وبني العباس؛ لأن الإلتزام بإمامة هؤلاء يستتبع الإلتزام بلوازمها، ثم إنا نسأله: من الذي مكّن يزيد بن معاوية ـ مثلاً ـ من رقاب المسلمين؟ ومن الّذي سلط من مكّنه عليهم؟.

ومع ذلك كلّه يقول الرجل: «ومن المعلوم أن الناس لا يصلحون إلا بولاة، وأنه لو تولّى من هو دون هؤلاء من الملوك الظلمة لكان ذلك خيراً من عدمهم، كما يقال: ستون سنة مع إمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام. ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: «لابدّ للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة. قيل له: هذه البرة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ قال: يؤمن بها السبيل ويقام بها الحدود ويجاهد بها العدوّ ويقسّم بها الفئ». ذكره علي بن سعيد في كتاب الطاعة والمعصية»[1].

وكأنه يتغافل عن أن البحث في الإمام الحق والإمامة الشرعيّة عن الله ورسوله؛ لكونها خلافة ونيابة عنه. وبعبارة أخرى: إن الكلام في الإمام الذي أمر الله ورسوله بطاعته وترك معصيته في جميع أوامره ونواهيه، لا فيمن تسلّط على رقاب المسلمين

---

(١) منهاج السنة ١ / ٥٤٧ ـ ٥٤٨.

بمال أو عشيرة أو مؤازرة من ذوي القدرة والسلطان، فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهذا ليس بإمام ولا يجوز تولّيه، وإن ترتب على وجوده آثار حسنة فقيل بأن وجوده خير من عدمه.

فهل الأئمة الذين أمر الله ورسوله بطاعتهم هم الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت عليهم السّلام، أوّلهم علي بن أبي طالب، وآخرهم الخَلَف الحجة المنتظر كما يقول الإمامية الإثنا عشرية، أو أن الأئمة بعد النبي صلّى الله عليه وآله أبو بكر وعمر وعثمان ثم علي بن أبي طالب ثم معاوية ثم بنو أمية وبنو العباس، ومن بعدهم ممن تولّى وكان له قدرة وسلطان؟.

إن البحث في الإمامة الحقة والولاية الشرعيّة نيابة عن الله ورسوله صلّى الله عليه وآله، فهل يقول بإمامة بني أمية وبني العباس أم لا؟ إن كان يقول بإمامتهم، فقد شاركهم في آثامهم وجرائمهم، وأدخله الله في الآخرة مدخلهم؛ لأن من قال بإمامة أحد، فقد تولّاه واعتقد بحقيته ورضي بأفعاله وحشر معه كما دلّت عليه الأخبار المتفق عليها، وإن كان لا يقول بإمامتهم، فمن هم أئمته بعد الأربعة؟ وبمن يقتدي ويأتم في جميع هذه الأزمنة حتى زمانه، فمن كان إمامه في عصره؟ ومن هم أئمة آبائه وأبناء مذهبه الذين كانوا قبله؟ وقد اتفق الفريقان على أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

ثم إن مقام (الإمامة) لا يزول بإعراض الناس وعدم مساعدة أهل الشوكة منهم له، كما لم تزل نبوة الأنبياء بذلك.

وأيضاً: لا يزول مقام الإمامة بغيبة الإمام عن الناس إذا دعته الضرورة إلى ذلك، كما لم تزل نبوة نبينا صلّى الله عليه وآله بغيبته في الشعب... .

وأيضاً: لا يثبت المقام المذكور لأحد بحصول القدرة وسلطان الشوكة، فلا توجب القدرة والسلطة وجوب الإطاعة وحرمة المعصية من قبل الله ورسوله.

نعم، عندما يكون الإمام الحق ذا قدرة وشوكة وسلطان، تتحقق مصلحة جعل اللّه عز وجلّ إيّاه إماماً لعموم الخلق، وإلا تحققت به مقاصد الإمامة بقدر ما بيده من القدرة والسلطان.

ولكن الذين سلبوا أئمة الحق سلطانهم هم المسمّون بـ«أهل السنّة» لا سيما أهل الشوكة منهم، وهذا ما اعترف به الرجل حيث قال: «ومن المعلوم أن أهل السنّة لا ينازعون في أنه كان بعض أهل الشوكة بعد الخلفاء الأربعة يولّون شخصاً وغيره أولى بالولاية منه... وحينئذ، فأهل الشوكة الذين قدّموا المرجوح وتركوا الراجح، والذي تولّى بقوّته وقوّة أتباعه ظلماً وبغياً، يكون إثم هذه الولاية على من ترك الواجب مع قدرته على فعله أو أعان على الظلم، وأما من لم يظلم ولا أعان ظالماً وإنما أعان على البرّ والتقوى، فليس عليه من هذا شيء...»[(١)]

أقول: فإذا كان الأمر كذلك، فكيف يفضّل (هؤلاء الملوك الظلمة) كما وصفهم[(٢)] على إمام من أئمة أهل البيت مع إساءة الأدب تجاهه والتهريج بمن يعتقد بإمامته، فيقول: «وكلّ من تولّى كان خيراً من المعدوم والمنتظر الذي تقول الرافضة أنه الخلف الحجة، فإن هذا لم يحصل بإمامته شيء من المصلحة لا في الدنيا ولا في الدّين أصلاً، ولا فائدة في إمامته، إلّا الاعتقادات الفاسدة والأماني الكاذبة والفتن بين الأمة... بل هو معدوم».

فإن هذا الكلام لا يصدر إلا من متعصب عنيد أو معتوه لا يفقه ما يقول:

أمّا أولاً: فلأن من كان ذا عقل أو دين، لا يفضّل يزيد بن معاوية وعبد الملك ابن مروان، وهارون، والمتوكل، وأمثالهم، على إمام ثبتت إمامته بالأدلّة القويمة التي

---

(١) منهاج السنة ١ / ٥٥٠.

(٢) المصدر ١ / ٥٤٧ـ٥٤٨.

سنذكر بعضها في موضعها.

وأمّا ثانياً: فإن المهدي المنتظر حيٌ موجود وليس بمعدوم، ولا يختص القول بوجوده بالشيعة الإمامية... كما ستعلم.

وأمّا ثالثاً: فإنه قد حصلت وتحصل بإمامة المهدي ووجوده ـ وهو غائب ـ مصالح كثيرة في الدنيا والدّين، علّنا نذكر طرفاً منها فيما سيأتي... ولكن المنافقين لا يفقهون.

وأمّا رابعاً: فإن الإعتقاد بإمامة المهدي فرض من اللّه ورسوله، والقول بعدم الفائدة في إمامته... تكذيب للّه ورسوله.

وأمّا خامساً: فلقد اعترف الرجل: بأن كثيرين ممّن كانت لهم الأولويّة والأحقيّة بالولاية لم يتولّوا؛ لأن أهل الشوكة لم يكونوا موافقين على ذلك، فيكون عليهم الإثم في ولاية أولئك الظلمة، وفي عدم ولاية الذين جعلهم اللّه أئمة العباد وساسة البلاد.

وكذا الكلام في قوله بالنسبة إلى آباء المهدي، وكلّهم أئمة بالكتاب والسنّة: «وأما آباؤه...»[1] وذلك:

أوّلاً: لأن القدرة وسلطان الأمة، ليس من شرائط منصب الإمامة كما تقدّم.

ثانياً: إن آباءه عليهم السّلام حتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كانوا منابع العلم وأعلام الدين....

ثالثاً: إن إمامة هؤلاء ليست كإمامة من وصفه أهل السنّة بالإمامة في العلم والدّين كأئمة المذاهب وغيرهم عندهم، ليرجع إليهم في الحديث والفتيا ونحو ذلك فقط، بل هي رئاسة الدّين والدنيا نيابة عن النبي، وأساسها (النص) عليهم المستتبع لوجوب إطاعتهم وحرمة معصيتهم في جميع أوامرهم ونواهيهم مطلقاً.

---

(١) منهاج السنة ١ / ٥٤٩.

وأما اعتذاره عمّن يرجع إلى الحاكم الجاهل أو الظالم أو المفضول ففيه نظر.

أمّا أولاً: فلأن الله عز وجلّ يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ...﴾[1] وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أيّما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل، فقد غشّ الله وغشّ رسوله وغشّ جماعة المسلمين»[2] وقال صلّى الله عليه وآله: «من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[3].

وأمّا ثانياً: فلأن التحاكم إلى سلطان الجور ودفع الأموال إليه والصّلاة خلفه... تشييد لحكومته وتقوية لسلطانه، وحينئذ يتمكن من الظلم والاستمرار في غصب الحق من أهله.

وأمّا قوله: «وأهل السنّة يقولون: ينبغي أن يولّى الأصلح للولاية إذا أمكن، إما وجوباً عند أكثرهم وإما استحباباً عند بعضهم، وإن من عدل عن الأصلح مع قدرته لهواه فهو ظالم، ومن كان عاجزاً عن تولية الأصلح مع محبته لذلك فهو معذور. ويقولون: من تولّى فإنه يستعان به على طاعة الله بحسب الإمكان، ولا يعان إلا على طاعة الله ولا يستعان به على معصية الله، ولا يعان على معصية الله تعالى»[4].

فيقال له: إن كان المراد من (الولاية) هو (الإمامة) فليس أمر الإمامة بيد الخلق فيولّوا الأصلح لها دون الصالح وغيره، بل هي كالنبوة: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[5] وعلى الأمة ـ وجوباً ـ الانقياد له كما ينقادون للنبي صلّى الله عليه

---

(١) سورة النساء: ٦٠.

(٢) كنز العمال ٦ / ١٩ الحديث ١٤٦٥٣.

(٣) كنز العمال ٦ / ٢٥ رقم: ١٤٦٧٨.

(٤) منهاج السنة ١ / ٥٥١.

(٥) سورة القصص: ٦٨.

وآله. وإن كان المراد منها (الإمارة) و(السلطنة) الفعلية، بمعنى التمكن له، فليس بواجب ولا مستحب، بل حرام قطعاً؛ لأن ذلك من شؤون الإمام المنصوب من قبل الله ورسوله.

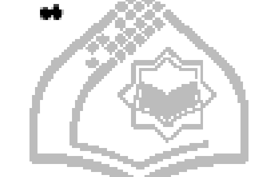
وبالجملة، فإن (الإمامة) هي (الخلافة) و(النيابة) عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، و(الإمام) هو من يقوم مقام النبي وينوب عنه، ويتولّى الأمور الدنيوية والديّنية بنص منه وتعيين من الله: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾**(١).

أفليس هذا القول خيراً من قول القوم بأن كلّ من تسلط على رقاب المسلمين وتغلّب على الحكم، فكان له القدرة والسلطان، فهو خليفة الله وأمير المؤمنين، وإن كان جائراً فاجراً جاهلاً؟!

***

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

الفصل الثاني



في أنّ مذهب الإماميّة واجب الاتّباع


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الآراء المختلفة من الناس بعد النبي صلّى الله عليه وآله

قال قدس سره: لأنّه لمّا عمّت البليّة على كافّة المسلمين بموت النبيّ صلّى الله عليه وآله واختلف الناس بعده....

الشرح:

قال ابن تيمية: «قد جعل المسلمين بعد نبيهم أربعة أصناف، وهذا من أعظم الكذب، فإنه لم يكن في الصحابة المعروفين أحد من هذه الأصناف الأربعة، فضلاً عن أن لا يكون فيهم أحد إلا من هذه الأصناف. إما طالب للأمر بغير حق كأبي بكر في زعمه، وإما طالب للأمر بحق كعلي في زعمه، وهذا كذب على علي رضي الله عنه وعلى أبي بكر. فلا علي طلب الأمر لنفسه قبل قتل عثمان، ولا أبو بكر طلب الأمر لنفسه، فضلاً عن أن يكون طلبه بغير حق. وجعل القسمين الآخرين إما مقلّداً لأجل الدنيا، وإما مقلّداً لقصوره في النظر. وذلك أن الإنسان يجب أن يعرف الحق وأن يتّبعه، وهذا هو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالّين....

وإذا كان الصراط المستقيم لابدّ فيه من العلم بالحق والعمل به، وكلاهما واجب، لا يكون الإنسان مفلحاً ناجياً إلا بذلك، وهذه الأمة خير الأمم، وخيرها القرن الأول؛ أكمل الناس في العلم النافع والعمل الصالح.

وهؤلاء المفترون وصفوهم بنقيض ذلك، بأنهم لم يكونوا يعلمون الحق

ويتّبعونه، بل كان أكثرهم يعلمون الحق ويخالفونه، كما يزعمونه في الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة والأمة، وكثير منهم عندهم لا يعلم الحق، بل اتبع الظالمين تقليداً، لعدم نظرهم المفضي إلى العلم، والذي لم ينظر قد يكون تركه النظر لأجل الهوى وطلب الدنيا، وقد يكون لقصوره ونقص إدراكه... فإذا كان هذا في حكايته لما جرى عقب موت النبي من اختلاف الأمة، فكيف سائر ما ينقله ويستدلّ به؟»[١].

أقول:

نعم إن الإنسان يجب أن يعرف الحق ومن يهدي إليه، وأن يتّبعه ويهتدي بهداه ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٢]، فهل كان المسلمون بعد موت النبي صلّى الله عليه وآله يعرفون الحق؟ وهل اتبعوه؟

إن العلّامة يخبر هنا بالواقع بحسب الأدلّة.. فقد أصبح المسلمون بعد نبيّهم صلّى الله عليه وآله أربعة أصناف... والمهمّ هو البحث عمّن طلب الأمر لنفسه بغير حق ـ وهو أبو بكر من المهاجرين، وسعد بن عبادة من الأنصار ـ ومن طلب الأمر لنفسه بحق، وهو علي عليه السلام.. وفي أي شيء يشكّك ابن تيمية؟

أمّا الإختلاف بعد النبي صلّى الله عليه وآله في الخلافة عنه، فلا سبيل إلى التشكيك فيه، بل إنه رأس الخلافات وأعظمها....

قال أبو الفتح الشهرستاني: «وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سلّ على الإمامة في كلّ زمان، وقد سهّل الله تعالى ذلك في الصدر الأول، فاختلف المهاجرون والأنصار فيها، فقالت الأنصار: منّا

---

(١) منهاج السنة ٢ / ١١ ـ ١٦.

(٢) سورة يونس: ٣٥.

أمير ومنكم أمير، واتّفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الأنصاري، فاستدركه أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ في الحال، بأن حضرا سقيفة بني ساعدة، وقال عمر: كنت أزوّر في نفسي كلاماً في الطريق، فلمّا وصلنا إلى السقيفة أردت أن أتكلّم فقال أبو بكر: مه يا عمر. فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ماكنت أقدّره في نفسي، كأنه يخبر عن غيب. فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام مددت يدي إليه فبايعته وبايعه الناس، وسكنت الفتنة. ألا إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، فأيّما رجل بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فإنهما تغرة يجب أن يقتلا.

وإنما سكتت الأنصار عن دعواهم لرواية أبي بكر عن النبي صلّى الله عليه وآله: الأئمة من قريش. وهذه هي البيعة التي جرت في السقيفة.

ثم لما عاد إلى المسجد انثال الناس عليه وبايعوه عن رغبة، سوى جماعة من بني هاشم، وأبي سفيان من بني أمية، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كان مشغولاً بما أمره النبي صلّى الله عليه وآله من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره، من غير منازعة ولا مدافعة»[1].

وأمّا أن بعضهم طلب الأمر لنفسه، فتلك أخبار السقيفة وإباء علي عليه السلام وأتباعه بيعة أبي بكر، في كتب الحديث والسيرة والتاريخ... وتلك عبارة الشهرستاني مرّت عليك آنفاً...

وأمّا أن طلب أبي بكر ـ فضلاً عن غيره ـ كان بغير حق، وأن طلب علي عليه السلام كان بحق، فستقف على الأدلة الدالة على ذلك في غضون الكتاب... إن كلّ هذا واقع، وأيّ ذنب لمن يخبر عمّا وقع على ضوء الأدلّة والأخبار الصحيحة؟

ونحن أيضاً نقول: «الصراط المستقيم لابدّ فيه من العلم بالحق والعمل به،

(١) الملل والنحل ١ / ٢٤.

وكلاهما واجب لا يكون الإنسان مفلحاً ناجياً إلا بذلك»، ولكن لم تكن الأمة كلّها بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله كذلك.

وأمّا قوله: «هذه الأمة خير الأمم» فهو إشارة إلى قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[1]، لكن هذه الأمة خير أمّة ما دامت تعرف المعروف وتعمل به، وتعرف المنكر وتنتهي عنه وتنهى عنه، وإلّا فهي منقلبة على أعقابها، وذلك ما أخبر به عز وجلّ بقوله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ...﴾[2].

فيكون المعنى: كنتم خير أمة أخرجت للناس ما لم تنقلبوا على أعقابكم بعد نبيكم عليه وآله الصّلاة والسلام.

وقوله: «خيرها القرن الأول» إشارة إلى ما يروونه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم»[3] لكنه ـ بعد الغضّ عن سنده والكلام في مدلوله ـ ليس على إطلاقه بل مقيّد ـ بالاتفاق ـ بما إذا لم يرتدّوا، فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في أحاديث صحيحة أخرجوها: ليردنّ عليّ الحوض غداً رجال من أصحابي ثم ليختلجنّ عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً...[4].

فيكون المعنى: خير القرون قرني ما لم يرتدّوا على أدبارهم، ولم يحدثوا من بعدي. وهل الارتداد إلاّ الإعراض عن الحق بعد معرفته؟.

فظهر أن ما ورد في الكتاب والسنّة في مدح هذه الأمة أو الصحابة، فهو أيضاً من

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران: ١١٤.

(٣) جامع الأصول ٩/ ٤٠٤.

(٤) جامع الأصول ١١/ ١٢٠.

الأدلّة التي يخبر بها عن الواقع ويصدق بها ما كان، فضلاً عن أن يكون مانعاً عن القول بالحق، أو دليلاً لرفع اليد عن الحقيقة وبيانها....

فهذا موجز الكلام على ما قاله ابن تيمية.

ثم إنه شرع في الجواب التفصيلي بزعمه عما قال العلّامة قدس سره: فقال: «قوله: (تعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم). فيكونون كلّهم متّبعين أهواءهم، ليس فيهم طالب حق، ولا مريد لوجه الله تعالى والدار الآخرة، ولا من كان قوله عن اجتهاد واستدلال، وعموم لفظه يشمل علياً وغيره. وهؤلاء الذين وصفهم بهذا هم الذين أثنى الله تعالى عليهم هو ورسوله، ورضي عنهم ووعدهم الحسنى...»[1].

أقول: هذا مردود من وجوه:

١ ـ إن (الأهواء) في اللّغة جمع (هوى) وهو (الحبّ) أو (ميل النفس) يكون في الخير والشرّ، كما نصّ عليه ابن الأثير في النهاية، والفيروزآبادي في القاموس، وشارحه الزبيدي[2]، وغيرهم... فمراد العلّامة تعدّد (ميولهم) و (أفكارهم) و(عقائدهم) وما شابه ذلك... فما ذكره ابن تيمية وهم، وما فرّع عليه بقوله: «فيكونون متّبعين أهواءهم ليس فيهم...» وهم آخر.

٢ ـ إن العلّامة قسّم الناس بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله إلى الأصناف الأربعة ـ كما هو صريح كلامه واعترف به المعترض ـ ومن الأقسام من ذكره بقوله: «وبعضهم طلب الأمر لنفسه بحق...» يعني به علياً كما اعترف الرجل كذلك، فليس (كلّهم متّبعين أهواءهم ليس فيهم طالب حق...) كما توهّم.

٣ ـ وبما ذكرنا يتضح: أنه لو فرض إرادة العلّامة من لفظة (الأهواء) البدع وإرادة

---

(١) منهاج السنّة ٢ / ١٧.

(٢) تاج العروس في شرح القاموس ١٠ / ٤١٥.

النفس بالمعنى المذموم، فإن لفظه لا يشمل علياً عليه السلام، لأن التقسيم قاطع للشركة.

٤ ـ إن هذا التقسيم الذي ذكره العلّامة هو واقع الحال، الذي يصدّقه الكتاب وأخبار القوم، فكما يوجد في القرآن الكريم آيات تتضمن الثناء على أصحاب الرسول صلّى الله عليه وآله، كذلك فيه آيات تتضمّن أن بينهم منافقين، بل فيه (سورة المنافقين)، وكما يوجد في أخبار القوم بطرقهم أحاديث في الثناء عليهم عن النبي صلّى الله عليه وآله، كذلك يوجد فيها ما يتضمّن الذمّ الشديد، كقوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[1] وقوله: «ليردنّ علي الحوض..»[2] وكذا إخباره أنه سيكون بعده أقوام يكذبون عليه[3]. فظهر صحة تقسيم العلّامة.

وفيما ذكرناه غنى وكفاية.

ولقد أطال الرجل، فذكر آيات زعم أنها «تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار»، وآثاراً رواها عن الصحابة أنفسهم في مدح الصحابة... وفي كثير من ذلك بحث ونظر ليس هذا موضعه...، ومن ذلك قوله: «وقال للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ...﴾، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...﴾ وقد وضع بعض الكذّابين حديثاً مفترى: إن هذه الآية نزلت في علي لمّا تصدق بخاتمه في الصّلاة. وهذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل، وكذبه بيّن من وجوه كثيرة...»[4].

قلت: هذا كلّه خروج عن البحث في هذا المقام، وسيجئ إن شاء الله تعالى الكلام على هذه الآية، ليعلم الباحث المنصف أن الحديث الوارد ليس حديثاً مفترى، وأن

---

(١) جامع الأصول ١٠ / ٤٢٧.

(٢) جامع الأصول ١١ / ١٢٠.

(٣) والأخبار في هذا المعنى كثيرة بألفاظ مختلفة.

(٤) منهاج السنّة ٢ / ٢٩ ـ ٣٠.

الاستدلال بالآية لإمامة أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل تام، غير قابل للنقاش...
وحينئذ، يعرف المنصف الطائفة التي «ليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظم افتراء للكذب على الله وتكذيباً للحق منهم»[1] والتي «لا يوجد أكثر المنافقين إلّا فيهم»[2].

في أن أبا بكر طلب الأمر لنفسه

قال قدس سره: فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق، وبايعه أكثر الناس طلباً للدنيا....

الشرح:

قال ابن تيمية: «قوله: فبعضهم طلب الأمر لنفسه... وهذا إشارة إلى أبي بكر، فإنه هو الذي بايعه أكثر الناس، ومن المعلوم أن أبا بكر لم يطلب الأمر لنفسه، لا بحق ولا بغير حق، بل قال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: إما عمر بن الخطاب وإما أبا عبيدة. قال عمر: فوالله لأن أقدَّم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثمٍ أحبَّ إليّ من أن أتأمرّ على قوم فيهم أبو بكر. وهذا اللفظ في الصحيحين.

وقد روي عنه أنه قال: أقيلوني أقيلوني. فالمسلمون اختاروه وبايعوه لعلمهم بأنه خيرهم، كما قال له عمر يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت سيّدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله. ولم ينكر ذلك أحد. وهذا أيضاً في الصحيحين.

والمسلمون اختاروه كما قال النبي صلّى الله عليه وآله في الحديث الصحيح لعائشة: أدعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه الناس من

---

(١) منهاج السنة ٢ / ٣٤.

(٢) المصدر ٢ / ٤٦.

بعدي. ثم قال: يأبى الله والمؤمنون أن يتولّى غير أبي بكر.

فالله هو ولّاه قدراً وشرعاً، وأمر المؤمنين بولايته، وهداهم إلى أن ولّوه من غير أن يكون طلب ذلك لنفسه»[١].

أقول:

من المعلوم أن أبا بكر قد طلب الأمر لنفسه، فهو الذي احتجّ على الأنصار فخصمهم كما يدّعون.

فإن قيل: الإحتجاج على القوم أمر وطلب الأمر لنفسه أمر آخر. قلنا: إذا لم يكن أبو بكر طالباً شيئاً لنفسه، فلماذا رجع من السنح ومن جيش أسامة مخالفاً لله ورسوله؟

فإن قيل: إنما رجع للوداع مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد بلغه شدّة وجعه. قلنا: وهل كان للرسول في رجوعه ـ حتى للوداع معه ـ رضى؟

ثم لمّا توفي صلّى الله عليه وآله فلماذا لم يحضر تجهيزه، بل أسرع ومعه عمر وأبو عبيدة نحو السقيفة حيث اجتمع الأنصار للنظر في أمر الخلافة؟

وبعد، فقد ناقض ابن تيمية نفسه بتصريحه بأن أبا بكر ـ وكذا عمر وعثمان ـ ادّعوا الإمامة وطلبوا الأمر ودعوا الناس إلى طاعتهم، وسيأتي نصّ كلامه في البحث حول آية المودّة.

وأمّا قوله: «أقيلوني» الذي ذكره الرجل بقوله: «وقد روي عنه» ولم يذكر راويه فما معناه؟ وما لفظه الكامل؟ ومتى قاله؟ وسيأتي الكلام عليه في محلّه.

وأمّا قوله: «فالمسلمون اختاروه وبايعوه لعلمهم بأنه خيرهم». فكذب، لأن المسلمين لم يختاروه... وتلك قضايا السقيفة والصراع بين المهاجرين والأنصار الحاضرين فيها، وأين كان سائر المسلمين؟ نعم، بايعه عمر وأبو عبيدة، ثم حُمِل الناس

---

(١) منهاج السنة ٢ / ٥٠ ـ ٥٢.

على ذلك فبايعه أكثرهم، ولم يبايعه كثيرون من أعلام المسلمين... ولعلّنا نتعرّض لوقائع السقيفة بشيء من التفصيل في الموضع المناسب.

والإستدلال بقوله المخرج في الصحيحين مردود، لأن أخبار الصحيحين ليست بحجة. وإذا كان الملاك للتقدّم هو الأحبيّة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله والأفضليّة والسيادة، كما يروون عن عمر مخاطباً لأبي بكر... فهذه الصفات مجتمعة في علي عليه السلام، للأحاديث الصحيحة المرويّة في كتب القوم، كحديث خيبر، وحديث الطائر المشوي وغيرهما مما سيأتي في محلّه.

وأمّا الحديث «إنه قال لعائشة...» ففيه:

أولاً: إن أحاديث الصحيحين ليست بحجة.

وثانياً: إن عائشة متهمة في النقل في أمثال المقام في الأقل.

وثالثاً: إن هذا الحديث بالخصوص موضوع في مقابلة حديث القرطاس الصحيح عند الفريقين.

هذا، وممّا يشهد بأنه إنما رجع إلى المدينة لطلب الأمر لنفسه، وأن النبي صلّى الله عليه وآله ما قال لعائشة: «ادعي لي أباك...» بل أعرض عنه لدى حضوره عنده... وأنه لم يكن أحبّ الناس إليه صلّى الله عليه وآله: ما أخرجه جماعة من أكابر القوم من أنه صلّى الله عليه وآله لما حضره الموت قال: «ادعوا لي حبيبي» أو «عليّاً» فدعوا له أبا بكر «فوضع رأسه» أو «سكت»... ثم أعاد الكلمة، فدعي له عمر، فصنع ما صنع أوّلاً... حتى دعي له علي... وأمر بانصراف القوم من حوله...[1].

---

(١) مسند أحمد ١ / ٣٥٦، تاريخ الطبري ٢ / ٤٣٩، الرياض النضرة ٢ / ١٨٠، ذخائر العقبى: ٧٢.

دفاع ابن تيمية عن عمر بن سعد

قال قدس سره: كما اختار عمر بن سعد ملك الري أياماً يسيرة لمّا خُيِّر بينه وبين قتل الحسين عليه السلام، مع علمه بأن في قتله النار...

الشرح:

هو: قائد جيوش يزيد بن معاوية لقتل سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، وهو ابن سعد بن أبي وقاص الزهري. ومن القوم من دعته العصبية والبغضاء للرسول وأهل بيته إلى توثيقه والرواية عنه... لكن عن ابن معين، من أكابر القوم وأئمتهم في الجرح والتعديل: «كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟»[1].

قتله المختار بن أبي عبيدة الثقفي سنة خمس وستين.

وأما شعره المذكور، فمعروف جداً، تجده في كتب الأخبار والتواريخ والبلدان، مع الإختلاف زيادة ونقيصة في عدد الأبيات[2]... ورأيته في بعض الكتب ثمانية أبيات هي:

فوالله ما أدري وإني لحائر ... أفكّر في أمري على خطرين

أأترك ملك الرّي والرّي منيتي ... أم أرجع مأثوماً بقتل حسين

حسين ابن عمي والحوادث جمّة ... لعمري ولي في الرّي قرة عين

وإنَّ إلّه العرش يغفر زلّتي ... ولو كنت فيها أظلم الثقلين

ألا إنما الدنيا بخير معجّل ... وما عاقل باع الوجود بدين

يقولون إن الله خالق جنة ... ونار وتعذيب وغلّ يدين

فإن صدقوا فيما يقولون فإنني ... أتوب إلى الرحمن من سنتين

(١) تهذيب الكمال ٢١ / ٣٥٧، ميزان الاعتدال ٣ / ١٩٩، تهذيب التهذيب ٧ / ٣٩٦.

(٢) الكامل في التاريخ ٤ / ٥٣، معجم البلدان: الري ٣ / ١١٨.

وإن كـذبوا فـزنا بـدنيا عـظيمة ومـلك عـظيم دائـم الحجلين

قال ابن تيمية: «تمثيل هذا بقصة عمر بن سعد طالباً للرياسة والمال، مقدّماً على المحرّم لأجل ذلك، يلزم منه أن يكون السابقون الأوّلون بهذه الحال.

وهذا أبوه سعد بن أبي وقاص كان من أزهد الناس في الإمارة والولاية، ولمّا وقعت الفتنة اعتزل الناس في قصره بالعقيق... فإذا لم يحسن أن يشبّه بابنه عمر أيشبّه به أبو بكر وعمر وعثمان؟

هذا، وهم لا يجعلون محمد بن أبي بكر بمنزلة أبيه، بل يفضّلون محمداً ويعظّمونه ويتولّونه، لكونه آذى عثمان وكان من خواصّ علي لأنه كان ربيبه، ويسبّون أباه أبا بكر ويلعنونه، فلو أن النواصب فعلوا بعمر بن سعد مثل ذلك فمدحوه على قتل الحسين، لكونه كان من شيعة عثمان ومن المنتصرين له، وسبّوا أباه سعداً لكونه تخلّف عن القتال مع معاوية والانتصار لعثمان، هل كانت النواصب لو فعلت ذلك إلّا من جنس الرافضة.

بل الرافضة شرّ منهم، فإن أبا بكر أفضل من سعد، وعثمان كان أبعد من استحقاق القتل من الحسين، وكلاهما مظلوم شهيد رحمه الله....

ثم غاية عمر بن سعد وأمثاله، أن يعترف بأنه طلب الدنيا بمعصية يعترف أنها معصية، وهذا ذنب كثير وقوعه من المسلمين»[1].

أقول:

أولاً: لقد شبّه العلامة حال (البعض الذي طلب الأمر بغير حق) بحال عمر بن سعد، ولم يشبّه حال السّابقين الأوّلين بحاله حتى «يلزم أن يكون السّابقون الأوّلون بهذه الحال»، فما قاله هذا الرجل باطل.

---

(١) منهاج السنّة ٢ / ٦٥ ـ ٦٨.

وثانياً: إن سعد بن أبي وقاص ممن تنازل عن الإمارة في الشورى لعثمان بن عفان، ثم لمّا حاصر المسلمون ـ من الصحابة والتابعين ـ عثمان خذله ولم ينصره، حتى قتل عثمان وسعد مختف في خارج المدينة في (قصره) خوفاً من المسلمين الثائرين... ومن كان هذا حاله لا يوصف بأنه «أزهد الناس في الإمارة والولاية» كما لا يوصف من كان له (قصر) في ذلك الزمان بالزهد مطلقاً.

ومن طرائف الأخبار: ما حكاه الحافظ ابن حجر بترجمة محمد بن مسلمة: «أنه كان عند عمر معدّاً لكشف الأمور المعضلة في البلاد، وهو كان رسوله في الكشف عن سعد بن أبي وقاص حين بنى القصر بالكوفة. قال: وقال ابن المبارك في الزهد... بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن أبي وقاص اتّخذ قصراً وجعل عليه باباً وقال: انقطع الصوت، فأرسل محمد بن مسلمة ـ وكان عمر إذا أحبّ أن يؤتى بالأمر كما يريد بعثه ـ فقال له: إئت سعداً فأحرق عليه بابه، فقدم الكوفة، فلما وصل إلى الباب أخرج زنده فاستورى ناراً ثم أحرق الباب، فأخبر سعد فخرج إليه فذكر القصة»[1].

ومن هذا الخبر تظهر أمور منها: إن سعداً كان يحبّ العيش في القصور أينما كان، وأين هذا من الزهد؟

وثالثاً: إنه لا يقاس عمر بن سعد بمحمّد بن أبي بكر، ولا فعله بفعله، كما لا يقاس عثمان بسيّدنا الحسين سيّد شباب أهل الجنة وسبط الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه وآله.

فأمّا محمد بن أبي بكر، فقد ورد في حقّه ما لم يرد في حق عمر بن سعد عشر معشاره، وقد اشترك ـ إن ثبت ـ مع الصحابة وسائر المسلمين في النهي عن المنكر، لا طلباً للدنيا بل عن علم واعتقاد بأنه جهاد في سبيل اللّه، بخلاف عمر بن سعد. فإن

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ٦ / ٢٩.

صريح أشعاره ـ التي لم ينكرها ابن تيمية ولا غيره ـ «علمه بأن في قتل الحسين النار» وأنه اختار ذلك بعد أن خُيِّر بينه وبين الرئاسة وملك الري....

وأيضاً: فإن محمد بن أبي بكر، كان قد أمر عثمان بقتله مع أصحابه في كتاب أرسله إلى عامله، في قصة مشهورة، وعمر بن سعد لم يكن بالنسبة إليه ـ ولا إلى غيره ـ شيء من الحسين عليه السلام.

على أن القوم ـ سواء كان فيهم محمد أو لم يكن ـ ما تعمّدوا قتل عثمان، وإنما طالبوه بأن يخلع نفسه، لما ظهر من أحداثه، فعندما ألحّ حاصروه، لكنه أبى واغترّ باجتماع نفر من أوباش بني أمية يدفعون عنه، حتى انتهى الأمر بالتدريج إلى القتل وكان ما كان. وعمر بن سعد يصرّح في أشعاره بأنه جاء ليقتل الحسين مع علمه بأن في قتله النار، بغية الوصول إلى ملك الري... وكذلك كان أصحابه وجنوده....

ورابعاً: إن السبب الأهمّ في تعظيم المسلمين وتجليلهم لمحمد بن أبي بكر ليس مشاركته في قتل عثمان ـ بناء على صحة الخبر، فإن جماعة من أهل العلم نفوه كما في الإستيعاب ـ وإنما ثناء أمير المؤمنين عليه السلام عليه وتفضيله. قال ابن عبد البر: «وكان علي بن أبي طالب يثني على محمد بن أبي بكر ويفضّله، لأنه كانت له عبادة واجتهاد»[1].

وخامساً: عدم الطعن في عمر بن سعد لما فعل بل الاعتذار له بما ذكر، يكشف عن نصب شديد وعداء مقيت، إذ لا يتفوّه مسلم بأن غاية الأمر في هذا الباب أنه اعترف بأنه طلب الدنيا بمعصية يعترف بها، ولا يعبر عن قتل المسلم بغير حق بـ(معصية) فضلاً عن قتل ابن رسول الله وأولاده وأصحابه....

وسادساً: إن قتل الحسين عليه السلام ذنب لا يقاس به شيء من الذنوب الكبائر،

---

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/١٣٦٧.

فضلاً عن غيرها، حتى يقال: «هذا ذنب كثير وقوعه من المسلمين». فلو أن أهل العالم بأسره اشتركوا في قتل نبي من الأنبياء أو وصيّ من الأوصياء لأدخلهم الله النار. ومن الواضح أن تهوين هذا الفعل الشنيع الفظيع رضيً به، ومن رضي بفعل قوم أشرك معهم فيه.

ثم قال ابن تيميّة: «وأما الشيعة فكثير منهم يعترفون بأنهم إنما قصدوا بالملك إفساد دين الإسلام ومعاداة النبي عليه السلام، كما يعرف ذلك من خطاب الباطنية وأمثالهم من الداخلين في الشيعة... وأول هؤلاء بل خيارهم هو المختار بن أبي عبيدة الكذاب، فإنه كان أمين الشيعة، وقتل عبيد الله بن زياد، وأظهر الانتصار للحسين وقتل قاتله.

بل كان هذا أكذب وأعظم ذنباً من عمر بن سعد، فهذا الشيعي شرّ من ذلك الناصبي، بل والحجّاج بن يوسف خير من المختار بن أبي عبيدة، فإن الحجّاج كان مبيراً كما سمّاه النبي صلّى الله عليه وآله لم يسفك الدماء بغير حق، والمختار كان كذاباً يدّعي الوحي وإتيان جبريل إليه...»[1].

أقول:

وهذا الفصل من كلامه أيضاً يشتمل على أكاذيب ودعاوى وافتراءات.. وكلّ ذلك ذبّاً عن عمر بن سعد، بل هو في الحقيقة ذبّ ودفاع عمّن ولّاه وعمّن شيّد أركان سلطان بني أمية الظالمين، وعمّن أسّس أساس الظّلم والجور في الإسلام! نعم، إن النواصب ليعلمون جيّداً بأن الطعن في عمر بن سعد طعن في معاوية، والطّعن فيه طعن في الأوّلين....

فمَن الباطنية؟ وما فعلوا؟ وهل هم من الشيعة حقاً؟

---

(١) منهاج السنّة ٢ / ٦٨ ـ ٧٠.

وهل كان المختار بن أبي عبيدة كذاباً؟

وهل كان مع ذلك أمين الشيعة؟

وكيف يكون قاتل قاتل الحسين أعظم ذنباً من قاتل الحسين عليهما السلام؟

وهل أن الحجاج الثقفي لم يسفك دماً بغير حق؟

وهل كان خيراً من المختار؟

إن الدخول في البحث عن هذه القضايا يبعدنا عن المقصود، وإنما نريد التأكيد على أن هذا الرجل يحاول تبرير ما فعله أمراء حكّام الجور، حتى لا ينتهي الطعن إلى الحكّام أنفسهم... ويحاول الطعن في كلّ من انتصر لأهل البيت، لشدة بغضه وعدائه لهم وإن كان يحاول التستر على ذلك....

لقد ثبت تاريخياً ـ وشهد من أنصف ـ بأن الذين «قصدوا بالملك إفساد دين الإسلام ومعاداة النبي صلّى الله عليه وآله» هم غير الشيعة، كما لا يخفى على من راجع ولاحظ ما أحدثه بنو أمية والزبير، ومن تأخر عنهم من الملوك والحكام، بل من تقدّم عليهم، في دين الإسلام....

أفهل حرّم شيعي ما كان حلالاً على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله؟

وهل منع شيعي من الشهادة برسالته في الأذان؟

وهل صلّى شيعي صلاة الجمعة يوم الأربعاء؟

وهل رمى شيعي القرآن حتى مزّقه؟

وهل هدم شيعي الكعبة ورماها بالمنجنيق؟

وممّا يشهد بما ذكرنا من أن غرض الرجل الحماية عن حكّام الجور وعمّال الظلمة، لئلا ينتهي الطعن إلى أمراء الفاسقين أنفسهم... تناقضاته في كلماته، فتارة يقول بأن الحجاج «لم يسفك دماً بغير حق»، وأخرى يقول ـ في تقديم الحجّاج على المختار بزعمه ـ: «وهذا الذنب أعظم من قتل النفوس»، وثالثة يصفه بأنه: «كان لا يقبل من

محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم»! وتجد في (المدخل) بعض التفصيل.

الكثرة لا تستلزم الصواب

قال قدس سره: وبعضهم اشتبه الأمر عليه، ورأى طالب الدنيا مبايعاً له، فقلّده وبايعه وقصّر في نظره فخفي عليه الحق، واستحقّ المؤاخذة من الله تعالى بإعطاء الحقّ لغير مستحقّه بسبب إهمال النظر. وبعضهم قلّد لقصور فطنته، ورأى الجمّ الغفير فبايعهم....

الشرح:

اعترض عليه ابن تيمية أوّلاً: «الله تعالى قد حرّم القول بغير علم، فكيف إذا كان المعروف ضدّ ما قاله، فلو لم نكن نحن عالمين بأحوال الصحابة لم يجز أن نشهد عليهم بما لا نعلم من فساد القصد والجهل بالمستحق... فكيف إذا كنا نعلم أنهم كانوا أكمل هذه الأمة عقلاً وعلماً وديناً»[١].

وثانياً: بأنه «هب أن الذين بايعوا أبا بكر كانوا كما ذكرت إمّا طالب دنيا وإمّا جاهل، فقد جاء بعد أولئك في قرون الأمة من يعرف كلّ أحد زكاءهم وذكاءهم مثل... وهم كلّهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر...»[٢].

أقول:

ويردّ الأوّل: بأن الذي قاله العلاّمة ليس من القول بغير علم ولا من الشهادة بما لا يعلم... بل هو العلم بأحوالهم عن طريق أفعالهم وأقوالهم، فهو علم مستند إلى الحس. أما علم المعترض المدّعي حصوله له، فهو مستند إلى أخبار يروونها واجتهادات لهم في الآيات يرونها... ألا ترى قوله: «فإنهم خير هذه الأمة كما تواترت

---

(١) منهاج السنة ٢ / ٧٦.

(٢) المصدر ٢ / ٨٢.

بذلك الأحاديث عن النبي صلّى الله عليه وآله حيث قال: خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. وهم أفضل الأمة الوسط الشهداء على الناس... لهم كمال العلم وكمال القصد. إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمة خير الأمم. وأن لا يكونوا خير الأمة، وكلاهما خلاف الكتاب والسنة». لكن الحديث المزعوم تواتره غير وارد من طرقنا، والآية إنما تدلّ على كون هذه الأمة خير الأمم ما دامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر....

وبالجملة، فقول العلّامة علم مستند إلى الحسّ، ولا ريب في تقدم الحسّ على الحدس، بعد تسليم مستنده سنداً ودلالة.

ويردّ الثاني:

أوّلاً: بأن في الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ممّن يرى تفضيل أمير المؤمنين عليهما مثل ذلك بل أكثر. **وثانياً:** هب أن الذين قالوا بتفضيلهما كانوا كما ذكرت، فهل الكثرة تستلزم الصواب، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1]؟

طلب الإمام الأمر بحق

قال قدس سره: وبعضهم طلب الأمر لنفسه بحق، وتابعه الأقلّون الذين أعرضوا عن الدنيا وزينتها، ولم تأخذهم في الله تعالى لومة لائم، بل أخلصوا لله تعالى واتبعوا ما أُمروا به من طاعة من يستحق التقديم.

الشرح:

قال ابن تيمية: «قولك: إنه طلب الأمر لنفسه بحق وبايعه الأقلّون كذب على علي رضي الله عنه، فإنه لم يطلب الأمر لنفسه في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وإنما طلبه

---

(1) سورة المؤمنون: 70.

لما قتل عثمان وبويع، وحينئذ، فأكثر الناس كانوا معه، ولم يكن معه الأقلّون، وقد اتفق أهل السنّة والشيعة على أن علياً لم يدع إلى مبايعته في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان...».

أقول:

ليس المراد من (طلب الأمر لنفسه) أن يخرج إلى الناس ويدعوهم إلى بيعته، فإن هذا لم يكن منه، لا بعد أن توفى الله نبيه صلّى الله عليه وآله، ولا بعد أن قتل المسلمون عثمان بن عفان.

أمّا في اليوم الأوّل، فقد كان مشغولاً بالنبي صلّى الله عليه وآله، وما كان بالذي يتركه على الأرض ويخرج فيخاصم الناس على سلطانه كما فعل غيره، غير أن بني هاشم وجماعة من المهاجرين والأنصار كانوا في بيته ليبايعوه وهم لا يشكّون في أنه الخليفة والإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وأمّا في اليوم الثاني، فإن الناس هم الذين طلبوه لأن يبايعوه، فإن كان قبول البيعة منهم طلباً، فلماذا أنكرت نسبة الطلب إلى أبي بكر وأنت تدّعي أن الناس بايعوه؟ إنه ليس على الإمام الحق إلا الاستعداد لتولّي الأمر وقبول البيعة.

وهذا ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام في اليومين، غير أنه في الثاني بايعه الأكثرون بل الكلّ، وفي الأوّل ـ والكلام حوله الآن ـ لم يبايعه إلا الأقلّون الذين بقوا معه في الدار، معرضين عن الدنيا وأهلها....

وأيّ شيء أبلغ في الدّلالة على الطلب، من قبول البيعة ممن بايع والإباء عن البيعة للغير؟ نعم، لقد طلب الأمر لنفسه، وتحقق له، ببيعة أولئك الأقلّين وقبول بيعتهم، وإلّا لخرج وبايع أبا بكر. هب أنه كان معذورا بانشغاله بأمر النبي صلّى الله عليه وآله ثم بجمع القرآن في الأيام الأولى، فلا أقل من أن يأمر أهله وذويه بالمبادرة إلى البيعة! وهلّا بايع بعد الفراغ ممّا كان يشغله؟ وهلّا أمر حليلته بضعة الرسول عليهما السلام ـ وهو يراها موشكة على اللّحوق بأبيها ـ وهو يعلم بأن: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات

ميتة جاهلية»؟

كلّا، لم يفعل شيئاً من ذلك، فلا هو بايع، ولا هي، ولا أحد من بني هاشم والذين كانوا معهم من غيرهم، مدّة حياة الصدّيقة الطاهرة بعد النبي، وهي ستة أشهر، في رواية القوم [1].

إلى غير ذلك من الشواهد العقليّة والنقليّة على صدق كلام العلّامة طاب ثراه، وأن القول بأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يطلب الأمر لنفسه كذب عليه.

قال قدّس سرّه: وحيث حصلت للمسلمين هذه البليّة، وجب على كلّ واحدٍ النظر في الحق واعتماد الإنصاف....

الشرح:

لا يخفى أن موضوع الكتاب (إثبات الإمامة)، وإنما تعرّض لمسائل التوحيد والعدل والنبوة مقدّمة للغرض الذي لأجله وضع الكتاب، فلكون هذه المسائل مقدّمة، وفي كلامه إشارة لمجمل الدليل في كلّ مسألة منها، لم نر ضرورة للشرح والبسط إلا لما يتعلّق بصلب الموضوع.

الأدلّة على وجوب اتّباع مذهب الإماميّة

قال قدّس سرّه: وإنما كان مذهب الإماميّة واجب الاتّباع لوجوه:

الوجه الأوّل

لما نظرنا في المذاهب، وجدنا أحقّها وأصدقها وأخلصها عن شوائب الباطل، وأعظمها تنزيهاً لله تعالى ولرسله ولأوصيائه عليهم السلام، وأحسنها في المسائل الاصوليّة والفروعيّة، مذهب الإماميّة، لأنهم اعتقدوا: أنّ الله تعالى هو المخصوص

---

(١) صحيح البخاري ٥ / ٨٢، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر. صحيح مسلم ٥ / ١٥٤، كتاب الجهاد، باب قول النبي: لا نورث....

بالأزليّة... وأنه ليس بجسم... وأنه تعالى قادر على جميع المقدورات، وأنه عدل حكيم... وأن أفعاله محكمة واقعة لغرض ومصلحة وإلّا كان عابثاً.[1] وأنه أرسل الأنبياء عليهم السّلام لإرشاد العالم. وأنه تعالى غير مرئي ولا مدرك بشيء من الحواس... وأنه ليس في جهة... وأن الأنبياء عليهم السّلام معصومون عن الخطأ والسهو والمعصية، صغيرها وكبيرها، من أوّل العمر إلى آخره... وأن الأئمة معصومون كالأنبياء عليهم السّلام في ذلك، لما تقدم. ولأن الشيعة أخذوا أحكامهم الفروعية عن الأئمة المعصومين عليهم السّلام الناقلين عن جدهم رسول اللّه، الآخذ ذلك من اللّه تعالى بوحي جبرئيل عليه السلام إليه، يتناقلون ذلك عن الثقات خلفاً عن سلف، إلى أن تتصل الرواية بأحد المعصومين عليه السلام، ولم يلتفتوا إلى القول بالرأي والإجتهاد وحرّموا الأخذ بالقياس والإستحسان.

موجز عقائد الإمامية في صفات الباري والأنبياء والأئمة

الشرح:

هذا موجز عقائد الإمامية، وكان غاية ما أجاب به ابن تيمية عمّا ذكره العلّامة رحمه اللّه من عقائد الإمامية هو: أن هذه عقائد فلان من المعتزلة أو الطائفة الفلانيّة منها أو من غيرها. لكن العلّامة لا ينفي أن يكون غير الإمامية مشاركاً لهم في شيء من عقائدهم.

ثم إن هذا الرجل يورد في عقائد الإمامية ومقالاتهم أشياء ليست في شيء من كتبهم، وإنما يعتمد في إيرادها على ما ذكره المصنّفون من أهل نحلته وخاصّة عن أبي الحسن الأشعري، وإذا استدلّ بحديث ردّاً أو تأييداً فهو حديث يرويه المحدّثون من أهل مذهبه بطرقهم التي عليها يعتمدون... ومن الواضح أن ذلك كلّه خروج عن أدب البحث وقانون المناظرة.

---

(١) سورة الأنبياء: ١٦.

إزراء ابن تيمية بأئمة أهل البيت

وكثيراً ما ينسب إلى الإمامية ـ بل إلى أئمة أهل البيت عليهم السّلام ـ أشياء نسبة مجرّدة عن الدليل والمستند الصحيح، فممّا قال مثلاً: «قدماؤهم كانوا يقولون: القرآن غير مخلوق كما يقوله أهل السنّة والحديث. وهذا هو المعروف عند أهل البيت، كعلي بن أبي طالب وغيره مثل أبي جعفر الباقر وجعفر الصّادق وغيرهم، ولكن الإماميّة تخالف أهل البيت في عامّة أصولهم.

فليس من أئمة أهل البيت مثل: علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر ابن محمد، من كان ينكر الرؤية، ولا يقول بخلق القرآن، ولا ينكر القدر، ولا يقول بالنصّ على علي، ولا بعصمة الأئمة الاثني عشر، ولا يسبّ أبا بكر وعمر. والمنقولات الثابتة المتواترة عن هؤلاء معروفة موجودة، وكانت مما يعتمد عليه أهل السنّة»[١].

وقد تخرج من فيه كلمات كبيرة في أئمة أهل البيت عليهم السّلام!

كقوله: «القوم المذكورون إنما كانوا يتعلّمون الحديث من العلماء به كما يتعلّم سائر المسلمين، وهذا متواتر عنهم»[٢].

فممن كانوا يتعلّمون، وكلٌّ منهم أعلم أهل زمانه في الحديث وغيره؟

وهذا متواتر عنهم، عند من؟

ولو فرض رواية أحدهم عن أحد الصحابة مثلاً في قضية في واقعة، فهل يسمّى ذلك تعلّماً؟

وكقوله: «فليس في هؤلاء من أدرك النبي صلّى الله عليه وآله وهو مميز إلا علي كرّم الله وجهه، وهو الثقة الصدوق فيما يخبر به عن النبي صلّى الله عليه وآله، كما أن

---

(١) منهاج السنة ٢ / ٣٦٨.

(٢) منهاج السنة ٢ / ٤٥٤.

أمثاله من الصحابة ثقات صادقون فيما يخبرون به أيضاً عن النبي... حتى بسر بن أبي أرطاة مع ما عرف منه، روى حديثين رواهما أبو داود...»[١].

فإن أئمة أهل البيت عليهم السلام كان الواحد منهم يروي عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله... ثم هل أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الصحابة ـ حتى بسر ـ سواء؟

وكقوله: «فالزهري أعلم بأحاديث النبي صلّى الله عليه وآله وأحواله وأقواله باتفاق أهل العلم من أبي جعفر بن علي وكان معاصراً له. وأما موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي، فلا يستريب من له من العلم نصيب أن مالك بن أنس، وحمّاد بن زيد وحمّاد بن مسلمة، والليث بن سعد، والأوزاعي، ويحيى بن سعيد، ووكيع بن الجرّاح وعبد الله بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه. وأمثالهم، أعلم بأحاديث النبي صلّى الله عليه وآله هؤلاء»[٢].

وكقوله: «لا يشكّ عاقل أن رجوع مثل مالك، وابن أبي ذئب، وابن الماجشون، والليث بن سعد، والأوزاعي، والثوري، وابن أبي ليلى، وشريك وأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، والحسن بن زياد اللؤلؤي، والشافعي، والبويطي، والمزني، وأحمد بن حنبل، وأبي داود السجستاني، والأثرم، وإبراهيم الحربي، والبخاري، وعثمان بن سعيد الدارمي، وأبي بكر ابن خزيمة، ومحمد بن جرير الطبري، ومحمد بن نصر المروزي، وغير هؤلاء، إلى اجتهادهم واعتبارهم، مثل أن يعلموا سنّة النبي صلّى الله عليه وآله الثابتة عنه، ويجتهدوا في تحقيق مناط الأحكام وتنقيحها وتخريجها، خير لهم من أن يتمسكوا بنقل الروافض عن العسكريين

---

(١) منهاج السنة ١ / ٤٥٦.

(٢) منهاج السنة ٢ / ٤٦٠.

وأمثالهما، فإن الواحد من هؤلاء لأعلم بدين الله ورسوله من العسكريين أنفسهما، فلو أفتاه أحدهما بفتيا كان رجوعه إلى اجتهاده أولى من رجوعه إلى فتيا أحدهما، بل ذلك هو الواجب عليه»(١).

أقول:

أوّلاً: إن كلّ واحد من الأئمة الاثني عشر عليهم السّلام علمه من الله وموروث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، فكيف يكون الواحد من هؤلاء أعلم من الواحد منهم؟ بل لو جمعت علوم كلّهم لما بلغ عشر معشار علم الواحد منهم....

وثانياً: لقد اعترف بإمامة أئمة أهل البيت عليهم السّلام ـ في العلم وغيره من الصفات ـ كثير من أئمة أهل السنّة ومشاهير علمائهم... ولعلّنا نذكر بعض تلك الكلمات فيما سيأتي، حيث يذكر العلامة رحمه الله موجزاً من أحوال الأئمة عليهم السلام... الأمر الذي يؤكّد تعصّب ابن تيمية وشدّة عناده لأهل البيت.

وثالثاً: إنه لا اتفاق بين السنّة على وصف هؤلاء الذين ذكرهم الرجل بما وصفهم به.. وهذا واضح لمن راجع تراجمهم وما قيل فيهم في كتب الرجال.

ورابعاً: إن ما قاله الرجل في حق الأئمة عليهم السّلام ليس شيئاً جديداً من المناوئين للعترة الطاهرة، فلقد قالوا مثله فيمن هو خير من العسكريين وأفضل... وهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي ورد في حقه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وعن الصحابة والتابعين ومن بعدهم... ما ورد... والذي قال في حقه عمر بن الخطاب: «لولا علي لهلك عمر»... والذي طالما رجع إليه الصّحابة في المعضلات، ولم يرو أحد رجوعه إلى أحد أبداً... نعم، قالوا مثل هذا الكلام في حقّه، بل فضّلوا عليه مبن ليس بأفضل من العلماء الذين ذكر الرجل أسماءهم...!!

---

(١) منهاج السنة ٢ / ٤٧٠ ـ ٤٧٣.

وخامساً: لقد تعلّم مشاهير الصحابة وتلمّذوا على أمير المؤمنين عليه السلام في العلوم المختلفة، ورجعوا إليه في المشكلات، وهذا أمر مشهور كما اعترف به كبار العلماء، كالنووي في (تهذيب الإسماء واللغات)(١).

والواجب على أهل كلّ زمان هو الرجوع إلى الإمام المعصوم في ذلك الزمان، المنصوص عليه من قبل رسول الله صلّى الله عليه وآله، والتعلّم منه، وقد فعل ذلك جماعة من علماء القوم المعاصرين للأئمة الطاهرين، وفيهم بعض العلماء الذين ذكرهم هذا الرجل زاعماً أعلميّتهم ووجوب تعلّم الأئمة منهم!! وسنرى ذلك في تراجم الأئمة الأطهار في هذا الكتاب.

وكيف يجوز أن يرجع أحد من طلّاب العلم ـ فكيف بالعسكريين الإمامين المعصومين ـ إلى أناس يستندون في فتاواهم إلى القياسات والاستحسانات، ويترك ما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عزّ وجل، بواسطة الأئمة المعصومين؟

وإذا كان هذا موقف ابن تيمية من أئمة أهل البيت الطاهرين عليهم السّلام، فما ظنّك بموقفه من شيعتهم؟ فإن كتابه مملوء ـ ولا سيّما في هذه المواضع ـ بالسبّ والشتم والتكفير... وأمثال هذه الأشياء التي يلتجئ إليها عادة المبطلون إذا أحرجوا في المسائل... أنظر إليه يقول في موضع:

«... وهذا دأب الرافضة دائماً يتجاوزون عن جماعة المسلمين إلى اليهود والنصارى والمشركين في الأقوال والموالاة والمعاونة والقتال وغير ذلك، ومن أضلّ من قوم يعادون السّابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، ويوالون المنافقين والكفار؟ وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٣٤٦.

مِنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾» فذكر الآيات إلى آخرها[1].

موجز عقائد غير الإمامية وما يرد عليها

قال قدس سره: أما باقي المسلمين فقد ذهبوا كلّ مذهب....

الشرح:

لا يخفى أن مراده من (باقي المسلمين) هو الأعمّ من الأشاعرة والمعتزلة.

ولم ينكر ابن تيمية ما نسبه العلّامة رحمه الله من هذه المذاهب إلى طوائف أهل السنّة وعلمائهم، حتى أنه قال في موضع: «قد قلنا غير مرة: نحن لا ننكر أن يكون في بعض أهل السنّة من يقول الخطأ»[2]. إلا أنه يقول: هذه العقيدة ليست لجميع أهل السنّة، أو إن الزيدية تشاركهم فيها. لكن العلّامة رحمه الله ذكر لكلّ فرقة من فرق أهل السنّة مذهبها، ولم ينسب مذهباً لأحدها إلى غيرها، كما أن مشاركة الزيديّة لأهل السنّة في بعض العقائد ـ إنْ ثبتت ـ لا يضرّ ما هو بصدده.

ثم إن عمدة ما ذكره العلّامة رحمه الله عنهم مسألة أن الله جسم، وأن صفاته ليست ذاتيّة... وقد اضطرب ابن تيمية في هذا الموضع اضطراباً شديداً، فشرّق وغرّب، وأرعد وأبرق... ولكنه لم يأت بشيء.

وكان أهمّ ما تذرّع به وكرّره: أن التجسيم مضاف إلى بعض قدماء الإماميّة، كهشام بن الحكم... إلا أنها فرية سبقه إليها غيره، وما زال أبناء طائفته يردّدونها ذاهلين عن حقيقة الحال أو متجاهلين واقع عقيدة هذا الرجل العظيم... فبان الذي ينقل عنه قوله بأن الله جسم لا كالأجسام... وقد ثبت أنه لم يكن قائلاً بالتجسيم، ولا أن مقولته

---

(١) منهاج السنّة ٣ / ٣٧٤ـ٣٧٥.

(٢) المصدر ٣ / ١١٠.

هذه دالّة عليه... بل ذكر أبو الحسن الأشعري ـ الذي طالما نقل عنه ابن تيمية واعتمد على أقواله ـ ما نصّه: «حكي عنه أنه قال: هو جسم كالأجسام. ومعنى ذلك أنه شيء موجود»[١] وأوضحه في موضع آخر حيث قال: «قال قائلون: هو جسم خارج عن جميع صفات الأجسام، ليس بطويل، ولا عريض، ولا عميق، ولا يوصف بلون ولا طعم ولا مجسّة ولا شيء من صفات الأجسام»[٢].

ومن هنا نصّ شارح المواقف على أن هؤلاء لا يكفّرون، لأنهم ينفون جميع خواصّ الجسم، وليس في مقالتهم إلا إطلاق لفظ الجسم، بخلاف المصرّحين بالجسمية[٣]، وقد بحثنا هذه المسألة في (المدخل).

قال قدس سره: فقال بعضهم وهم جماعة الأشاعرة: إن القدماء كثيرون مع الله تعالى! وهي المعاني التي يثبتونها موجودة في الخارج كالقدرة والعلم....

الشرح:

الأشاعرة هم أتباع الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل، ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري، له عقائد تبعه عليها قوم وأنكرها آخرون، له مؤلفات كثيرة. مات ببغداد سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، له ترجمة في أكثر كتب التراجم، خصّها بعضهم بالتأليف.

قال قدس سره: فجعلوه تعالى مفتقراً في كونه عالماً إلى ثبوت معنى هو العلم! وفي كونه قادراً إلى ثبوت معنى هو القدرة، وغير ذلك! ولم يجعلوه قادراً لذاته، ولا عالماً لذاته، ولا رحيماً لذاته، ولا مدركاً لذاته، بل لمعان قديمة يفتقر في هذه الصفات إليها، فجعلوه محتاجاً ناقصاً في ذاته كاملاً بغيره! تعالى الله عن ذلك

---

(١) مقالات الإسلاميين ١ / ٢٥٧.

(٢) مقالات الإسلاميين ١ / ٢٦٠.

(٣) شرح المواقف ٨ / ١٩.

علوّاً كبيراً.

فلا يقولون هذه الصفات ذاتية....

الشرح:

قد اعترف ابن تيمية بكلّ هذا.

وقال العضد: «ذهب الأشاعرة إلى أن له صفات زائدة، فهو عالم بعلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، وعلى هذا...»[١]. وكذا قال ابن روزبهان.

وقال الرازي: «يمتنع أن يكون علمه وقدرته نفس تلك الذات»[٢].

قال قدس سره: واعترض شيخهم فخر الدين الرازي عليهم بأن قال: «إن النصارى كفروا لأنهم قالوا إن القدماء ثلاثة، والأشاعرة أثبتوا قدماء تسعة!».

الشرح:

فخر الدين الرازي هو: محمد بن عمر الملقّب عندهم بالإمام، صاحب التفسير الكبير وغيره من المصنفات، كان ذا يد طولى في العلوم، لكن بعضهم ذمّه لبعض أقواله وعقائده[٣] توفي سنة ٦٠٦، وتجد الاعتراض المذكور في تفسيره[٤].

قال قدس سره: وقال جماعة الحشوية والمشبهة إن الله تعالى جسمٌ له طولٌ وعرضٌ وعمقٌ! وإنه يجوز عليه المصافحة! وإن المخلصين من المسلمين يعانقونه في الدنيا!.

الشرح:

حكاه الشهرستاني عن الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر

(١) المواقف في علم الكلام ٣/ ٦٦ وشرحها ٨/ ٤٤.

(٢) التفسير الكبير ١/ ١٣٢. ولاحظ الملل والنحل ١/ ٨٦ـ٨٧.

(٣) لسان الميزان ٤/ ٤٢٦.

(٤) التفسير الكبير ١/ ١٣١.

وكهمس وأحمد الهجيمي[١]....

قال قدس سره: وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوّز رؤيته في الدنيا، وأن يزورهم ويزورونه!

الشرح:

الكعبي هو: أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي، له (المقالات) توفي: سنة ٣١٩ والقول المذكور أورده الشهرستاني في كتابه[٢].

قال قدس سره: وحكي عن داود الظاهري أنه قال: أعفوني عن اللّحية والفرج واسألوني عمّا وراء ذلك....

الشرح:

كذا اسمه في المخطوطة والمطبوعة، وعليه، فهو الذي تنسب إليه الطائفة الظاهرية التي تأخذ بظواهر الكتاب والسنّة وتعرض عن التأويل، توفي سنة ٢٧٠. لكن في (الملل والنحل) حيث يحكي ما أورده العلّامة: (داود الجواربي). وعنه في موضع آخر: (داود الحواري رئيس الحوارية). وفي (منهاج ابن تيمية)[٣]: «أمّا داود الجواهري فقد عرف عنه القول المنكر».

وانظر: المواقف ٣٩، وكذا الملل والنحل ١/١٠٥-١٠٦ تجد فيه أن ما نسبه العلّامة إلى داود المذكور ومن كان على قوله من مشبهة أهل السنّة، إلى كلمة (أربع أصابع) محكي عن هذا الشخص وأتباعه. ثم لاحظ كلام ابن تيمية[٤] لترى الكذب والإفتراء بكلّ صراحة ووضوح وقلّة حياء!!

---

(١) الملل والنحل ١/١٠٥.

(٢) الملل والنحل ١/١٠٥.

(٣) منهاج السنّة ١/٢٥٩ الطبعة القديمة.

(٤) منهاج السنّة ٢/٦٢٠_٦٢١.

قال قدس سره: وذهب بعضهم إلى أنه تعالى ينزل في كلّ ليلة جمعة على شكل أمرد حسن الوجه، راكباً على حمار... وحكي عن بعض المنقطعين التاركين للدّنيا من شيوخ الحشوية أنه اجتاز عليه في بعض الأيام نَقّاطٌ ومعه أمرد حسن الصورة قَطَطُ الشعر، على الصفات التي يصفون ربّهم بها... وقالت الكراميّة: إن الله تعالى في جهة فوق، ولم يعلموا أن كلّ ما هو في جهة فهو محدث، ومحتاج إلى تلك الجهة.

الشرح:

الكرّامية: هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرّام المتوفّى سنة ٢٥٥. قال الشهرستاني: «نصّ أبو عبد الله على أن معبوده على العرش استقراراً، وعلى أنه بجهة فوق ذاتاً»[١]. وفي المواقف عنه: «إن الله على العرش من جهة العلوّ»[٢].

وقد بلغ من شذوذ الحنابلة وتجسيمهم أن أبا الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ ـ وهو أحد أئمتهم ـ ردّ عليهم، واستنكر شذوذهم وافتراءاتهم على الله تعالى، في كتابٍ مفردٍ منتشر في العالم.

قال قدس سره: وذهب آخرون إلى أن الله تعالى لا يقدر على مثل مقدور العبد. وآخرون إلى أنه لا يقدر على عين مقدور العبد!

الشرح:

قال التفتازاني: «فهو بكلّ شيء عليم وعلى كلّ شيء قدير، لا كما زعم البلخي أنه لا يقدر على مثل مقدور العبد، وعامّة المعتزلة أنه لا يقدر على نفس مقدور العبد»[٣].

---

(١) الملل والنحل ١/ ١٠٨.

(٢) المواقف في علم الكلام ٣/ ٧١٦، وشرحها ٨/ ٣٩٩.

(٣) شرح العقائد النسفية: ٧٣.

قال قدس سره: وذهب الأكثر منهم إلى أن الله تعالى يفعل القبائح...

الشرح:

هذه من فروع مسألة الحسن والقبح العقليين، فالإمامية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم المثبتون لذلك يقولون: بأن الله تعالى لا يفعل القبيح ولا يخلّ بالواجب والأشاعرة المنكرون لذلك يلتزمون بجميع هذه الأمور ولوازمها.

قال قدس سره: وهذا يستلزم أشياء شنيعة:... قال أبو هذيل العلّاف: حمار بشر أعقل من بشر....

الشرح:

أبو الهذيل العلاف: هو شيخ البصريين في الإعتزال، له كتب ومقالات، توفي سنة ٢٢٧. وبشر هو معاصره: بشر بن المعتمر البغدادي، المتوفى سنة ٢١٠، كان يقول: الإنسان يخلق اللّون والطعم والرائحة والسمع والبصر على سبيل التولّد. كذا في المواقف[1] وغيرها.

كلام الإمام الكاظم عليه السلام في أن المعصية ممّن؟

قال قدس سره: ومنها: التقسيم الذي ذكره مولانا وسيّدنا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وقد سأله أبو حنيفة...

الشرح:

أبو حنيفة هو: النعمان بن ثابت إمام الحنيفة المتوفّى سنة ١٥٠. وقد اعترض ابن تيمية بأن: هذه الحكاية لم يذكر لها إسناد فلا تعرف صحّتها، كيف والكذب عليها ظاهر، فإن أبا حنيفة من المقرّين بالقدر باتفاق أهل المعرفة به وبمذهبه، فكيف يحكى عن أبي حنيفة أنه استصوب قول من يقول أن الله لم يخلق أفعال العباد؟

---

(١) المواقف: ٤١٦.

وأيضاً: فموسى بن جعفر وسائر علماء أهل البيت متفقون على إثبات القدر، والنقل عنهم بذلك ظاهر معروف، وقدماء الشيعة كانوا متفقين على إثبات القدر والصفات، وإنما شاع فيهم ردّ القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة في دولة بني بويه.

وأيضاً: فهذا الكلام المحكي عن موسى بن جعفر يقوله أصاغر القدريّة وصبيانهم، وهو معروف من حين حدثت القدرية، قبل أن يولد موسى بن جعفر، فإن موسى بن جعفر ولد بالمدينة سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة، قبل الدولة العباسية بنحو ثلاث سنين، وتوفي ببغداد سنة ثلاث وثمانين ومائة. قال أبو حاتم: ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين. والقدريّة حدثوا قبل هذا التاريخ، بل حدثوا في أثناء المائة الأولى، في زمن الزبير وعبد الملك.

وممّا يبين أن هذه الحكاية كذب، أن أبا حنيفة إنما اجتمع بجعفر بن محمد، وأمّا موسى بن جعفر فلم يكن ممن سأله أبو حنيفة ولا اجتمع به، وجعفر بن محمد هو من أقران أبي حنيفة، ولم يكن أبو حنيفة يأخذ عنه مع شهرته بالعلم، فكيف يتعلّم من موسى بن جعفر. إنتهى كلامه[1].

أقول:

هذه الحكاية لها إسناد في كتب الإمامية، بل متنها يشهد بصحّتها. لكن ليس من دأب المتكلّمين ذكر الأخبار بأسانيدها في الكتب الكلاميّة. أمّا أهل السنّة فلا يروون مثل هذا الخبر، لأنه طعن في مذهبهم، ومبيِّن لجهل من يقولون بإمامته، والإفحام له ممن كان في الظاهر صبيّاً، وهو من أئمة المسلمين بإعترافهم.

وكون أبي حنيفة من المقرّين بالقدر بالإتفاق، لا ينافي صحّة الخبر ووقوعه، فكم من دليل متقن سمعه أبو حنيفة وغيره من أهل الضلالات وعجزوا عن الجواب عنه

---

(١) منهاج السنة ٣/ ١٣٨ ـ ١٤٠.

ولم يرجعوا عن ضلالتهم، ولو كان عدم رجوع أبي حنيفة عن مقالته دليلاً على كذب الخبر، لكان عدم رجوع المشركين والزنادقة الذين قرئ عليهم القرآن وألزموا بالأدلّة والبراهين، دليلاً على كذب القرآن وبطلان أدلّة العقائد الحقّة.

أمّا أهل البيت وشيعتهم فهم على أنه «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين» وهذا شيء معروف متواتر عنهم، مذكور في كتبهم مثل الكافي للكليني والتوحيد للصدوق، وهو مذكورٌ عنهم في كتب غيرهم أيضاً، أخذوه عن سيّدهم أمير المؤمنين عليه السّلام في مواضع مختلفة من كلماته، منها: ما قاله للرجل الشامي عند منصرفه من حرب صفّين... فالكذب نسبة غير هذا المذهب إليهم.

وأمّا أن هذا الكلام والتقسيم المحكي عن الإمام عليه السلام يقوله أصاغر القدريّة وصبيانهم وهو معروف من حين حدثت القدريّة. فقد حكى حكاية لم يذكر لها إسناداً، وكأنه نسي ما أورده على العلّامة قبل سطور!! لكنا نطالبه فقط بأسماء من وصفهم بـ(أصاغر القدريّة وصبيانهم) الذين حكى عنهم ذلك، بل باسم واحد منهم....

و(موسى بن جعفر عليه السلام) إمام من أئمة المسلمين، منصوص عليه من قبل جدّهم رسول ربّ العالمين صلّى الله عليه وآله، لكن القوم عدلوا عنه وعن آبائه، ووالوا أناساً لا نسب لهم ولا علم ولا دين....

ثم إن أبا حنيفة تعلّم من الإمام جعفر بن محمد عليه السلام ـ كما سيأتي ـ لا أنه اجتمع به فحسب، وسواء كان تعلّم من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أو لا، فإن في الحكاية أنه أتى ـ ومعه محمد بن مسلم ـ الإمام جعفر بن محمد عليه السلام فواجه غلاماً حدثاً، فقيل له: هذا موسى ابنه.

«فالتفت إليه قائلاً: يا غلام أين يضع الغريب في بلدتكم هذه؟

قال: يتوارى خلف الجدار، ويتوقّى أعين الجار وشطوط الأنهار، ومسقط الثمار، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، فحينئذ يضع حيث شاء.

ثم قال: يا غلام ممّن المعصية؟

قال: يا شيخ، لا تخلو من ثلاث: إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء، فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، وإمّا أن تكون من العبد ومن الله، والله أقوى الشريكين، فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه، وإمّا أن تكون من العبد وليس من الله شيء، فإن شاء عفى وإن شاء عاقب..».

رواه الشيخ المفيد، وتلميذه السيد المرتضى، والشيخ الطبرسي في كتابه الذي صرّح في أوّله بشهرة أسانيد الأخبار التي أوردها فيه[1].

قال قدس سره: وذهبت الأشاعرة إلى أن الله تعالى مرئيٌّ بالعين مع أنه مجرّد عن الجهات وقد قال تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ﴾ وخالفوا الضرورة في أن المدرك بالعين يكون مقابلاً أو في حكمه، وخالفوا جميع العقلاء في ذلك.

الشرح:

ذكر ابن تيمية: «أما إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة، فهو قول سلف الأمة وأئمتها وجماهير المسلمين من أهل المذاهب الأربعة وغيرها، وقد تواترت فيه الأحاديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله عند علماء الحديث، وجمهور القائلين بالرؤية يقولون يرى عياناً مواجهة كما هو المعروف بالعقل... وإذا كان كذلك، فتقدير أن يكون بعض أهل السنّة المثبتين أخطأوا في بعض أحكامها، لم يكن ذلك قدحاً في مذهب أهل السنّة والجماعة، فإنا لا ندّعي العصمة لكلّ مصنّف منهم»[2]!!

قال قدس سره: وذهبوا إلى تجويز أن يكون بين أيدينا جبال شاهقة من....

الشرح:

قال ابن تيمية: «إن الأشعريّة تقول: إن الله قادر على أن يخلق بحضرتنا ما لا نراه

---

(١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٧٢ـ٧٣، الإحتجاج على أهل اللجاج ٢ / ١٥٨ و ١٥٩.

(٢) منهاج السنة ٣ / ٣٤١ـ٣٤٢. وانظر: المواقف: ٤٣٠، والملل والنحل ١ / ٩١.

ولا نسمعه من الأجسام والأصوات، وأن يرينا ما بَعُد منا. لا يقولون: إن هذا واقع...»[١].

وهذا اعتراف منه وقبول لما ذهبوا إليه، والعلّامة لم ينسب إليهم الوقوع بل التجويز، ولو قالوا بالوقوع لحكم عليهم بالجنون المحض!!

قال قدس سره: وذهبوا إلى أنه تعالى آمرٌ وناهٍ في الأزل....

الشرح:

قد اعترف ابن تيمية بأنه مذهب الأشاعرة وخاصّة الكلابية[٢]، وهم أتباع: عبد اللّه بن سعيد الكلابي القطان البصري المتوفى سنة ٢٤٠.

عقيدة أهل السنّة في عصمة الأنبياء

قال قدس سره: وذهب جميع من عدا الإماميّة والإسماعيليّة إلى أن الأنبياء والأئمة عليهم السّلام غير معصومين، فجوّزوا بعثة من يجوز عليه الكذب والسّهو والخطأ والسرقة!....

الشرح:

قد ذكر فيما تقدّم عقيدة الإماميّة في العصمة، وتبعهم القائلون بإمامة إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وذكر العلّامة هنا عقيدة أهل السنّة.

وممّا يدلّ على أن مذهبهم جواز صدور المعاصي حتى الكبائر عن الأنبياء حتى بعد البعثة: ما أخرجه البخاري ومسلم في كتابيهما (الصحيحين) ـ عند جمهورهم ـ عن أبي هريرة من أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات[٣]... الأمر الذي بلغ في الفظاعة حدّاً جعل الفخر الرازي يقول: «نسبة الكذب إلى الراوي أولى من نسبته إلى

---

(١) منهاج السنة ٣ / ٣٤٩.

(٢) منهاج السنة ٣ / ٣٥٣.

(٣) البخاري ٤ / ١١٢، مسلم ٧ / ٩٨.

الخليل عليه السلام»[1].

بل في الكتابين المذكورين وغيرهما من كتبهم المعتبرة عندهم ما يدلّ على عدم عصمة الأنبياء ـ حتى نبينا صلّى الله عليه وآله ـ بما يوجب الكفر، ومن ذلك حديث الغرانيق الذي أخرجوه بطرق كثيرة جداً، ونصّوا على توثيق رجاله وصحة أسانيده، فقالوا: إنه صلّى الله عليه وآله صلّى يوماً وقرأ في سورة النجم عند قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾: تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى. وهو اعتراف منه بأن تلك الأصنام ترتجى الشفاعة منها. وهي مقالة توجب الشرك.

ولذا اضطرّ بعضهم إلى أن يقولوا في هذه الأحاديث ـ التي رواها: البزار، الطبراني، ابن جرير، ابن المنذر، البيهقي، ابن أبي حاتم، الهيثمي، السيوطي... ـ: «إنها من وضع الزنادقة» أو نحو هذه العبارة[2].

وهل تنزيه الأنبياء عليهم السّلام عن الكفر بالله والشرك به وعن معصيته في جميع الأحوال غلوّ؟ وهل معنى ذلك اتخاذهم أرباباً من دون الله؟ وإذا كان جوابك: لا، فما تقول لابن تيمية القائل:

«وأما الرافضة فأشبهوا النصارى، فإن الله تعالى أمر الناس بطاعة الرسل فيما أمروا به، وتصديقهم فيما أخبروا به، ونهى الخلق عن الغلوّ والإشراك بالله تعالى، فبدّلت النصارى دين الله تعالى، فغلوا في المسيح، فأشركوا به... وكذلك الرافضة غلوا في الرسل بل في الأئمة حتى اتّخذوهم أرباباً دون الله»[3].

لكن القول بأن الرسل يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر ـ حاشا الكذب في

---

(١) تفسير الرازي ٢٦ / ١٤٨.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢ / ١٢٤، تفسير الرازي ٢٣ / ٤٩، مجمع الزوائد ٧ / ١١٥، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤ / ٣٦٨.

(٣) منهاج السنة ١ / ٤٧٣ ـ ٤٧٤.

التبليغ فقط الذي هو مذهب الأشاعرة وبعض المعتزلة[١] واختاره ابن تيمية وهو قول اليهود والنصارى كما نصّ عليه ابن حزم[٢].

فلاحظ من المبدّل لدين اللّه؟!!

عقيدة أهل السنّة في الأئمة والإمامة

قال قدس سره: ولم يجعلوا الأئمة محصورين في عدد معيّن، بل كلّ من تابع قرشياً انعقدت إمامته عندهم ووجبت طاعته على جميع الخلق....

الشرح:

قال ابن تيمية: «هذا حق، وذلك أن اللّه تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ولم يوقّتهم بعدد معين، وكذلك النبي صلّى اللّه عليه وآله في الأحاديث الثابتة عنه المستفيضة لم يوقّت ولاة الأمور في عدد معيّن»[٣].

ثم نقل أحاديث عن كتابي البخاري ومسلم عن معاوية وابن عمر وأنس وأبي هريرة، منها ما يفيد وجوب الطاعة لمن تولّى الأمر مثل: «إسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي»، ومنها ما يفيد وجوب الطاعة لقريش مثل: «الناس تبع لقريش في الخير والشر».

أقول:

الحق أن الأئمة الذين ينوبون رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله في جميع شؤونه إلّا النبوة، محصورون في عدد معين هو اثنا عشر، للأخبار المعتبرة المستفيضة المتفق

---

(١) تفسير الرازي ٣ / ٧، ١٨ / ٩.

(٢) الفصل في الملل والنحل ٤ / ٥.

(٣) منهاج السنّة ٣ / ٣٨١.

عليها بين الفريقين، كقوله صلّى الله عليه وآله: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة»[1]، وكقوله: «لا يزال الدّين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»[2]، وفي لفظ البخاري: «يكون اثنا عشر أميراً»[3].

وتجده بهذه الألفاظ أو ما يقاربها في مواضع أخرى من الكتب المذكورة وفي غيرها من الصّحاح والمسانيد والكتب... وكلّها تشتمل على عدد (الاثني عشر).

ولصحّة هذا الحديث وشهرته بل تواتره، لم يتمكّن القوم من ردّه، ولمّا كان منطبقاً وموافقاً لما تذهب إليه الإماميّة، حاروا في معناه وتوجيهه بحيث يخرج عن الدلالة على مذهب الإمامية، ولو أردنا نقل كلماتهم لطال بنا المقام. فراجع[4] كي ترى التأويلات الفاسدة والاحتمالات الباردة التي جعلت بعضهم يعترف بعجزه عن فهم معناه!

فيقول ابن العربي المالكي: «لم أعلم للحديث معنى».

ويقول ابن بطال عن المهلّب: «لم ألق أحداً يقطع في هذا الحديث بشيء معين».

ويقول ابن الجوزي: «قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث وتطلّبت مظانه وسألت عنه فلم أقع على المقصود به».

وعلى كلّ حال، فإن هذا الحديث حصر الأئمة في عدد، فبطل القول بأنهم غير محصورين في عدد معين، وبه يقيّد إطلاق الآية الكريمة والأحاديث التي استدلّ بها لعدم الحصر... فيكون مفاد الآية: وجوب إطاعة اللّه وإطاعة الرسول وأولي الأمر الاثني عشر.

---

(١) مسند أحمد ٥ / ١٠٦.

(٢) صحيح مسلم ٦ / ٤.

(٣) صحيح البخاري ٨ / ١٢٧.

(٤) شرح الترمذي لابن العربي المالكي ٩ / ٦٨، البداية والنهاية ٦ / ٢٢١ و ٢٧٩، فتح الباري ١٣ / ١٨١.

وبما أن الآية الكريمة تدلّ على عصمة أولي الأمر بلا خلاف ـ كما اعترف الرازي بتفسيرها[١] ـ ولم تثبت العصمة إلا للأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السّلام، لآية التطهير وغيرها من الأدلّة، فالمراد من أولي الأمر هم الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام من أهل البيت.

هذا، مضافاً إلى الأحاديث الواردة التي فيها النصّ على إمامتهم بأسمائهم عن جدّهم رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فإن قلت: إنه لم يتولّ منهم إلّا الواحد أو الاثنان.

قلت: ليس المراد الاستيلاء على الأمور بالفعل، حتى إذا لم يتحقق ذلك انتفت إمامتهم، لأن الواجب على الأمّة هو الرجوع إلى الإمام المنصوص عليه وتفويض الأمور إليه، وليس تركهم لهذا الواجب يوجب سقوط الإمام عن الإمامة، كما أن خروج الناس عن الطاعة لله وللرسول لا يضرّ الألوهيّة والرسالة شيئاً.

ثم إن الرجل لم ينكر ما ذكره العلّامة، بل ذكر أحاديث ثم قال: «فهذا أمر بالطاعة مع ظلم الأمير»، وقال: «هذا نهي عن الخروج على السلطان وإن عصى»[٢].

أقول:

وهل تنهى هذه الأحاديث على فرض صحتها، عن المخالفة وتأمر بالطّاعة حتى مع القدرة على الخروج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ إن كان كذلك، فهي أحاديث مخالفة للكتاب والسنّة، ولابدّ من ضربها عرض الجدار، لكنها أحاديث موضوعة بأمر من أمراء الجور وسلاطين الباطل أنفسهم، وتفصيل الكلام في محلّه. ولذا نقرأ بتراجم كثيرين من أئمتهم كأبي حنيفة وجوب القيام ضدّ أئمة الباطل وخلفاء الجور، وأن كثيرين منهم قاموا وخرجوا بالفعل، فراجع.

---

(١) تفسير الرازي ١٠ / ١٤٤.

(٢) منهاج السنة ٢ / ٨٧.

ابتداعهم للقياس

قال قدس سره: وذهب الجميع منهم إلى القول بالقياس والأخذ بالرأي، فأدخلوا في دين اللّٰه ما ليس منه!

الشرح:

أمّا ذهابهم إلى القول بالقياس والأخذ بالرأي، فقد اعترف به ابن تيمية، ونصّ ـ بعد أن ذكر أسماء كبار الفقهاء عندهم ـ على أن رجوع هؤلاء إلى إعتباراتهم واستنباطاتهم مثل أن يعلموا سنّة النبي صلّى اللّٰه عليه وآله الثابتة عنه، وإن شئت الوقوف على إدخالهم في دين اللّٰه ما ليس منه، وتحريفهم أحكام الشريعة الطاهرة.

فراجع كتب الحافظ ابن حزم الأندلسي في الفقه والأصول، فقد ذكر من هذا القبيل موارد كثيرة.

وأمّا المذاهب عندهم فكثيرة، ولا شيء منها كان في زمان النبي صلّى اللّٰه عليه وآله وأصحابه، لكنهم أحدثوا المذاهب الأربعة ـ وهي: المالكيّة، والحنفيّة، والحنبليّة، والشافعيّة ـ وحصروا المذاهب فيها بأمر من السّلاطين، وحرّموا التعبّد بغيرها بل عاقبوا عليه، لأغراض سياسيّة، حتى انقرضت مذاهب كثيرة كان أصحابها أعلم من أصحاب المذاهب الأربعة وأجلّ... فكان من عمدة ما اعتمدوا عليه في فتاواهم القياس والاستحسان والاعتبارات الظنيّة، مع أن الصحابة نصّوا على ترك القياس.

ومن هنا وقع الخلاف بين الأصوليين منهم في جواز العمل به كما لا يخفى على من يراجع كتبهم كالمستصفى للغزالي وغيره، بل ألّف بعضهم في ذمّه والمنع منه كابن حزم. ومن نصوص الصحابة ما عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لو كان الدّين بالقياس لكان المسح على باطن الخفّ أولى من ظاهره»، وهو خبر متفق عليه وقد ذكره

الأصوليون في بحث القياس كالغزالي[١] حيث رواه عن علي وعثمان.

وعن أبي بكر في مواضع كثيرة منها: لما سئل عن معنى (الكلالة): «أيّ سماء تظلّني وأي أرض تقلّني إذا قلت برأيي».

وعن عمر: «إيّاكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء الدين أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي، فضلّوا وأضلّوا»[٢].

وعن ابن عباس: «إن الله لم يجعل لأحد أن يحكم في دينه برأيه»[٣].

وعنه أيضاً: «وقال الله تعالى لنبيّه عليه السلام: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾، ولم يقل بما رأيت.

وعنه أيضاً: «إياكم والمقاييس فما عبدت الشمس إلا بالمقاييس».

وعن ابن عمر: «ذروني من أرأيت وأرأيت».

وعن ابن مسعود: «قرّاؤكم وصلحاؤكم يذهبون ويتّخذ الناس رؤساء جهالاً يقيسون ما لم يكن بما كان».

قال الغزالي: «وكذلك أنكر التابعون القياس»[٤].

إضطرارهم إلى القول بأمورٍ شنيعة

قال قدس سره: وذهبوا بسبب ذلك إلى أمور شنيعة، كإباحة البنت المخلوقة من الزنا....

---

(١) المستصفى في علم الأصول: ٢٨٩.

(٢) المصدر السابق: ٢٨٩.

(٣) المصدر السابق: ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق: ٢٨٩.

الشرح:

في الإستذكار: جواز نكاح البنت المتولّدة من الزنـا، وفـي المـغني: قـال مـالك والشافعي في المشهور من مذهبه: يجوز ذلك كلّه؛ لأنها أجنبيّة مـنه ولا تـنسب إليـه شرعاً. وفي الشرح الكبير والمبسـوط: وعند الشافعي لا يكون حراماً[1].

قال قدس سره: وسقوط الحدّ عمّن نكح أمّه وأخته وبنته....

الشرح:

راجع المغني، والشرح الكبير وفيه: «وقال أبو حنيفة والثوري لا حدّ عليه، لأنـه وطئ تمكنت الشبهة منه فلم يوجب الحدّ».

والمبسـوط وفيه: «رجل تزوّج امرأة ممن لا يحلّ له نكاحها فـدخل بـها، لا حـدّ عليه، سواء كان عالماً بذلك أو غير عالم».

وفي مجمع الأنهر والدر المنتقى في هامش مجمع الأنهر: «ولا يحدّ بوطئ محرم تزوّجها ووطئها بعد العقد والعلم بأنها أخته. وقال أبو حنيفة: اسـم العـقد يـمنع مـن وجوب الحدّ، فإذا وطئ أمّه أو أخته أو معتدّة بعقد نكاح، لم يجب الحدّ عـلى واحـد منهما».

وفي بدائع الصنائع: «إذا نكح مـحارمه لا حـدّ عـليه عـند أبـي حـنيفة وإن عـلم بالحرمة»[2].

قال قدس سره: وعمّن لفّ على ذكره خرقة وزنا بأمّه أو بنته!....

الشرح:

قال في الإستذكار: «وقال أبو حنيفة وداود: يعذر الوطي ولا حدّ عليه».

---

(١) الإستذكار ١٦ / ١٩٦ ـ ١٩٨، المغني ٧ / ٤٨٥، الشرح الكبير ٧ / ٤٨٣، المبسوط في فقه الحنفية ٤ / ٢٠٦.

(٢) راجع المغني ١٠ / ١٥٢، الشرح الكبير ١٠ / ١٨٦، مجمع الأنهر ١ / ٥٩٥، بدائع الصنائع ٧ / ٣٥.

وانظر المغني، والشرح الكبير وفيه: «وقال الحكم وأبو حنيفة لا حدّ عليه؛ لأنه ليس بمحل للوط أشبه غير الفرج».

وفي المبسوط: «وكذلك اللّواط عند أبي حنيفة يوجب التعزير».

وفي حلية العلماء: «وقال أبو حنيفة لا حدّ فيه».

وفي مجمع الأنهر: «فإنه يعزر ولا يحد».

وفي الحاوي الكبير: «وقال أبو حنيفة لا حدّ فيه».

وفي بدائع الصنائع: «وكذلك الوطء في الدبر في الأنثى أو الذكر لا يوجب الحدّ عند أبي حنيفة»(١).

قال قدس سره: وإلحاق نسب المشرقية بالمغربي... بل لو حبسه السلطان من حين العقد وقيّده وجعل عليه حَفَظَةً مدة خمسين سنة، ثم وصل إلى بلد المرأة فرأى جماعة كثيرة من أولادها وأولاد أولادها إلى عدة بطون، التحقوا كلّهم بالرجل الذي لم يقرب هذه المرأة ولا غيرها البتة.

الشرح:

قال الزحيلي: «فلو تزوّج مشرقيّ مغربيّة ولم يلتقيا في الظاهر مدة سنة، فولدت ولداً لستة أشهر من تاريخ الزواج، ثبت النسب، لاحتمال تلاقيهما من باب الكرامة، وكرامات الأولياء حق، فتظهر الكرامة بقطع المسافة البعيدة في المدّة القليلة، ويكون الزوج من أهل الحظوة الذين تطوى لهم المسافات البعيدة»(٢).

قال قدس سره: وإباحة النبيذ مع مشاركته للخمر في الإسكار، والوضوء.

---

(١) الإستذكار ٢٤ / ٨٣، المغني ١٠ / ١٦١، الشرح الكبير ١٠ / ١٧٦، المبسوط ٩ / ٧٧، حلية العلماء ٨ / ١٦، مجمع الأنهر ١ / ٥٩٥، الحاوي الكبير ١٧ / ٦٠، بدائع الصنائع ٧ / ٣٤.

(٢) الفقه الإسلامي ٧ / ٦٨٣.

الشرح:

أمّا إباحة النبيذ:

ففي فتح القدير: «لأن المتخذ من التمر اسمه نبيذ التمر لا السَكر وهو حلال على قول أبي حنيفة وأبي يوسف».

وفي الهداية: «وقال شريك بن عبد الله إنه مباح»، وكذا في الإستذكار.

وفي المبسوط: «حدّثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة أنه شرب عبد الله بن مسعود نبيذاً مشتدّاً صلباً... وكذلك عمر كان يشرب المثلث ويأمر باتخاذه للناس».

وفي بدائع الصنائع: «وذهب أبو حنيفة إلى أنه لا يحرم نبيذ التمر، لأن القول بتحريمه تفسيق كبار الصحابة»[1].

وأمّا الوضوء به:

ففي مغيث الخلق في ترجيح القول الحق لأبي المعالي الجويني إمام الحرمين: «وتوضأ نبيذ التمر».

وفي حلية العلماء: «واختلف أصحابه في النبيذ الذي يجوز التوضؤ به، فقال أبو طاهر الدبّاس: يجوز التوضؤ بالنبيذ النيّ الحلو. وقال أبو الحسن الكرخي: لا يجوز التوضؤ إلا بالمطبوخ المشتد».

وفي المبسوط: «فكان الأوزاعي يقول بجواز التوضؤ بها بالقياس على نبيذ التمر. وفي الاغتسال بنبيذ التمر فالأصح أنه يجوز».

وفي الجامع الصغير: «فإن لم يجد إلا نبيذ التمر توضّأ، وعند الأوزاعي يجوز التوضي بسائر الأنبذة بالقياس على نبيذ التمر»[2].

---

(١) فتح القدير ٩ / ٣٠، الهداية ٨ / ٣١، الإستذكار ٢٤ / ٣٠٤، المبسوط ٢٤ / ١٢، بدائع الصنائع ٥ / ١١٧.

(٢) مغيث الخلق: ٥٨، حلية العلماء ١ / ٧٤، المبسوط ١ / ٨٩، الجامع الصغير: ٧٤.

قال قدس سره: والصّلاة في جلد الكلب، وعلى العذرة اليابسة!

الشرح:

أنظر مغيث الخلق وفيه: «فلبس جلد كلب مدبوغ»[١].

فإن كانت النجاسة في موضع سجوده، فروى أبو يوسف عنه أن صلاته جائزة، كما في المبسوط.

وفي مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر: «وأما في موضع السجود في رواية أبي يوسف إنه يجوز».

وفي الحاوي الكبير للماوردي: «فأما إذا لم يغسل البول عن الأرض حتى تقادم عهده وزالت رائحته بطلوع الشمس وهبوب الرياح فقال أبو حنيفة: قد طهرت الأرض وجازت الصّلاة عليها»[٢].

قال قدس سره: وحكى بعض الفقهاء لبعض الملوك وعنده بعض فقهاء الحنفيّة صفة صلاة الحنفي....

الشرح:

ثم صلّى ركعتين على ما يجوّزه أبو حنيفة، فلبس جلد كلب مدبوغ ولطّخ ربعه بالنجاسة، وتوضّأ بنبيذ التمر وأحرم بالصّلاة من غير نيّة، وأتى بالتكبير بالفارسية، ثم قرأ آية بالفارسية «دُوْبَرْكِ سَبْز» ثم نقر نقرتين كنقرات الدّيك من غير فصل ومن غير ركوع، وتشهّد وضرط في آخره من غير سلام. كذا في مغيث الخلق.

وقد حكى صلاة القفال هذه غير واحد، منهم ابن خلكان[٣].

قال قدس سره: وأباحوا المغصوب لو غيّر الغاصب الصفة....

---

(١) مغيث الخلق: ٥٨.

(٢) المبسوط ١ / ٢٠٤، مجمع الأنهر ١ / ٥٨، الحاوي الكبير للماوردي ٢ / ٢٥٩.

(٣) مغيث الخلق: ٥٨ ـ ٥٩، وفيات الأعيان ٤ / ٢٦٧.

الشرح:

أنظر المبسوط وفيه: «فأمّا الغزل إذا نسجه فهو في حكم عين آخر، فلهذا لو فعله الغاصب كان الثوب مملوكاً له». وفيه: «فعلى قول أبي حنيفة المخلوط يصير ملكاً للخالط سواء خلط الحنطة بالحنطة أو بالشعير». وفيه: «ألا ترى أن لو غصب عنباً فجعله زبيباً انقطع حق المغصوب منه في الاسترداد».

وفي الفقه الإسلامي للزحيلي: «أو غصب حنطة فطحنها دقيقاً أو حديداً فاتخذه سيفاً، فإنه يزول ملك المغصوب منه عن المغصوب ويملكه الغاصب».

وفي المجموع: «فإذا عمل اللّوح المغصوب باباً أو حديداً فعمله درعاً، جعله أبو حنيفة مالكاً لذلك بعمله، وذلك من أقوى الذرائع والمغريات للإقدام على المغصوب».

وفي الحاوي الكبير للماوردي: «وقال أبو حنيفة: قد صارت بالطبخ للغاصب»[1].

قال قدس سره: وأوجبوا الحدّ على الزاني إذا كذّب الشّهود وأسقطوه إذا صدّقهم....

الشرح:

قال في حلية العلماء: «وقال أبو حنيفة: لا نرجمه إلّا أن يكذّبهم»[2].

قال قدس سره: وأباحوا الكلب....

الشرح:

جاء في المغني، والشرح الكبير: «وقال أبو علي النجاد: ما حرم نظيره في البر فهو

---

(١) المبسوط ٩/١٦٦، ١١/٩١، ٢٤/١٤، الفقه الإسلامي ٥/٧٢٦ و ٧٢٧، المجموع ١٤/٢٧٢، الحاوي الكبير ٧/١٩٤.

(٢) حلية العلماء ٨/٢٨.

حرام في البحر، ككلب الماء وخنزيره وإنسانه، وهو قول الليث إلا في كلب الماء فإنه يرى إباحة كلب البرّ والبحر»[١].

قال قدس سره: وأباحوا الملاهي كالشطرنج والغناء....

الشرح:

ولذا اشتهر هذا عمّن ذكرنا من الصحابة والتابعين، وقد عمل به معهم من لا يحصى عددهم من علماء الأمصار وفضلائهم؛ لأن فيها تنبيهاً على مكائد الحرب ووجوه الحزم وتدبير الجيوش، وما بعث على هذا إن لم يكن ندباً مستحباً فأحرى أن لا يكون حظراً محرّماً. قاله الماوردي في كتاب الحاوي الكبير[٢].

فروى الخطيب عن مولى سليمان بن يسار قال: «كان عمر بن الخطاب يمرّ بنا ونحن نلعب بالشطرنج فيسلّم علينا ولا ينهانا».

وروى أبو راشد قال: «رأيت أبا هريرة يدعو غلاماً فيلاعبه بالشطرنج».

وروي عن عبد الله بن عباس أنه كان يجيز الشطرنج ويلعب بها.

وروي عن عبد الله بن الزبير أنه كان يلعب بالشطرنج، فهؤلاء الصحابة.

وأما التابعون، فروي عن سعيد بن المسيب أنه كان يلعب بها.

وروى أبو لؤلؤة قال: «رأيت الشعبي يلعب بالشطرنج مع الغرماء».

وروى راشد بن كريب قال: «رأيت عكرمة مولى ابن عباس أقيم قائماً في لعب الشطرنج».

وروي أن محمد بن سيرين كان يلعب بالشطرنج وقال: «هي لبُّ الرجال».

وفي المجموع: «ويكره اللعب بالشطرنج... ويكره الغناء».

---

(١) المغني ١١ / ٨٥، الشرح الكبير ١١ / ٨٨.

(٢) الحاوي الكبير للماوردي ٢١ / ١٩٢ ـ ١٩٤.

وفي الشرح الكبير والمغني: «وذهب الشافعي إلى إباحة الشطرنج، وحكى ذلك أصحابه عن أبي هريرة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، واحتجوا بأن الأصل الإباحة ولم يرد بتحريمهما نص».

وفيهما أيضاً: «فذهب أبو بكر الخلّال وصاحبه أبو بكر عبد العزيز إلى إباحته، والغناء والنوح معنى واحد مباح»[1].

وقد استباح قدامة بن مظعون شرب الخمر بقوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِي مَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾[2] وقد قال: «قد اتقينا وآمنا فلا جناح علينا فيما شربنا»، فلم ينكره أحد من الصحابة.

وفي الحاوي الكبير: «وأحلّها الحسن البصري يعني النرد»، وقال في نفس الصفحة: «إن الشطرنج لا يحرم، إن الشطرنج موضوع لصحة الفكر وصواب التدبير ونظام السياسة»[3].

وفي الغناء:

فأباحه أكثر أهل الحجاز، واستدلّ من استباح الغناء بما روي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه مرّ بجارية لحسّان بن ثابت تغنّي فقال رسول الله: «لا حرج إن شاء الله».

وروى الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «كانت عندي جاريتان تغنّيان فدخل أبو بكر فقال: أمزمور الشيطان في بيت رسول الله! فقال رسول الله: دعهما فإنها أيام عيد».

وقال عمر: «الغناء زاد المسافر».

---

(١) المجموع ٢٠/ ٢٢٨ و ٢٢٩، الشرح الكبير ١٢/ ٤٦ و ٥١، المغني ١٢/ ٣٧ و ٤٢.

(٢) سورة المائدة: ٩٣.

(٣) الحاوي الكبير ٢١/ ١٩٨.

وكان لعثمان جاريتان تغنّيان في اللّيل.

ولأنه لم يزل أهل الحجاز يترخصون فيه ويكثرون منه وهم في عصر الصحابة وجلّة الفقهاء فلا ينكرونه عليهم ولا يمنعونهم منه، كالذي حكي أن عبد الله بن جعفر كان منقطعاً إليه ومكثراً منه، فبلغ ذلك معاوية فقال لعمرو بن العاص: «قم بنا إليه»، فلمّا استأذنا عليه وعنده جواريه يغنين فأمرهنّ بالسكوت، فقال معاوية: «يا عبد الله مرهنّ يرجعن إلى ماكنّ عليه»، فرجعن يغنين، فطرب معاوية حتى حرّك رجليه على السّرير. فقال عمرو: «إن من جئت تلحاه أحسن حالاً منك»، فقال معاوية: «إليك عني يا عمرو، فإن الكريم طروب»[1].

قلت:

وأنت ترى أن لا شيء من هذه الفتاوى الشنيعة وأمثالها ـ التي يقف عليها المتتبع في كتب القوم، ولربما هناك أمور أشنع وأفظع لا يقف عليها لعدم العثور على كثير من كتبهم ـ بمنقول عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام، وحاشاهم من أن يقولوا شيئاً من هذا القبيل، فإنهم مهابط الوحي ومعادن العلم الإلهي؛ ولذا أمرنا بالرجوع إليهم، والأخذ عنهم، والتمسّك بهم، والانقياد لهم، فإنهم لا يقولون شيئاً من عندهم، ولا يفتون بالرأي والقياس، وهم دائماً يستحضرون الشرائع والأحكام ولا يخطئون، ولا يحتاجون إلى غيرهم في شيء من ذلك، بل الكلّ محتاجون إليهم.

من موارد جهل الصّحابة بالأحكام

ولا بأس بنقل نصّ عبارة الحافظ ابن حزم الأندلسي الحاكية لجهالات الصّحابة في الأحكام الشرعيّة، وليس فيها شيء عن أمير المؤمنين عليه السلام... فإنه قال:

---

(١) الحاوي الكبير للماوردي ٢١ / ٢٢ ـ ٢٠٤.

«ووجدنا الصاحب من الصحابة رضي الله عنهم يبلغه الحديث فيتأول فيه تأويلا يخرجه به عن ظاهره، ووجدناهم رضي الله عنهم يقرّون ويعترفون بأنهم لم يبلغهم كثير من السنن، وهكذا الحديث المشهور عن أبي هريرة: إن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواني من الأنصار كان يشغلهم القيام على أموالهم، وهكذا قال البراء... قال: ما كلّ ما نحدّثكموه سمعناه من رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولكن حدثنا أصحابنا، وكانت تشغلنا رعية الإبل.

وهذا أبو بكر رضي الله عنه لم يعرف فرض ميراث الجدّة وعرفه محمد ابن مسلمة والمغيرة بن شعبة، وقد سأل أبو بكر رضي الله عنه عائشة: في كم كفّن رسول الله صلّى الله عليه وآله؟

وهذا عمر رضي الله عنه يقول في حديث الاستئذان: أخفي علي هذا من أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ ألهاني الصفق في السوق. وقد جهل أيضاً أمر إملاص المرأة وعرفه غيره، وغضب على عيينة بن حصن، حتى ذكّره الحر بن قيس بن حصن بقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. وخفي عليه أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله بإجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب إلى آخر خلافته، وخفي على أبي بكر رضي الله عنه قبله أيضاً طول مدة خلافته، فلما بلغ عمر أمر بإجلائهم فلم يترك بها منهم أحداً. وخفي على عمر أيضاً أمره عليه السلام بترك الإقدام على الوباء، وعرف ذلك عبد الرحمن بن عوف.

وسأل عمر أبا واقد اللّيثي عمّا كان يقرأ به رسول الله صلّى الله عليه وآله في صلاتي الفطر والأضحى، هذا، وقد صلّاهما رسول الله صلّى الله عليه وآله أعواماً كثيرة.

ولم يدر ما يصنع بالمجوس حتى ذكّره عبد الرحمن بأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله فيهم. ونسي قبوله عليه السلام الجزية من مجوس البحرين وهو أمر مشهور،

ولعلّه رضي الله عنه قد أخذ من ذلك المال حظّاً كما أخذ غيره منه.

ونسي أمره عليه السلام بأن يتيمم الجنب فقال: لا يتيمم أبداً ولا يصلّي ما لم يجد الماء، وذكّره بذلك عمّار.

وأراد قسمة مال الكعبة، حتى احتج عليه أبي بن كعب بأن النبي عليه السلام لم يفعل ذلك، فأمسك.

وكان يردُّ النساء اللّواتي حضن ونفرن قبل أنْ يودّعن البيت، حتى أخبر بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله أذن في ذلك، فأمسك عن ردّهن.

وكان يفاضل بين ديات الأصابع، حتى بلغه عن النبي صلّى الله عليه وآله أمره بالمساواة بينها، فترك قوله وأخذ المساواة.

وكان يرى الدّية للعصبة فقط، حتى أخبره الضحاك بن سفيان بأن النبي صلّى الله عليه وآله ورّث المرأة من الدّية، فانصرف عمر إلى ذلك.

ونهى عن المغالاة في مهور النساء استدلالاً بمهور النبي صلّى الله عليه وآله، حتى ذكّرته امرأة بقوله الله عز وجل: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾، فرجع عن نهيه.

وأراد رجم مجنونة حتى أُعلم[1] بقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: رفع القلم عن ثلاثة فأمر أن لا ترجم. وأمر برجم مولاة حاطب، حتى ذكّره عثمان بأن الجاهل لا حدّ عليه فأمسك عن رجمها.

وأنكر على حسّان الإنشاد في المسجد، فأخبر هو وأبو هريرة أنه قد أنشد فيه بحضرة رسول الله صلّى الله عليه وآله، فسكت عمر.

وقد نهى عمر أن يسمّى بأسماء الأنبياء عليهم السّلام وهو يرى محمد بن مسلمة

---

(١) أعلمه أمير المؤمنين علي عليه السلام، والخبر بذلك مشهور، لكن ابن حزم لم يشأ أن يصرح بذلك والحال أنه صرح في الموارد الأخرى باسم القائل!!

يغدو عليه ويروح وهو أحد الصحابة الجلّة منهم، ويرى أبا أيوب الأنصاري وأبا موسى الأشعري وهما لا يعرفان إلا بكناهما من الصحابة، ويرى محمد بن أبي بكر الصّديق وقد ولد بحضرة رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجة الوداع، واستفتته أمه إذ ولدته ماذا تصنع في إحرامها وهي نفساء. وقد علم يقيناً أن النبي صلّى الله عليه وآله علم بأسماء من ذكرنا وبكناهم بلا شك، وأقرّهم عليها ودعاهم بها ولم يغيّر شيئاً من ذلك. فلما أخبره طلحة وصهيب عن النبي صلّى الله عليه وآله بإباحة ذلك أمسك عن النهي عنه. وهمّ بترك الرمي في الحج، ثم ذكّر أن النبي صلّى الله عليه وآله فعله فقال: لا يجب لنا أن نتركه.

وهذا عثمان رضي الله عنه، فقد رووا عنه أنه بعث إلى الفريعة أخت أبي سعيد الخدري يسألها عما أفتاها به رسول الله صلّى الله عليه وآله في أمر عدّتها وأنه أخذ بذلك. وأمر برجم امرأة قد ولدت لستة أشهر، فذكّره علي بالقرآن وأن الحمل قد يكون ستة أشهر، فرجع عن الأمر برجمها.

وهذه عائشة وأبو هريرة رضي الله عنهما خفي عليهما المسح على الخفّين وعلى ابن عمر معهما، وعلمه جرير ولم يسلم إلا قبل موت النبي صلّى الله عليه وآله بأشهر، وأقرت عائشة أنها لا علم لها به، وأمرت بسؤال من يرجى عنده علم ذلك وهو علي رضي الله عنه.

وهذه حفصة أم المؤمنين سئلت عن الوطي يجنب فيه الواطي أفيه غسل أم لا؟ فقالت: لا علم لي.

وهذا ابن عمر توقع أن يكون حدث نهي عن النبي صلّى الله عليه وآله عن كراء الأرض بعد أزيد من أربعين سنة من موت النبي صلّى الله عليه وآله فأمسك عنها، وأقرّ أنهم كانوا يكرونها على عهد أبي بكر وعمر وعثمان، ولم يقل أنه لا يمكن أن يخفى على هؤلاء ما يعرف رافع وجابر وأبو هريرة، وهؤلاء إخواننا يقولون فيما اشتهوا، لو

كان هذا حقاً ما خفي على عمر.

وقد خفي على زيد بن ثابت وابن عمر وجمهور أهل المدينة إباحة النبي صلّى اللّه عليه وآله للحائض أن تنفر، حتى أعلمهم بذلك ابن عباس وأم سليم فرجعوا عن قولهم.

وخفي على ابن عمر الإقامة حتى يدفن الميت، حتى أخبره بذلك أبو هريرة وعائشة فقال: لقد فرطنا في فراريط كثيرة. وقيل لابن عمر في اختياره متعة الحج على الإفراد: إنك تخالف أباك، فقال: أكتاب اللّه أحق أن يتبع أم عمر؟ روينا ذلك عنه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر. وخفي على عبد اللّه بن عمر الوضوء من مسّ الذكر، حتى أمرته بذلك عن النبي صلّى اللّه عليه وآله بسرة بنت صفوان، فأخذ بذلك...»[1].

(قال): «وقد تجد الرجل يحفظ الحديث ولا يحضره ذكره حتى يفتي بخلافه، وقد يعرض هذا في آي القرآن، وقد أمر عمر على المنبر بأن لا يزاد في مهور النساء على عدد ذكره، فذكّرته امرأة بقول اللّه تعالى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ فترك قوله وقال: كلّ أحد أفقه منك يا عمر، وقال: امرأة أصابت وأمير المؤمنين أخطأ. وأمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر، فذكّره علي بقول اللّه تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ فرجع عن الأمر برجمها.

وهمّ أن يسطو بعيينة بن حصن إذ قال له: يا عمر ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل، فذكره الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بقول اللّه تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وقال له: يا أمير المؤمنين هذا من الجاهلين، فأمسك عمر.

وقال يوم مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: واللّه ما مات رسول اللّه ولا يموت

(١) الإحكام في أصول الأحكام ٢/ ١٤٣ـ١٤٨.

حتى يكون آخرنا، أو كلاماً هذا معناه، حتى قرئت عليه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ فسقط السيف من يده وخرّ إلى الأرض وقال: كأني والله لم أكن قرأتها قط.

قال الحافظ ابن حزم: فإذا أمكن هذا في القرآن فهو في الحديث أمكن وقد ينساه ألبتة، وقد لا ينساه بل يذكره ولكن يتأول فيه تأويلا، فيظن فيه خصوصاً أو نسخاً أو معنى مّا، وكلّ هذا لا يجوز اتباعه إلا بنصّ أو إجماع؛ لأنه رأي من رأى ذلك، ولا يحلّ تقليد أحد ولا قبول رأيه...»[1].



(١) الإحكام في أصول الأحكام ٢ / ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

الوجه الثاني

قال قدس سره: الوجه الثاني في الدلالة على وجوب اتّباع مذهب الإمامية: ما قاله شيخنا الإمام الأعظم خواجة نصير الملة والحق والدين محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه... قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقي في النار»....

الشرح:

استدلال النصير الطوسي

وهو المحقق العظيم، الفيلسوف المتكلّم الكبير، المجمع على فضله وتقدّمه في العلوم. له مصنفات جليلة. توفي سنة ٦٧٢، وله تراجم حافلة في غير واحد من كتب التراجم. وقد ذكرنا طرفاً منها في (المدخل).

وهذا الحديث رواه المحدّثون: كأحمد، والترمذي، وأبي داود، وابن ماجة.

وذكره المؤلّفون في العقائد والفرق: كالعضد والشهرستاني.

وقد يدّعى تواتره، فقد حكى الشيخ محمد أبو زهرة عن العلّامة المحدّث صالح بن مهدي المقبلي أنه قال في كتابه العلم الشامخ: «حديث افتراق الأمة إلى سبعين فرقة روايات كثيرة يعضد بعضها بعضاً، بحيث لا تبقى ريبة في حاصل معناه»[1].

قال قدس سره: وقد عيّن عليه السّلام الفرقة الناجية والهالكة في حديث آخر صحيح متّفق عليه، وهو قوله عليه السلام: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف غرق».

فوجدنا الفرقة الناجية الإمامية، لأنهم باينوا جميع المذاهب.

(١) المذاهب الإسلامية: ١٤.

وجميع المذاهب قد اشتركت في أصول العقائد.

الشرح:

اعترض عليه ابن تيمية بعدّة صفحات[١] مملوءة بالتكفير والسبّ والشتم للطّوسي والعلّامة وعامة الإمامية! فإنه بعد أن زعم أن الطوسي كافر قال: «والكافر لا يقبل قوله في دين المسلمين» ثم ذكر: «أنه كان وزير الملاحدة الباطنية الإسماعيليّة بالألويت، ثم لما قدم الترك المشركون وهولاكو أشار عليه بقتل الخليفة، وبقتل أهل العلم والدّين».

قال: «والمشهور عنه وعن أتباعه الاستهتار بواجبات الإسلام ومحرّماته، ولا يحافظون على الفرائض كالصّلاة، ولا ينزعون عن محارم اللّه، من الخمر والفواحش وغير ذلك من المنكرات».

ثم قال: «ومع هذا، فقد قيل: إنه كان في آخر عمره يحافظ على الصلوات، ويشتغل بتفسير البغوي والفقه ونحو ذلك، فإن كان قد تاب من الإلحاد، فاللّه يقبل التوبة...».

قال: «لكن ما ذكره عنه هذا، إن كان قبل التوبة لم يقبل قوله، وإن كان بعد التوبة لم يكن قد تاب من الرفض بل من الإلحاد وحده، وعلى التقديرين، فلا يقبل قوله. والأظهر أنه إنما كان يجتمع به وبأمثاله لمّا كان منجّماً للمغول المشركين، والإلحاد معروف من حاله إذ ذاك.

فمن يقدح في مثل أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، ويطعن على مثل مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأتباعهم، ويعيّرهم بغلطات بعضهم في مثل إباحة الشطرنج والغناء، كيف يليق به أن

---

(١) منهاج السنّة ٣/ ٤٤٥ـ ٤٥٥.

يحتج لمذهبه بقول مثل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، ويستحلّون المحرّمات المجمع على تحريمها، كالفواحش والخمر في مثل شهر رمضان، الذين أضاعوا الصّلاة واتّبعوا الشهوات، وخرقوا سياج الشرائع واستخفوا بحرمات الدين وسلكوا غير طريق المؤمنين».

قال: «ومن العجب أن هذا المصنف الرافضي الكذاب المفتري، يذكر أبا بكر وعمر وعثمان وسائر السابقين والتابعين وسائر أئمة المسلمين من أهل العلم والدّين بالعظائم التي يفتريها عليهم هو وإخوانه، ويجئ إلى من قد اشتهر عند المسلمين محاربته لله ورسوله يقول عنه: قال شيخنا الأعظم ويقول: قدس الله روحه، مع شهادته عليه بالكفر وعلى أمثاله، ومع لعنه طائفة من خيار المؤمنين من الأولين والآخرين».

«هؤلاء الإمامية أوتوا نصيباً من الكتاب، إذ كانوا مقرّين ببعض ما في الكتاب المنزل، وفيهم شعبة من الإيمان بالجبت والطاغوت والسحر وما يعبدون من دون الله، فإنهم يعظّمون الفلسفة المتضمّنة ذلك، ويرون الدعاء والعبادة للموتى واتخاذ المساجد على قبورهم، ويجعلون السفر إليها حجّاً له مناسك ويقولون مناسك حج المشاهد. وحدثني الثقات أن فيهم من يرى الحج إليها أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله. وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت...».

«إنهم خارجون عن الفرقة الناجية، فإنهم خارجون عن جماعة المسلمين، يكفّرون أو يفسّقون أئمة الجماعة، كأبي بكر وعمر وعثمان، دع معاوية وملوك بني أمية وبني العباس، وكذلك يكفرون أو يفسقون علماء الجماعة وعبادهم، كمالك والثوري...».

أقول:

هذه جمل من الأشياء التي ذكرها الرجل في الاعتراض على هذا الوجه، وهي

أكثر وأكثر... وفي كثير من المواضع ـ التي لم نذكر شيئاً عن الرجل في ذيل كلام العلّامة رحمه الله ـ لا نجد إلا أمثال هذه الجمل، فإنما نقلنا هذه الجمل هنا ليعلم القارئ النبيه ذلك ولا يتعجّب من سكوتنا عليه، وليرى الفرق بين كلام الإماميّة وكلام غيرهم، فينصف ويتدبر ويتبع الحق وأهله!!

وتجد في (المدخل) بعض التفصيل.

وعلى الجملة، فإن مقتضى الجمع بين الحديثين المتفق عليهما بين الفريقين، هو ما ذكره الشيخ نصير الدين الطوسي، ومقابلة ذلك بالسبّ و الشتم دليل على العجز عن الجواب العلمي المقبول، فيتم مقصود العلّامة قدس سرّه.



الوجه الثالث

قال قدس سره: الوجه الثالث: أن الإماميّة جازمون بحصول النجاة لهم ولأئمتهم قاطعون على ذلك، وبحصول ضدّها لغيرهم، وأهل السنّة لا يجزمون بذلك لا لهم ولا لغيرهم، فيكون اتّباع أولئك أولى....

جزم الإماميّة بحصول النجاة لهم

الشرح:

لم يأت ابن تيمية في الجواب عن هذا الوجه بشيء يذكر، فإنه وإن أطنب كعادته وذكر وجوهاً، لكنها ليست إلا تكراراً للسبّ والشتم والدعاوى العاطلة والمزاعم الباطلة. فلنورد كلامه بلفظه ملخّصاً.

قال: «والجواب على هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن كان اتّباع الذين تدّعي لهم الطّاعة المطلقة وأن ذلك يوجب النجاة واجباً، كان اتباع خلفاء بني أميّة ـ الذين كانوا يوجبون طاعة أئمتهم طاعة مطلقة ويقولون: إن ذلك يوجب النجاة ـ مصيبين على الحق، وكانوا في سبّهم عليّاً وغيره وقتالهم لمن قاتلوه من شيعة علي مصيبين، لأنهم كانوا يعتقدون أن طاعة الأئمة واجبة في كلّ شيء!!... بل أولئك أولى بالحجّة من الشيعة، لأنهم كانوا مطيعين أئمة أقامهم الله ونصبهم وأيّدهم وملّكهم... ومعلوم أن اللّطف والمصلحة التي حصلت بهم أعظم من اللّطف والمصلحة التي حصلت بإمام معدوم أو عاجز! فإن الشيعة ليس لهم أئمة يباشرونهم بالخطاب، إلّا شيوخهم الذين يأكلون أموالهم بالباطل، ويصدّونهم عن سبيل الله!!

الوجه الثاني: إن هذا المثل إنما يكون مطابقاً لو ثبت مقدّمتان، إحداهما: أن لنا إماماً معصوماً، والثانية أنه أمر بكذا وكذا، وكلتا المقدّمتين غير معلومة بل باطلة. دع المقدمة الأولى، بل الثانية، فإن الأئمة الذين يدّعي فيهم العصمة قد ماتوا منذ سنين

كثيرة. والمنتظر له غائب أكثر من أربعمائة وخمسين سنة، وعند آخرين هو معدوم لم يوجد. والذين يطاعون شيوخ من شيوخ الرافضة... يأكلون أموالهم بالباطل ويصدّون عن سبيل الله، يأمرونهم بالغلوّ في ذلك الشيخ وفي خلفائه، وأن يتّخذوهم أرباباً... وإن قُدِّر أن طريق الشيعة صواب لما فيه من القطع والجزم بالنجاة، فطريق المشايخية صواب لما فيه من القطع بالنجاة، وحينئذ، فيكون طريق من يعتقد أن يزيد بن معاوية كان من الأنبياء الذين يشربون الخمر وأن الخمر حلال له لأنه شربها الأنبياء ـ ويزيد كان منهم ـ طريقاً صواباً، وإذا كان يزيد نبيّاً كان من خرج على نبي كافراً، فيلزم من ذلك كفْر الحسين وغيره!!...

الوجه الثالث:... لو كان كلّ من قال: إن طريقي آمن موصل يكون أولى بالتصديق ممّن تُوقف، لكان كلّ مفتر وجاهل يدّعي في المسائل المشتبهة أن قولي فيها هو الصواب وأنا قاطع بذلك، فيكون اتّباعي أولى... وكان ينبغي أن يكون أئمة الإسماعيليّة كالمعز والحاكم وأمثالهما أولى بالاتباع من أئمة الاثني عشرية؛ لأن أولئك يدّعون من علم الغيب وكشف باطن الشريعة وعلوّ الدرجة، أعظم مما تدّعيه الإثنا عشرية لأصحابهم...!!

الوجه الرابع: أن يقال: قوله: إنهم جازمون بحصول النجاة لهم دون أهل السنّة كذب؛ فإنه إن أراد بذلك أن كلّ واحد ممن اعتقد اعتقادهم يدخل الجنة، وإن ترك الواجبات وفعل المحرّمات، فليس هذا قول الإماميّة ولا يقوله عاقل، وإن كان حبّ علي حسنة لا يضرّ معها سيئة، فلا يضرّه ترك الصلوات ولا الفجور بالعلويّات، ولا نيل أغراضه بسفك دماء بني هاشم إذا كان يحبّ عليّاً. وإن أراد بذلك أنهم يعتقدون أن كلّ من اعتقد الاعتقاد الصحيح وأدّى الواجبات وترك المحرّمات، يدخل الجنة، فهذا اعتقاد أهل السنة...! ففي الجملة: لا يدّعون علماً صحيحاً إلّا وأهل السنّة أحقّ به، وما ادّعوه من الجهل فهو نقص، وأهل السنّة أبعد عنه....

الوجه الخامس: إن أهل السنّة يجزمون بحصول النجاة لأئمتهم أعظم من جزم الرّافضة؛ وذلك أن أئمتهم بعد النبي صلّى اللّه عليه وآله هم السّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار، وهم جازمون بحصول النجاة لهؤلاء، فإنهم يشهدون أن العشرة في الجنة، ويشهدون أن اللّه قال لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، بل يقولون إنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي صلّى اللّه عليه وآله. فهؤلاء أكثر من ألف وأربعمائة إمام لأهل السنّة....

الوجه السادس: أن يقال: أهل السنّة يشهدون بالنجاة مطلقاً وإما معيّناً، شهادة مستندة إلى علم. وأمّا الرافضة فإنهم إن شهدوا شهدوا بما لا يعلمون، أو شهدوا بالزور الذي يعلمون أنه كذب، فهم كما قال الشافعي رحمه اللّه: ما رأيت قوما أشهد بالزور من الرافضة...!!

فقول الرافضة: لن يدخل الجنة إلّا من كان إمامياً، كقول اليهود والنصارى: لن يدخل الجنة إلّا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين... ومن المعلوم أن المنتظر الذي يدّعيه الرافضي لا يجب على أحد طاعته...»[1].

أقول:

فهذا غاية علم ابن تيميّة وتقواه!!

أمّا الإماميّة، فإنّهم جازمون بحصول النّجاة لهم ولأئمتهم، لأنّهم متمسّكون بما أمر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله بالتمسّك به ووَعَد بنجاة من فعل ذلك، في الحديث المقطوع بصدوره منه. ولأنّهم راكبون السّفينة الّتي شبّهها بسفينة نوحٍ في اليقين بنجاة من ركبها، في الحديث المقطوع بصدوره منه كذلك.

أمّا غير الإماميّة، فبمن تمسّكوا؟ وبأيّ عهدٍ من رسول اللّه؟ وكيف يجزمون بالنجاة؟

---

(١) منهاج السنة ٣/٤٨٦ـ٥٠٦.

الوجه الرابع

قال قدس سره: الوجه الرابع: أن الإمامية أخذوا مذهبهم عن الأئمة المعصومين عليهم السّلام، المشهورين بالفضل والعلم والزهد والورع... ومنهم تعلّم الناس العلوم....

تعريف مجمل بالأئمّة الاثني عشر عليهم السلام

الشرح:

أخذ الإمامية مذهبهم عن الأئمة عليهم السّلام، من الأمور الواضحة المتفق عليها بين المؤالف والمخالف، وهذه كتبهم في الحديث والفقه والرجال تشهد بذلك، فلا يصغى إلى قول ابن تيمية:

«لا نسلّم أن الإماميّة أخذوا مذهبهم من أهل البيت... وليس للشيعة أسانيد بالرجال المعروفين مثل أسانيد أهل السنّة حتى ننظر في إسنادها وعدالة الرجال، وإنما هي منقولات منقطعة»[1].

ثم إنه رمى علماء الشيعة ورواتها بالكذب، ونفى العصمة عن أمير المؤمنين والأئمة، ونسب إلى الشيعة آراء وفرقاً عديدة... مما هو بالسكوت عليه أجدر، فالله حسيبه والأئمة خصماؤه.

وأمّا تعلُّم الناس العلوم من الأئمة عليهم السّلام، فستعلم ذلك بتراجمهم حيث نذكر تلمُّذ كبار العلماء عليهم.

وأمّا انتشار علوم الإسلام من أمير المؤمنين عليه السلام، فسيشرحه العلاّمة نفسه ونزيده بياناً إن شاء الله تعالى.

---

(١) منهاج السنة ٤/ ١٦.

قال قدس سره: ونزل في حقهم: ﴿هَلْ أَتَى﴾، وآيةُ الطهارة، وإيجاب المودة لهم، وآية الإبتهال، وغير ذلك. وكان علي عليه السلام يصلّي في كلّ يوم وليلة ألف ركعة، ويتلو القرآن مع شدّة ابتلائه بالحروب والجهاد....

الشرح:

هذه سورة الإنسان. وأشار رحمه الله إلى آيات سيأتي ذكر نزولها بشأن أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السّلام، مع الجواب عما قاله ابن تيمية.

كما سيأتي بيان صلاة أمير المؤمنين في كلّ يوم وليلة ألف ركعة، مع التعرّض لما قاله ابن تيمية.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

قال قدس سره: فأوّلهم علي بن أبي طالب عليه السلام، كان أفضل الخلق بعد رسول الله، وجعله الله تعالى نفس رسول الله حيث قال: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾. وآخاه الرسول، وزوّجه ابنته وفضْلُهُ لا يخفى....

الشرح:

كونه أفضل الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ثابت من الآيات الكريمة الواردة في حقّه، ومن الأحاديث التي رواها القوم في فضله ـ وفي بعضها التصريح بالأفضليّة ـ ومن الصفات المتوفّرة فيه دون غيره، وستقف على ذلك كلّه في خلال بحوث الكتاب.

ومن هنا ذهب جماعة من أعلام الصّحابة والتابعين إلى أفضليّته بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، كما تقدّم عن كتاب الإستيعاب وغيره، وسيأتي أيضاً.

أمّا آية المباهلة وأن المراد من ﴿أَنْفُسَنَا﴾ هو أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث المؤاخاة، فسيأتي الكلام عليهما.

وقد زوّج رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام، ابنته الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء، ولا يخفى فضل هذا التزويج ودلالته على أفضليّته عليه السلام، لوجوه مستندة إلى روايات الفريقين في هذه القضيّة، ونحن نكتفي بالإشارة إلى بعضها إجمالاً:

فأمّا أوّلاً: فلأن الله تعالى هو الذي زوّج عليّاً بفاطمة وأمر بذلك النبي صلّى الله عليه وآله حيث قال له: «إني قد زوّجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملأ الأعلى فزوّجها منه في الأرض».

وأمّا ثانياً: فلأن أبابكر وعمر وغيرهما خطبوا فاطمة فردّهم الرسول صلّى الله عليه وآله قائلاً: «لم ينزل القضاء بعد».

وأمّا ثالثاً: فلأن فاطمة عليها السلام أفضل من الشيخين، وهذا مما اعترف به بعض أكابر الأئمة والحفّاظ من أهل السنّة، كمالك بن أنس وأبي القاسم السّهيلي، لكونها بضعة من النبي، لكن عليّاً عليه السلام كفؤها، فلو لم يخلق ماكان لها كفؤ، فهو أفضل منهما من هذه الناحية أيضاً.

راجع للوقوف على الأحاديث المشار إليها في هذه الوجوه: مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٤، الرياض النضرة ٢/ ١٨٣، ذخائر العقبى ٢٩، كنز العمال ٦/ ١٥٣، ٧/ ١١٣، فيض القدير ٢/ ٢١٥، ٤/ ٤٢١، كنوز الحقائق ٢٩، ١٢٤، الصواعق: ٧٤.

فهل يقاس[1] سائر بنات النبي صلّى الله عليه وآله ـ على القول بكونهنّ من صلبه ـ بفاطمة عليها السلام؟

وهل يقاس عثمان ـ على فرض كونه صهراً له على بنتيه ـ بعلي عليه السلام؟ حتى يعارض تزويج علي بفاطمة بتزويج عثمان.

---

(١) منهاج السنّة ٤/ ٣٦.

هذا، بغضّ النظر عمّا كان منه في حق رقيّة، وأنه آذى رسول الله صلّى الله عليه وآله ليلة وفاة أم كلثوم، حتى منعه من النزول في قبرها، وقد روى هذه القضيّة عامة أرباب الصحاح والسنن (١).

كثرة معجزاته

قال قدس سره: وظهرت عنه معجزاتٌ كثيرة، حتى ادّعى قوم فيه الربوبيّة وقتلهم، وصار إلى مقالتهم آخرون إلى هذه الغاية،كالنصيرية والغلاة.

الشرح:

معجزاته لا تعدّ ولا تحصى، تدلّ دلالة واضحة على أفضليّته وأولويّته بإمامة المسلمين وخلافة رسول ربّ العالمين... وقد روى طرفاً منها كبار علماء أهل السنّة في كتبهم، كقضيّة دعوته على من كتم الشهادة بحديث الغدير، حيث استشهد به الأمير للنصّ على إمامته من النبيّ عن اللطيف الخبير، وقضايا أخرى مثلها... سيذكر العلّامة بعضها، وأين هذه مما وضعه القصّاصون ولفّقه الكذابون الأذلّاء، من قصص سمّوها كرامات، لأناس مبطلين مضلّين سمّوهم بالأولياء!

ومن هنا ادّعى بعض الناس فيه عليه السلام الربوبيّة، لأنهم شاهدوا منه أشياء لم يشاهدوها من أحد من قبل، ولا تصدر إلا من أقرب الناس إلى الحق سبحانه وتعالى، وتبعهم أصحاب محمد بن نصير النميري الملعون على لسان الإمام علي بن محمد العسكري عليه السلام.

وهل يجوز ترك الإقتداء بمن كان هذا شأنه، وسلوك غير سبيل المؤمنين الذين قالوا بإمامته بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، كما أمر بذلك ربّ العالمين؟!

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة ٢ / ٥٧٠ ح ١٢٥٢، دار القلم، مسند أحمد ١٢٦/٣، المستدرك على الصحيحين ٤٧/٤، السنن الكبرى ٥٣/٤، الإصابة ٤٨٩/٤، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ٨٥/٤

الحسن والحسين عليهما السلام

قال قدس سره: وكان ولداه سبطا رسول اللّٰه سيدا شباب أهل الجنة....

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأما قوله: وكان ولداه سبطا رسول الله صلّى الله عليه وآله سيدا شباب أهل الجنة إمامين بنصّ النبي صلّى اللّٰه عليه وآله. فيقال: الذي ثبت بلا شك عن النبيّ صلّى اللّٰه عليه وآله في الصحيح أنه قال عن الحسن: إن ابني هذا سيد وإن اللّٰه سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. وثبت عنه صلّى اللّٰه عليه وآله أنه كان يقعده وأسامة بن زيد على فخذه ويقول: اللهم إني أحبّهما وأحبّ من يحبّهما.

وهذا يدلّ على أن ما فعله الحسن من ترك القتال على الإمامة وقصد الإصلاح بين الناس، كان محبوباً عند اللّٰه ورسوله، ولم يكن ذلك مصيبة... ولم يكن الحسن أعجز عن القتال من الحسين... وأن الذي فعله الحسن هو الأحبّ إلى اللّٰه ورسوله ممّا فعله غيره، واللّٰه يرفع درجات المتّقين المؤمنين بعضهم على بعض، وكلّهم في الجنّة، رضي اللّٰه تعالى عنهم أجمعين.

وقد ثبت أنه صلّى اللّٰه عليه وآله أدخلهما مع أبويهما تحت الكساء وقال: اللّٰهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وأنه دعاهما إلى المباهلة، وفضائلهما كثيرة، وهما من أجلّاء سادات المؤمنين»[1].

أقول:

أوّلاً: لم يتعرّض لفضيلة كونهما سبطي هذه الأمة، فإن ذلك معدود من جلائل

(١) منهاج السنّة ٤/ ٣٩ـ ٤١.

فضائلهما في الأحاديث الكثيرة الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، كما في ذخائر العقبى [١] وغيره من كتب الحديث والفضائل.

وثانياً: لم يتعرّض لحديث «إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» أصلاً، مع أنه من أثبت فضائلهما الكثيرة كما اعترف، فقد رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجة، والنسائي، والحاكم، وابن حجر، وابن الأثير، والخطيب، وأبو نعيم، والمتقي عن عدّة من كبار الحفاظ، بل في فيض القدير عن السيوطي أنه حديث متواتر [٢].

وثالثاً: قوله: «ثبت عنه صلّى الله عليه وآله أنه كان يقعده وأسامة بن زيد على فخذه».

أقول: إن الحسن عليه السلام ولد سنة ثلاث من الهجرة على ما في الإستيعاب [٣]، وأسامة ولد قبلها بعشر سنوات تقريباً، فلو كان الحسن حين كان يقعده النبي صلّى الله عليه وآله على فخذه ابن سنتين أو ثلاث، كان أسامة ابن ثلاث عشرة سنة، ومثله لا يقعد على الفخذ...

بل الثابت أنه كان يجلس الحسنين على فخذيه ويقول ذلك.

بل إن أسامة من رواة الخبر ـ فيمن رواه من الصحابة ـ كما في الصواعق عن

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ١٣٠.

(٢) فيض القدير بشرح الجامع الصغير ٣ / ٥٥٠، مسند أحمد ٣/٣ و ٦٢ و ٦٤ و ٨٢، ٥ / ٣٩١ و ٣٩٢، سنن الترمذي ٥ / ٣٢١ و ٣٢٦، سنن ابن ماجة ١ / ٤٤، خصائص علي: ١٢٣، المستدرك ٣/١٦٧ و ٣ / ٣٨١، الإصابة: ترجمة الحسن بن علي عليهما السلام ٢ / ٦٣، أسد الغابة: ترجمة الحسن عليه السلام ٢ / ١١، تاريخ بغداد ١ / ١٥٠ و ٢ / ١٨١ و ٤ / ٤٢٩ و ٦ / ٣٦٩ و ٩ / ٢٣٠ و ٢٣١، ١٠ / ٢٣٠ و ١١ / ٩١ و ١٢ / ٤، كنز العمال ٧/ ٢٦ و ١١ / ٥٧٣ و ١٢ / ٩٦ و ١٠٢ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٥ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٣ / ٦٤٠ و ٦٦١ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٧٧، حلية الأولياء ٤ / ١٣٩.

(٣) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٣٨٤.

الترمذي[١] وفي كنز العمال، وفيض القدير عن الطبراني[٢]. فكأن الحديث الذي أورده الرجل محرّف، وإن كان كذلك في الكتب الموصوفة بالصحّة.

ويشهد بما ذكرنا وروده في مواضع بلفظ: «عن أسامة كان النبي صلّى الله عليه وآله يأخذني والحسن فيقول: اللهم إني أحبّهما فأحبّهما»، رواه جماعة منهم بترجمة أسامة أو الحسن.

وكأن راويه التفت إلى الإشكال فأبدل اللفظ إلى «يأخذني».

والذي يؤكد الإشكال ويوضح الحال: ما أخرجه الترمذي في باب مناقبهما عن أسامة قال: «طرقت رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات ليلة لبعض الحاجة، فخرج النبي وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو. فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشف عنه فإذا حسن وحسين على وركيه فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللّهم إنك تعلم أني أحبّهما فأحبّهما، اللّهم إنك تعلم أني أحبّهما فأحبهما وأحبّ من يحبهما»[٣].

فكان أسامة ـ حينما كان الرسول يحتضن السبطين ـ بالغاً مبلغ الرجال، يطرق الرسول لبعض الحاجة.

فالسؤال هو: كيف خفي كلّ هذا على هذا المدّعي والمعترض المغرض؟!

ونحن لا ننكر أنه صلّى الله عليه وآله كان يحبّ أسامة، لكن الدعاء المذكور فضيلة تختص بالحسنين عليهما السلام، ولا ريب في أن دعاءه صلّى الله عليه وآله مستجاب، وما ذكره الرجل كذب.

ورابعاً: إن من الأحاديث المتّفق عليها قوله صلّى الله عليه وآله: «الحسن

---

(١) الصواعق المحرقة: ٨٢.

(٢) كنز العمال ٦ / ٢٢١، فيض القدير ٣ / ٤١٥.

(٣) صحيح الترمذي ٥ / ٣٢٢.

والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا»، وممن رواه من أهل السنة: الصفوري في نزهة المجالس، والصديق القنوجي في السراج الوهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج في باب المناقب، وفي الإتحاف بحب الأشراف: أنه صلّى الله عليه وآله قال لهما: «أنتما الإمامان ولأمّكما الشفاعة»[١].

وقد ذكر العلاّمة في الفصل الرابع من الكتاب أدلّة الإماميّة على إمامة باقي الأئمة عليهم السّلام، فذكر فيها أنه صلّى الله عليه وآله قال للحسين عليه السلام: «هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة».

وحينئذ، يكون ما فعله الإمام الحسن عليه السلام وما فعله الإمام الحسين عليه السلام مرضياً لله ورسوله بلا فرق أصلاً، فكلاهما إمام معصوم قام بما كان واجباً عليه في زمان إمامته.

زهدهما وعلمهما

قال قدس سره: إماميّن بنصّ النبي صلّى الله عليه وآله، وكانا أزهد الناس وأعلمهم في زمانهما.

الشرح:

وهذا أيضاً سكت عليه ابن تيمية، وكأنه معترف بمفاد الأحاديث التي ذكرناها، وعلى كلّ حال، فإن نصّ النبي صلّى الله عليه وآله غير منحصر بهذه الأحاديث، ومن أراد المزيد فليرجع إلى مظانّه.

ثم قال ابن تيمية: «وأما كونهما أزهد الناس وأعلمهم في زمانهما. فهذا قول بلا دليل»[٢].

---

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ١٢٩، نزهة المجالس ٢ / ١٨٤، مناقب آل أبي طالب ٣ / ١٦٣.

(٢) منهاج السنّة ٤ / ٤١.

أقول:

لو كان عنده دليل ـ ولو ضعيفاً ـ ينقض به ما ذكره العلّامة، لأتى به، لأنه حاول الردّ حتى بالأباطيل والأكاذيب كما فعل في مواضع كثيرة، فسكوته أقوى دليل.

وكيف يطالب بالدليل على الأزهديّة والأعلميّة لهما، وهما إمامان بالنصوص المتواترة والبراهين المتقنة، والإمام يجب أن يكون أزهد وأعلم أهل زمانه؟

ومن مظاهر زهد الإمام الحسن عليه السلام، أنه قاسم الله ماله مرّتين أو ثلاث مرّات، وهذا من الأمور الثابتة التي رواها من لا يقول بإمامته، كأبي نعيم في حليته، وابن عساكر في تأريخه[1].

ومن ذلك: ما رواه ابن عساكر بترجمته من تأريخه، بسنده عن مدرك بن زياد ـ أحد الصحابة ـ قال: «كنا في حيطان ابن عباس وحسن وحسين، فطافوا في البستان، فنظروا ثم جاءوا إلى ساقية فجلسوا على شاطئها، فقال لي حسن: يا مدرك أعندك غداء؟ قلت: قد خبزنا. قال: ائت به. قال: فجئته بخبز وشيء من ملح جريش وطاقتين من بقل، فأكل ثم قال: يا مدرك ما أطيب هذا؟ ثم أتي بغدائه ـ وكان كثير الطعام طيّبه ـ فقال لي: يا مدرك، إجمع لي غلمان البستان. قال: فقدّم إليهم فأكلوا ولم يأكل، فقلت: ألا تأكل؟ فقال: ذاك كان أشهى عندي من هذا»[2].

ومن مظاهر زهد الإمام الحسين عليه السلام: ما رواه القوم أيضاً من أنه: «حجّ خمسة وعشرين حجّة ماشياً وإن النجائب تقاد معه».

ومن ذلك أنه قيل له: ما أعظم خوفك من ربّك؟ فقال: «لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا»[3].

---

(١) حلية الأولياء ٢ / ٣٧، تاريخ مدينة دمشق ١٣ / ٢٤٣، ٢٤٤، وسنن البيهقي ٤ / ٣٣١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٣ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢٤٤.

أما أعلميّتهما من أهل زمانهما، ففي غاية الوضوح، فإنهما الوارثان لعلوم أبيهما باب مدينة علم النبي وأقضى الأمة من بعده، ومن هنا كانا مستغنيين عن غيرهما والكلّ محتاج إلى علمهما.

وقد روي: أنه استفتى أعرابي عبد الله بن الزبير وعمرو بن عثمان، فتواكلا، فقال: اتقيا الله فإني أتيتكما مسترشداً، أمواكلة في الدين! فأشارا عليه بالحسن والحسين فأتاهما[١].

جهادهما

قال قدس سره: وجاهدا في سبيل الله حتى قتلا. ولبس الحسن عليه السلام الصّوف تحت ثيابه الفاخرة من غير أن يشعر أحداً بذلك.

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأمّا قوله: وجاهدا في الله حق جهاده حتى قتلا. فهذا كذب عليهما، فإن الحسن تخلّى عن الأمر وسلّمه إلى معاوية ومعه جيوش، وما كان يختار قتال المسلمين قط، وهذه متواترة في فضائله. وأما موته فقيل: إنه مات مسموماً، وهذه شهادة له وكرامة في حقّه، لكن لم يمت مقاتلاً. والحسين رضي الله عنه ما خرج مقاتلاً...»[٢].

أقول:

لقد ذكر العلّامة عن الإمامين السبطين أمرين، أحدهما: إنهما جاهدا في الله حق جهاده. والآخر: إنهما قتلا حال كونهما مجاهدين في الله حق جهاده، فأيّهما كذب عليهما؟

كأن هذا الرجل يجهل أو يتجاهل أن (الجهاد) في الله لا يختص بـ(القتال) وأن (القتل) في سبيل الله و(الشهادة) لا يختص بـ(السيف)؟!

(١) تاريخ دمشق ١٣/٢٣٨.

(٢) منهاج السنة ٤ / ٤١ ـ ٤٢.

وإذا عرفت أن الوقوف مطلقاً أمام الكفر والجور (جهاد) وأن الموت في تلك الحال (شهادة) عرفت من الكاذب!!

ثم قال ابن تيمية: «وأمّا قوله عن الحسن إنه لبس الصوف تحت ثيابه الفاخرة، فهذا من جنس قوله في علي إنه كان يصلّي ألف ركعة. فإن هذا لا فضيلة فيه، وهو كذب.

أقول:

إن هذا الرجل، إمّا لا يفهم معنى العبادة والزهد وجهاد النفس، وإمّا أن العناد لأهل البيت عليهم السّلام يحمله على إنكار حتى مثل هذه المناقب والمراتب لهم....

لكن العلّامة قد كتب لمن يفهم العبادة وترويض النفس، ويعترف بأن ذلك من الفضائل المؤهلة لأصحابها للإقتداء بهم في تلك الأعمال وغيرها، وليشير إلى أن الفضل في أن يلبس الإنسان الخشن لله فلا يعلم بذلك أحداً، لا أن يلبسه للخلق ويتظاهر بذلك بين الناس فيجلب قلوبهم ويشتهر بالزهد فيهم، كما كان يصنع غيرهم، حتى صار الزهد علماً لهم، وألفت في صلاتهم الكتب، وجاء هذا الرجل يقول: «وهذه كتب المسلمين التي ذكر فيها زهّاد الأمة ليس فيهم رافضي»!

بين الحسين وإبراهيم ابن رسول الله

قال قدس سره: وأخذ النبي يوماً الحسين عليه السلام على فخذه الأيمن وولده إبراهيم على فخذه الأيسر، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال: إن الله لم يكن ليجمع لك بينهما فاختر من شئت منهما....

الشرح:

قال ابن تيمية: «هذا الحديث لم يروه أحد من أهل العلم، ولا يعرف له إسناد، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث، وهذا الناقل لم يذكر لنا إسناده ولا عزاه إلى كتب الحديث، لكن ذكره على عادته من روايته أحاديث سائبة، بلا زمام ولا خطام، والنقل

المجرّد بمنزلة سائر الدعاوى، ثم يقال: هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، وهو من أحاديث الجهّال»[١].

أقول:

أوّلاً: قولك: هذا الحديث لم يروه أحد من أهل العلم ولا يعرف له إسناد، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث. كذب كما ستعلم.

وثانياً: ليس من دأب المؤلّفين في الكتب الكلاميّة ذكر الأحاديث المستدلّ بها بالإسناد، فهذه كتب الكلام كالمواقف وشرحها، والمقاصد وشرحها، وكتب البيضاوي وغيرها، تذكر فيها الأحاديث بلا أسانيد، ومن هنا جاء من بعدهم فألّفوا الكتب في تخريج أحاديث تلك الكتب، فإن كان ما ذكرته حقاً توجّه إلى الجميع.

وثالثاً: إنه كثيراً ما يعزو العلّامة الحديث إلى ناقله، فليس من عادته ما ذكرته.

ورابعاً: إذا كان النقل المجرّد بمنزلة سائر الدعاوي، فلماذا تقتصر أنت في كثير من الموارد بالنقل المجرّد؟

وخامساً: إن كان ما أورده العلّامة لم ينقله أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث، فلماذا وصفته بالحديث وحكمت عليه بالوضع؟ وكيف قام الإتفاق من أهل المعرفة بالحديث على وضع ما ليس له وجود في شيء من كتب الحديث؟

وبعد؛ فمن رواة الحديث الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، وهو من أهل العلم عندهم! في كتابه تاريخ بغداد، وهو من كتبهم المعتبرة!

قال: «أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر المقري قال: نبأنا محمد بن الحسن النقاش قال: زيد بن الحباب قال: نبأنا سفيان الثوري، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن أبي العباس قال: كنت عند النبي صلّي الله عليه وآله على فخذه الأيسر ابنه

(١) منهاج السنّة ٤ / ٤٥.

إبراهيم، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي، تارة يقبل هذا وتارة يقبل هذا، إذ هبط عليه جبريل عليه السلام بوحي من ربّ العالمين، فلمّا سرى عنه قال: أتاني جبريل من ربي فقال لي: يا محمد، ربّك يقرأ عليك السلام ويقول لك: لست أجمعهما لك، فافد أحدهما بصاحبه. فنظر النبي صلّى الله عليه وآله إلى إبراهيم فبكى، ونظر إلى الحسين فبكى، ثم قال: إن إبراهيم أمّه أمة، ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأم الحسين فاطمة، وأبوه علي ابن عمي، لحمي ودمي، ومتى مات حزنت ابنتي فاطمة وحزن ابن عمي وحزنت أنا عليه، وأنا أوثر حزني على حزنهما. يا جبريل تقبض إبراهيم، فديته بإبراهيم. قال: فقبض بعد ثلاث. فكان النبي صلّى الله عليه وآله إذا رأى الحسين مقبلاً قبّله وضمّه إلى صدره ورشف ثناياه وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم»[1].

أقول:

وابن تيميّة راجلٌ في علم الحديث، فيقلّد ـ في الأغلب ـ ابن الجوزي في طعنه في مناقب أهل البيت عليهم السّلام، وقد أدرج ابن الجوزي ـ كعادته ـ هذا الحديث في كتاب الموضوعات[2]، لأن راويه ـ وهو أبو بكر ابن النقّاش ـ قد كذّبه الرجاليّون.

وأهل العلم يعلمون بأنّ ابن الجوزي متسرّع في رمي الأحاديث بالوضع، ولذا تكلّم غير واحدٍ من الحفّاظ فيه وفي كتابه المذكور، وستعرّض لذلك في محلّه المناسب. هذا أوّلاً.

وثانياً: لقد وجدناهم في كثيرٍ من المواضع، يعتمدون على رواية النقاش وأقواله في الأحاديث والرّجال، ممّا يدلُّ على أنّ لتكلّمهم فيه سبباً آخر، فحاله حال الحافظ ابن خراش الّذي تكلّموا فيه واعتمدوا عليه كثيراً.

وللكلام عن مثل هذه الامور مجال آخر.

---

(١) تاريخ بغداد ٢ / ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) كتاب الموضوعات ١ / ٤٠٧.

الإمام علي بن الحسين عليه السلام

قال قدس سره: وكان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يصوم نهاره....

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأما علي بن الحسين، فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً، أخذ عن: أبيه، وابن عباس، والمسور بن مخرمة، وأبي رافع مولى النبي صلّى الله عليه وآله، وعائشة وأم سلمة وصفيّة أمهات المؤمنين، وعن مروان بن الحكم، وسعيد بن المسيب، وعبد الله بن عثمان، وذكوان مولى عائشة، وغيرهم. رضي الله تعالى عنهم. وروى عنه: أبو سلمة بن عبد الرحمن، ويحيى بن سعيد الأنصاري، والزهري، وأبو الزناد، وزيد بن أسلم، وابنه أبو جعفر.

قال يحيى بن سعيد: هو أفضل هاشمي رأيته في المدينة.

وقال محمد بن سعد في الطبقات: كان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً.

وروي عن حماد بن زيد قال: سمعت علي بن الحسين ـ وكان أفضل هاشمي أدركته ـ يقول: يا أيها الناس أحبّونا حبّ الإسلام، فما برح بنا حبّكم حتى صار عاراً علينا.

وعن شيبة بن نعامة قال: كان علي بن الحسين يبخل، فلمّا مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة في السرّ. وله من الخشوع وصدقة السرّ وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف.

حتى أنه كان من صلاحه ودينه يتخطّى مجالس أكابر الناس ويجالس زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب ـ وكان من خيار أهل العلم والدّين من التابعين ـ فيقال له: تدع مجالس قومك وتجالس هذا؟ فيقول: إنما يجلس الرجل حيث يجد صلاح قلبه.

وأمّا ما ذكره من قيام ألف ركعة، فقد تقدّم أن هذا لا يمكن إلّا على وجه مكروه في

الشّريعة، أو لا يمكن بحال، فلا يصلح ذكره لمثل هذا في المناقب.

وكذلك ما ذكره من تسمية رسول الله صلّى الله عليه وآله له سيّد العابدين، هو شيء لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل العلم والدّين»[١].

أقول: هذا كلّ ما ذكره الرجل حول الإمام السجّاد عليه السلام، أوردته بنصّه، فأقول:

أوّلاً: لقد سكت عن بعض ما ذكره العلاّمة، وسكوته دليل القبول، لكنّ نفسه لم تسمح له بالتصريح، نعم، لقد كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام أعبد أهل زمانه عند الخاصّ والعام، يصوم نهاره، ويقوم ليله، ويتلو الكتاب العزيز، ويدعو بالأدعية المنقولة... ثم يرمي الصحيفة كالمتضجّر... وكان يبكي كثيراً... وسجد حتى حشي مساجده... وعن الجواب عن كلّ هذا سكت الرجل، وكلّه ثابت سواء قبل أو أنكر... وسكت أيضاً عن قضيّة استلامه الحجر بعد أن لم يمكن ذلك لهشام، وشعر الفرزدق في هذه القضيّة... وأنّى له أو لغيره إنكار قضيّة تجاوزت حدّ الرواية وعدّت من ضروريات التأريخ!!

وثانياً: لقد اعترف بكون الإمام عليه السلام من كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً، ونقل كلمات عن بعض أكابر القوم في الثناء عليه.

وأقول: إن الإمام علي بن الحسين عليه السلام إمام معصوم منصوص عليه، والأدلّة النقليّة والعقليّة على إمامته كثيرة مذكورة في محلّها، فعدّه من (التابعين) إنما هو على اصطلاح أهل السنّة.

ولقد كان بإمكان الرجل نقل كلمات أخرى، لكن منعه عن ذلك بغضه وعناده، وإلّا فقد أطنب في موارد كثيرة بأباطيل وأكاذيب، وربما كرّر المطلب الواحد أكثر من

---

(١) منهاج السنة ٤ / ٤٨ ـ ٥٠.

مرّة، وربّما تعرّض في مواضع لبحوث خارجة عن المقصود فيها. بل لم تسمح له نفسه بإيراد كلّ ما نقله محمد بن سعد وأبو نعيم الحافظ بترجمته من الطبقات والحلية، فنقل عنهما بعض ما ورد فيهما.

وثالثاً: لقد أنكر ما ذكره العلاّمة من صلاة الإمام في اليوم واللّيلة ألف ركعة، وما ذكره من تسمية رسول الله صلّى الله عليه وآله له سيد العابدين وقال: «هو شيء لا أصل له ولم يروه أحد من أهل العلم والدين».

أقول:

أمّا الصّلاة ألف ركعة في كلّ يوم وليلة. فكان ذلك عمله كأبيه وجدّه... كما ستعرف في محلّه من الكتاب.

وأمّا تسمية الرسول صلّى الله عليه وآله إيّاه سيّد العابدين. فذاك مرويّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في كتب الفريقين، وممّن رواه من العامّة الحافظ سبط ابن الجوزي عن المدائني عن جابر بن عبد الله أنه قال لأبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: «رسول الله يسلّم عليك، فقيل لجابر: وكيف هذا؟ فقال: كنت جالساً عند رسول الله والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال: يا جابر يولد له ولد اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه مني السّلام»[(١)].

وقال ابن حجر المكّي بترجمة ولده الإمام الباقر عليه السلام: «وكفاه شرفاً أن ابن المديني روى عن جابر أنه قال له وهو صغير: رسول الله صلّى الله عليه وآله يسلّم عليك. فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنت جالساً..»[(٢)].

ورواه أبو عمر الزاهد في كتابه (اليواقيت) عن الزهري.

---

(١) تذكرة الخواص من الأمة: ٣٣٧.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٢٠.

وفي الحلية: «وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول: زين العابدين»[1].

ولقد جاء وصفه عليه السلام بـ(سيد العابدين) أو (زين العابدين) في سائر الكتب المذكورة فيها أحواله وترجمته[2].

فهل يكفي هذا القدر لبيان كذب الرجل؟!

ورابعاً: لقد ذكر أشياء لابدّ من التحقيق حولها:

أخذه عن أبيه وابن عباس و... فإن الإمام زين العابدين أخذ عن أبيه الإمام الحسين الشهيد، والحسين السبط أخذ عن والده أمير المؤمنين عليهم السّلام، وهو عن رسول ربّ العالمين صلّى الله عليه وآله. وحسب السجّاد أخذه عن والده، فإنه حينئذ وارث علوم سيد النبيين صلّى الله عليه وآله، وغنيٌ عن الأخذ عن غيره، لأن الذين ذكرهم لم يدانوه في العلم والفضل أصلاً، بل فيهم من لا يعدّ من أهل العلم.

ولا ريب في أن أفضل من ذكر اسمه ـ بعد الحسين عليه السلام ـ هو ابن عباس، لكن كلّ ما عنده من العلم مأخوذ عن علي والحسنين صلوات الله وسلامه عليهم، وهو بعض ما ورثه السّجاد عنهم....

ومن الإفك ما ذكره ابن تيمية من أنه أخذ عن عائشة ومروان بن الحكم، فإن كلّ عاقل يعلم بأن لا نسبة بينه وبينهما في العلم والفضيلة، ومع ما كان منهما بالنسبة إلى جدّه أمير المؤمنين وعمّه الحسن السبط الأكبر عليهم السّلام، وما ورد في مروان بن الحكم اللّعين ابن اللّعين!!

كما أن ما ذكره من أنه كان يتخطّى مجالس أكابر الناس... كذب واضح، ولو كان

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ١٣٥.

(٢) أنظر مثلاً: وفيات الأعيان ٣ / ٢٦٦، حلية الأولياء ٣ / ١٣٣، تذكرة الحفاظ ١ / ٧٤، تهذيب التهذيب ٧ / ٢٦٨، طبقات الحفاظ: ٣٧، طبقات القراء ١ / ٥٣٤.

هناك مجالسة بينهما، فإن الأمر بالعكس، فقد عدّ زيد بن أسلم في كتبنا في أصحاب السجّاد عليه السلام، كما أن الرجل نفسه عدّه فيمن أخذ عنه عليه السلام، واللّفظ الذي رواه الحافظ أبو نعيم: «كان علي بن الحسين يتخطّى حلق قومه حتى زيد بن أسلم فيجلس عنده، فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه»[1]. فهو الذي كان ينفع زيداً ـ بناء على صحة هذا الخبر ـ لأنه كان يقول: «من كتم علماً أحداً أو أخذ عليه أجراً رفداً فلا ينفعه أبداً»[2].

أقول:

وكم كذبوا على هذا الإمام، كما كذبوا على آبائه وأبنائه عليهم السّلام؟!

فلقد جاء في أصحّ كتبهم أعني البخاري: «وقال علي بن الحسين: يعني مثنى أو ثلاث أو رباع»، قال شرّاحه: «وهذا من أحسن الأدلّة في الردّ على الرافضة، لكونه من تفسير زين العابدين، وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلى قولهم ويعتقدون عصمتهم»[3].

وحاصله نسبة القول بجواز التزوّج بما يزيد على الأربع إلى الإمام زين العابدين عليه السلام، وهي نسبة كاذبة لا أساس لها من الصحة أبداً، بل الأمر بالعكس، فإن القول بجواز التزوّج بما يزيد على الأربع منهنّ، منسوب إلى غير واحد من كبار فقهاءهم، مستدلّين بالآية المباركة، كما لا يخفى على من راجع كتبهم في الفقه والحديث[4].

بل فيهم من قال بجواز التزوّج بأيّ عدد شاء من النساء، وذكره النيسابوري بتفسير الآية من تفسيره[5].

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ١٣٨.

(٢) حلية الأولياء ٣ / ١٤٠.

(٣) فتح الباري ٩ / ١١٤، إرشاد الساري ٨ / ٢٦، عمدة القاري ٢٠ / ٩١.

(٤) تبيين الحقائق للزيلعي الحنفي ١ / ١٤٣، ونيل الأوطار للشوكاني ٦ / ١٦٩.

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤ / ١٧٢.

استلزامه الحجر وشعر الفرزدق

قال قدس سره: وكان قد حجّ هشام بن عبد الملك، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه من الزحام، فجاء زين العابدين عليه السلام فوقف الناس له، فقال الفرزدق....

الشرح:

الفرزدق هو: همام بن غالب الدارمي التميمي البصري، كنيته: أبو فراس، ولد سنة ١٩، قدّمه أئمة الأدب على مثل جرير والأخطل، وقال بعضهم: «لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب».

اشتهر أخيراً بتجاهره بحبّ أهل البيت عليهم السّلام ودفاعه عنهم.

وقصيدته الرائعة المشهورة من أقوى الشواهد على إيمانه بإمامتهم وولايتهم بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

قال السيد المرتضى: «كان الفرزدق قد نزع في آخر عمره عمّا كان عليه من القذف والفسق، وراجع طريقة الدّين، على أنّه لم يكن في خلال فسقه منسلخاً عن الدّين جملة ولا مهملاً أمره أصلاً».

وتوفي بالبصرة سنة ١١٠ وقد قارب المائة[1].

رويت هذه القصّة والقصيدة في كثير من مؤلّفات الفريقين، ونحن نكتفي بذكر عدّة من كتب أهل السنّة فقط:

١ـ حلية الأولياء لأبي نعيم الإصفهاني ٣/ ١٣٩.

٢ـ تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي الحنفي: ٣٢٩.

٣ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٢٠٠.

---

(١) توجد ترجمته في: أمالي المرتضى ١ / ٦٢، الأغاني ٢١ / ٢٩٩، الدرجات الرفيعة: ٥٤٢، معجم الأدباء ٧/ ٢٥٢، خزانة الأدب ١ / ٢٠٢، شذرات الذهب ١ /١٤١ وغيرها.

٤ـ صفة الصفوة لابن الجوزي الحنبلي ٢ / ٥٥.

٥ـ تاريخ ابن كثير ٩ / ١٠٨.

٦ـ مرآة الجنان لليافعي ١ / ٢٣٩.

٧ـ مطالب السئول لابن طلحة الشافعي: ٦٤.

٨ـ حياة الحيوان للدميري ١ / ٩.

٩ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١ / ١٤٢.

١٠ـ زهر الآداب للقيرواني ١ / ١٠٢.

١١ـ شرح شواهد مغني اللبيب للسيوطي: ٢٤٩.

١٢ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٣٠٣.

١٣ـ شرح الحماسة للتبريزي ٤ / ٨٢.

١٤ـ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٩٣.

١٥ـ الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٢٠.

١٦ـ قصص العرب لأحمد جاد المولى ٢ / ٢٥٤.

١٧ـ جواهر الأدب لأحمد الهاشمي ٢ / ١٥.

١٨ـ نور الأبصار للشبلنجي: ١٩٣.

وقد أورد ذلك ابن تيمية، ولم يتكلّم عليه بشيء!

وتفاوتت روايتهم للقصيدة في أبياتها زيادة ونقيصة.

قال قدس سره: وكان بالمدينة قوم يأتيهم رزقهم ليلاً ولا يعرفون ممن هو، فلمّا مات مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام انقطع ذلك عنهم....

الشرح:

هذا ممّا اعترف به ابن تيمية، واتفق عليه المؤرخون من الفريقين[1].

---

(١) أنظر مثلاً: حلية الأولياء ٣ / ١٣٩ صفة الصفوة ٢ / ٧٠.

الإمام محمّد الباقر عليه السلام

قال قدس سره: وكان ابنه محمد الباقر عليه السلام أعظم الناس زهداً وعبادة، بقر السجود جبهته، وكان أعلم أهل وقته.

الشرح:

قال ابن تيمية: «وكذلك أبو جعفر محمد بن علي، من خيار أهل العلم والدّين، وقيل: إنما سمي الباقر لأنه بقر العلم، لا لأجل بقر السجود جبهته، وأمّا كونه أعلم أهل زمانه فهذا يحتاج إلى دليل، والزهري من أقرانه وهو عند الناس أعلم منه»[١].

أقول:

لم يعترض على العلّامة وصفه الإمام الباقر عليه السلام بـ«أعظم الناس زهداً وعبادة» ولم يقره بصراحة حقداً وعناداً!

أمّا أنه سمّي الباقر لأنه بقر العلم، فهذا ما يقوله العلّامة، وسينقل الخبر فيه وإنها تسمية من النبي صلّى الله عليه وآله، وإنما قال: «أعظم الناس زهداً وعبادة، بقر السّجود جبهته» لبيان كثرة عبادته، لكن في (الطبقات): «حدثني هارون بن عبد الله بن الوليد المصيصي قال: رأيت محمد بن علي على جبهته وأنفه أثر السّجود ليس بالكثير»[٢]، والحافظ سبط ابن الجوزي الحنفي قال: «وإنما سمّي الباقر من كثرة سجوده، بقر السجود جبهته، أي فتحها ووسعها، وقيل لغزارة علمه، قال الجوهري في الصحاح: التبقُّر التوسّع في العلم، قال: وكان يقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الباقر، لتبقُّره في العلم»[٣].

---

(١) منهاج السنّة ٤ / ٥٠ ـ ٥١.

(٢) طبقات ابن سعد ٥ / ٣٢٣.

(٣) تذكرة خواص الأمة: ٣٦٦.

وأمّا قوله: «كونه أعلم أهل زمانه يحتاج إلى دليل، والزهري من أقرانه وهو عند الناس أعلم منه» فيقال:

أوّلاً: لو أمكنه إنكار ذلك لباح بذلك، فإمساكه عن الإنكار ـ مع ما هو عليه من العناد لآل البيت الأطهار ـ دليل.

وثانياً: اشتهاره بالباقر ـ لأنه بقر العلم ووسّعه، وهذا الوجه في التسمية هو الذي ذكره ـ دليل آخر.

وثالثاً: لو كان في عصره أعلم منه لاشتهر وعرف، وكيف وأئمة القوم ـ الذين ما زالوا يقلّدونهم ـ هم تلامذته كما ستعرف.

موجز ترجمة إمامهم الزهري

رابعاً: إنه قد ذكر الزهري في مقابلة الباقر عليه السلام، لكنه نسب القول بأعلميّته إلى الناس، وكأنه غير جازم بهذه الدعوى! لكن من هؤلاء الناس الذين يقولون بأعلميّة الزهري من الباقر عليه السلام؟ لقد نسب هذا إلى «الناس» هنا، وكان من قبل نسبه إلى «اتفاق أهل العلم» حيث قال: «... فالزهري أعلم بأحاديث النبي صلّى الله عليه وآله وأحواله وأقواله باتفاق أهل العلم، من أبي جعفر محمد بن علي، وكان معاصراً له»[1].

إنه يريد الحطّ من شأن أئمة أهل البيت عليهم السلام! لكنه يعلم بأن آراءه لا قيمة لها، فينسب مزاعمه تارة إلى «أهل العلم» وإلى «الناس» أخرى! وهل يقول أحد ـ إذا كان من أهل العلم والدّين حقاً ـ بأعلميّته، والكلّ يشهدون بأنه من الراوين والآخذين عن الباقر فيمن أخذ وروى؟ وما الذي يحمله على ذكر خصوص الزهري والتبجّح به في مقابلة أئمة أهل البيت في غير موضع من كتابه؟

الحقيقة، أن الزهري من أشهر المنحرفين عن أمير المؤمنين وأهل البيت الطاهرين

---

(١) منهاج السنة ١ / ٢٣٠.

عليهم السّلام، فالرجل إنما يذكره لكونه على رأيه واعتقاده، على ما ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي، فإنه قال: «وكان الزهري من المنحرفين عنه عليه السلام. وروى جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً عليه السلام فنالا منه، فبلغ ذلك علي ابن الحسين عليه السلام فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أما أنت يا عروة، فإن أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أبيك. وأما أنت يا زهري، فلو كنت بمكة لأريتك كير أبيك» قال: «وروى عاصم بن أبي عامر البجلي عن يحيى بن عروة قال: كان أبي إذا ذكر علياً نال منه»[1].

ويؤكّد هذا سعيه وراء إنكار مناقب الأمير عليه السلام، كمنقبة سبقه إلى الإسلام، قال ابن عبد البر بترجمة زيد بن حارثة: «وذكر معمر في جامعه عن الزهري قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة. قال عبد الرزاق: وما أعلم أحداً ذكره غير الزهري»[2].

وروايته عن عمر بن سعد اللّعين قاتل الحسين بن علي أمير المؤمنين عليه السلام، قال الذهبي: «عمر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، وعنه إبراهيم وأبو إسحاق، وأرسل عنه الزهري وقتادة. قال ابن معين: كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟»[3].

وكونه من عمّال بني أميّة ومشيّدي سلطانهم، حتى أنكر عليه ذلك العلماء والزهّاد، فقد ذكر العلّامة الدهلوي بترجمته من (رجال المشكاة): «أنه قد ابتلي بصحبة الأمراء بقلّة الديانة، وكان أقرانه من العلماء والزهاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه، وكان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرّهم! فيقولون: ألا ترى ما هم فيه وتسكت؟!».

ومن هنا قدح فيه ابن معين، فقد حكى الحاكم عن ابن معين أنه قال: «أجود الأسانيد الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله. فقال له إنسان: الأعمش مثل

(١) شرح نهج البلاغة ٤/ ١٠٢.

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٥٤٦.

(٣) تهذيب الكمال ٢١/ ٣٥٧ و تهذيب التهذيب ٧/ ٣٩٦ وميزان الاعتدال ٣/ ١٩٩.

الزهري. فقال: تريد من الأعمش أن يكون مثل الزهري! الزهري يرى العرض والإجازة، ويعمل لبني أمية، والأعمش فقير صبور مجانب للسلطان ورع عالم بالقرآن»[١].

وقال الذهبي: «أبو بكر ابن شاذان البغدادي، حدّثنا علي بن محمد السوّاق، حدّثنا جعفر بن مكرم الدقاق، حدّثنا أبو داود، حدّثنا شعبة قال: خرجت أنا وهشيم إلى مكة، فلما قدّمنا الكوفة رآني هشيم مع أبي إسحاق فقال: من هذا؟ قلت: شاعر السّبيع، فلما خرجنا جعلت أقول: حدثنا أبو إسحاق، قال: وأين رأيته؟ قلت: هو الذي قلت لك: شاعر السّبيع. فلما قدمنا مكة مررت به وهو قاعد مع الزهري فقلت: يا أبا معاوية من هذا؟ قال: شرطي لبني أميّة، فلما قفلنا جعل يقول: حدّثنا الزهري فقلت: وأين رأيته؟ قال: الذي رأيته معي. قلت: أرني الكتاب، وأخرجه. فخرقته»[٢].

وقال الذهبي: «قال أحمد بن عبدويه المروزي: سمعت خارجة بن مصعب يقول: قدمت على الزهري وهو صاحب شرط بني أمية، فرأيته ركب وفي يديه حربة، وبين يديه الناس في أيديهم الكافركوبات، فقلت: قبّح الله ذا من عالم، فلم أسمع منه»[٣].

هذا؛ ولقد ورث الزهري هذا العداء للإسلام والنبي وأهل بيت النبوة عليهم السّلام من آبائه! فقد ذكر ابن خلكان بترجمته: «وكان أبو جدّه عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدراً، وكان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أحد لئن رأوا رسول الله صلّى الله عليه وآله ليقتلنّه أو ليقتلنّ دونه.

وروي: أنه قيل للزهري: هل شهد جدّك بدراً؟ فقال: نعم ولكن من ذلك الجانب. يعني أنه كان في صفّ المشركين.

وكان أبوه مسلم مع مصعب بن الزبير.

---

(١) تهذيب التهذيب ٤ / ١٩٧ ترجمة الأعمش.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٢٦.

(٣) ميزان الاعتدال ١ / ٦٢٥.

ولم يزل الزهري مع عبد الملك ثم مع هشام بن عبد الملك، وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه»[١].

سمّاه رسول الله الباقر

قال قدس سره: وسمّاه رسول الله الباقر، جاء جابر بن عبد الله الأنصاري إليه....

الشرح:

هذا الخبر ممّا اتفق الطرفان على روايته، وقد مضى ذكره.

وقال ابن شهرآشوب: «حديث جابر مشهور معروف، رواه فقهاء المدينة والعراق كلّهم»[٢].

وفي (كشف الغمة) نقله عن ابن الزبير محمد بن مسلم المكي أنه قال: «كنا عند جابر بن عبد الله، فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمد وهو صبي...»[٣].

وروى ابن قتيبة: «أن هشاماً قال لزيد بن علي: ما فعل أخوك البقرة؟ فقال زيد: سمّاه رسول الله باقر العلم، وأنت تسمّيه بقر! فاختلفتما إذن»[٤].

وقال الزبيدي الحنفي في (الباقر): «قلت: وقد ورد في بعض الآثار عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن النبي صلّى الله عليه وآله قال له: يوشك أن تبقى حتى تلقى ولداً لي من الحسين يقال له محمد، يبقر العلم بقراً، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام. خرّجه أئمة النسب»[٥].

---

(١) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٣٢٨.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة ٢ / ٣٣٠.

(٤) عيون الأخبار ١ / ٢١٢.

(٥) تاج العروس ٣ / ٥٥.

وهذا القدر كاف لتبيين كذب المفتري القائل: «ونقل تسميته بالباقر عن النبي صلّى الله عليه وآله لا أصل له عند أهل العلم، بل هو من الأحاديث الموضوعة. وكذلك حديث تبليغ جابر له السلام، هو من الموضوعات عند أهل العلم بالحديث»!!

هذا، ولابدّ من التنبيه على أن جملة «وهو صغير في الكتاب» غير واردة في طرق الإمامية المعتبرة.

روى عنه أبو حنفية وغيره

قال قدس سره: روى عنه أبو حنيفة وغيره.

الشرح:

ذكر رواية أبي حنيفة وغيره عن الباقر عليه السلام الحافظ ابن حجر العسقلاني بترجمته[١]. وبترجمة الباقر عليه السلام: «روى عنه: ابنه جعفر وأبو إسحاق السبيعي، والأعرج، والزهري، وعمرو بن دينار، وأبو جهضم موسى بن سالم، والقاسم بن الفضل، والأوزاعي، وابن جريج، والأعمش و...»[٢].

وقال أبو نعيم: «روى عنه من التابعين: عمرو بن دينار، وعطاء بن أبي رباح، وجابر الجعفي، وأبان بن تغلب. وروى عنه من الأئمة والأعلام: ليث بن أبي سليم، وابن جريج، وحجاج بن أرطاة، في آخرين»[٣].

وقال الذهبي: «الإمام الثبت الهاشمي العلوي المدني، أحد الأعلام... حدّث عنه: ابنه جعفر بن محمد، وعمرو بن دينار، والأعمش، والأوزاعي، وابن جريج، وقرة بن خالد، وخلق»[٤].

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٠١.

(٢) تهذيب التهذيب ٩ / ٣١٢.

(٣) حلية الأولياء ٣ / ١٨٨.

(٤) تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٤.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

قال قدس سره: وكان ابنه الصادق عليه السلام أفضل أهل زمانه وأعبدهم.

الشرح:

قال ابن تيمية: «وجعفر الصّادق رضي الله عنه من خيار أهل العلم والدّين. أخذ العلم عن جدّه أبي أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعن محمد بن المنكدر، ونافع مولى ابن عمر، والزهري، وعطاء بن أبي رباح، وغيرهم. وروى عنه: يحيى بن سعيد الأنصاري، مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وابن جريج، وشعبة، ويحيى بن سعيد القطان، وحاتم بن إسماعيل، وحفص بن غياث، ومحمد بن إسحاق بن يسار. وقال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين.

وأمّا قوله: اشتغل بالعبادة...»[1].

أقول:

لم يلتفت الرجل إلى كلمة العلامة: «أفضل أهل زمانه وأعبدهم» لا بالنفي ولا بالإثبات... ولنورد كلمات عدّة من أئمة القوم تأكيداً لما ذكره العلّامة رحمه الله:

قال إمامهم مالك بن أنس: «جعفر بن محمد، اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال، إما مصلّ وإما صائم وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدّث إلّا عن طهارة»[2].

وقال إمامهم أبو حنيفة: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، لمّا أقدمه المنصور بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة: إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد، فهيئ له من المسائل الشداد،

---

(١) منهاج السنة ٤ / ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٢ / ٨٩.

فهيّأت له أربعين مسألة، ثم بعث إليّ أبو جعفر ـ وهو بالحيرة ـ فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه، فلما أبصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلّمت عليه وأومأ إلي، فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة. قال جعفر: نعم. ثم أتبعها قد أتانا ـ كأنه كره ما يقول فيه قوم إنه إذا رأى الرجل عرفه ـ ثم التفت المنصور إلي فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله من مسائلك. فجعلت ألقي عليه فيجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تبعناهم، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة.

ثم قال أبو حنيفة: ألسنا روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس»[١].

وقال ابن حبان: «كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً»[٢].

وقال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي: «ثقة لا يسأل عن مثله»[٣].

وقال ابن خلكان: «كان من سادات أهل البيت، ولقّب بالصّادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يذكر»[٤].

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: «كان مشغولاً بالعبادة عن حبّ الرياسة»[٥].

وقال أبو الفتح الشهرستاني: «جعفر بن محمد الصّادق، هو ذو علم غزير في الدّين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد في الدنيا، وورع تام عن الشهوات. وقد أقام بالمدينة مدّة يفيد الشيعة المنتمين إليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام بها مدّة، ما تعرّض للإمامة قط، ولا نازع في الخلافة أحداً. ومن غرق في

---

(١) جامع مسانيد أبي حنيفة ١ / ٢٢٢، تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٦.

(٢) الثقات ٦ / ١٣١ وعنه تهذيب التهذيب ٢ / ٨٩

(٣) تهذيب التهذيب ٢ / ٨٨

(٤) وفيات الأعيان ١ / ٣٢٧.

(٥) صفة الصفوة ٢ / ٩٤.

بحر المعرفة لم يطمع في شط، ومن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط»[١].

وقال أبو نعيم: «جعفر بن محمد الإمام الناطق، ذو الزمام السابق، أبو عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق، أقبل على العبادة والخضوع، وآثر العزلة والخشوع، ونهى عن الرئاسة والجموع»[٢].

وقال النووي: «اتفقوا على إمامته وجلالته»[٣].

وأمّا الذين ذكر أنهم أخذوا عنه، فهم بعض من كلّ، كما لا يخفى على من راجع ترجمته في الكتب المذكورة وغيرها.

وأمّا أخذه عن الذين ذكرهم فكذب، ومما يوضح كذبه دعواه الأخذ عن الزهري الذي عرفت حاله.

قال قدس سره: قال علماء السيرة: إنه انشغل بالعبادة عن طلب الرياسة.

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأمّا قوله: اشتغل بالعبادة عن الرياسة، فهذا تناقض من الإماميّة، لأن الإمام عندهم واجب أن يقوم بها وبأعبائها، فإنه لا إمام في وقته إلا هو، فالقيام بهذا الأمر أعظم لو كان واجباً وأولى من الإشتغال بنوافل العبادات»[٤].

أقول:

إن الإمام المنصوص عليه بالإمامة يجب عليه قبولها والقيام بأعبائها متى ما أقبل عليه المسلمون وبايعوه وطلبوا منه ذلك، لكن هذا لم يكن من الناس، وعلى الجملة، فإن الحكومة والرياسة من شؤون الإمام الحق، فإن تمكّن منها وجبت عليه وإلّا لم

---

(١) الملل والنحل ١ / ١٦٦.

(٢) حلية الأولياء ٣ / ١٩٢.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٥٥.

(٤) منهاج السنة ٤ / ٥٣.

تجب عليه المطالبة بها، كما هو الحال بالنسبة إلى النبي. وفي كلمات أئمة أهل البيت ممّا يشهد بذلك كثير، ومن ذلك كلمات الأمير عليه السلام في (نهج البلاغة).

ثم إن الذي ذكره العلاّمة لم يكن منقولاً عن الإماميّة حتى يكون تناقضاً منهم، بل إنه قال: «قال علماء السيرة...» وقد وجدت هذا القول في الكلمات التي نقلناها، في عبارة ابن الجوزي، وأبي نعيم، والشهرستاني... لكن الرجل نسب هذا إلى العلاّمة نفسه قائلاً: «وأما قوله...» حتى يشكل بالتناقض على زعمه!!

قال قدس سره: قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد، علمت أنه من سلالة النبيين.

الشرح:

كلام عمرو بن أبي المقدام هذا، مذكور في ترجمة الإمام عليه السلام في (تهذيب التهذيب) و(تهذيب الأسماء واللغات) وغيرهما، كما نقله المعترض نفسه أيضاً. ممّا يدلُّ على اعتنائهم به وبكلامه، إلا أنهم يتّهمونه بالرفض لتقديمه عليّاً على الشيخين، ولهذا السبب رفض بعضهم الحديث عنه!!

انتشار العلوم منه

قال قدس سره: وهو الذي انتشر منه...

الشرح:

وأمّا انتشار العلوم المختلفة منه، فقد أشار إلى ذلك أبو الفتح عبد الكريم الشهرستاني في كلامه المتقدم، وقال اليافعي بترجمته: «له كلام نفيس في علوم التوحيد وغيرها. قد ألّف تلميذه جابر بن حيان الصوفي كتاباً يشتمل على ألف ورقة، يتضمن رسائله وهي خمسمائة رسالة»[1].

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ٣٠٤.

وقال الآلوسي: «هذا أبو حنيفة ـ وهو من أهل السنّة ـ يفتخر ويقول بأفصح لسان: لو لا السّنتان لهلك النعمان» يعني السّنتين جلس فيهما لأخذ العلم من الإمام جعفر الصّادق[1].

لكن الرجل لم يفهم مغزى هذا الكلام! فقال:

«وأمّا قوله: هو الذي نشر فقه الإماميّة والمعارف الحقيقيّة والعقائد اليقينيّة. فهذا الكلام يستلزم أحد أمرين: إمّا أنه ابتدع في العلم ما لم يكن يعلمه من قبله، وإمّا أن يكون الذي قبله قصّر فيما يجب من نشر العلم. وهل يشك عاقل أن النبي صلّى الله عليه وآله بيّن لأمته المعارف الحقيقيّة والعقائد اليقينيّة أكمل بيان، وأن أصحابه تلقّوا عنه ذلك وبلّغوه إلى المسلمين؟ وهذا يقتضي القدح إمّا فيه وإمّا فيهم، بل هو كذب على جعفر الصّادق، أكثر ممّا كذب على من قبل، فالآفة وقعت من الكذّابين عليه لا منه».

أقول:

بالله عليك! أي شيء قاله العلامة رحمه الله حتى تتوجّه إليه هذه التّهم والإفتراءات؟! يقول العلامة: «إن الصّادق عليه السّلام نشر المعارف الحقيقيّة والعقائد اليقينيّة» وكلّ من يكون من أهل اللّغة ـ إلا من في قلبه مرض ـ يفهم من هذا الكلام أن الصّادق عليه السّلام علّم وبيّن وشرح وبلّغ المعارف الحقيقيّة والعقائد اليقينيّة التي كان قد جاء بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وتعلّمها منه عن طريق آبائه، فلا هو ابتدع أشياء، ولا أن النبي صلّى الله عليه وآله قصّر... ولا قدح فيه ولا في أصحاب الرسول الذين تعلّموا منه شيئاً وبلّغوا ما تعلّموا كما تعلّموا...

(١) مختصر التحفة الإثنا عشرية: ٨.

قال قدس سره: وكان لا يخبر بأمر إلا وقع، وبه سمّوه الصّادق الأمين، وكان عبدالله بن الحسن جمع أكابر العلويين للبيعة لولده فقال له....

الشرح:

حياته سلام الله عليه مليئة بالوقائع من هذا القبيل، فقد كان صادقاً، «مستجاب الدعوة، إذا سأل الله شيئاً لا يتم قوله إلّا وهو بين يديه»[1]، ولا يخبر بشيء إلا ويقع، ومن ذلك ما ذكره العلّامة من أمر العلويين.

روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن عمر بن شبة بأسانيده: إن جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم: إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن علي، وعبد الله بن الحسن بن الحسن، وابناه محمد وإبراهيم، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان... فبايعوا جميعاً محمداً [بن عبد الله بن الحسن] وأرسل بذلك إلى جعفر بن محمد، قال عبد الله بن الحسن: لا نريد جعفراً لئلا يفسد عليكم أمركم...

وجاء جعفر فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه فقال: لا تفعلوا؛ فإن هذا الأمر لم يأت بعد.

فغضب عبد الله وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، ووالله ما أطلعك الله على غيبه، ولكن يحملك على هذا الحسد لابني.

فقال: والله ما ذاك يحملني، ولكن ذا وإخوته وأبناؤهم دونكم ـ وضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن ـ وقال: إنها ـ والله ـ ما هي إليك ولا إلى ابنيك ولكنها لهم، وإن ابنيك لمقتولان.

ثم نهض وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال: أرأيت صاحب

(١) نور الأبصار: ٢٩٥.

الرّداء الأصفر، يعني أبا جعفر؟ قال: نعم. قال: فإنا ـ والله ـ نجده يقتله. قال له عبد العزيز: أيقتل محمداً؟ قال: نعم.

قال: فقلت في نفسي: حسده وربّ الكعبة. قال: ثم والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيته قتلهما.

قال: فلمّا قال جعفر ذلك نقض القوم فافترقوا ولم يجتمعوا بعدها، وتبعه عبد الصمد وأبو جعفر فقالا: يا أبا عبد الله أتقول هذا؟ قال: نعم أقوله والله وأعلمه»[1].

الإمام موسى الكاظم عليه السلام

قال قدس سره: وكان ابنه موسى الكاظم عليه السلام يدعى بالعبد الصالح....

الشرح:

أنظر من أشهر كتب القوم المعتمدة: صفوة الصفوة: ٢ / ١٢٤، مرآة الجنان: ١ / ٣٩٤، مطالب السؤول: ٧٦ تهذيب التهذيب: ١٠ / ٣٠٢، تاريخ بغداد: ١٣ / ٢٧، تهذيب الكمال: ٢٩ / ٤٤.

قال قدس سره: كان أعبد أهل وقته يقوم اللّيل ويصوم النهار. سمي الكاظم لأنه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال....

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأمّا من بعد جعفر، فموسى بن جعفر، قال فيه أبو حاتم الرازي: ثقة أمين صدوق من أئمة المسلمين. قلت: موسى ولد بالمدينة سنة بضع وعشرين ومائة، وأقدمه المهدي إلى بغداد، ثم ردّه إلى المدينة وأقام بها إلى أيّام الرشيد، فقدم هارون منصرفاً من عمرة، فحمل موسى معه إلى بغداد وحبسه بها إلى أن توفي في

---

(١) مقاتل الطالبيين: ١٤٠ ـ ١٤٢ ملخصاً. وعنه الشيخ المفيد في الإرشاد ٢ / ١٩٠، ومصادر أخرى.

حبسه. قال ابن سعد: توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة، وليس له كثير رواية. روى عن أبيه جعفر، وروى عنه أخوه علي، وروى له الترمذي وابن ماجة»(١).

أقول:

هذا كلامه، فلم ينكر إلى هنا شيئاً مما ذكره العلّامة واكتفى بنقل كلمة أبي حاتم... ولننقل كلمات أخرى تشييداً لما ذكره العلامة، ثم نشير إلى ما في كلام ابن تيمية.

قال ابن حجر: «عنه أخواه علي ومحمد. وأولاده: إبراهيم وحسين وإسماعيل وعلي الرضي. وصالح بن يزيد ومحمد بن صدقة العبري. قال أبو حاتم: ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين. قال يحيى بن الحسين بن جعفر النسّابة: كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده. وقال الخطيب: يقال إنه ولد بالمدينة في سنة ثمان وعشرين ومائة... ومناقبه كثيرة..»(٢).

وقال الخطيب: «كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده، روي أنه دخل مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فسجد سجدة في أوّل اللّيل، وسمع وهو يقول في سجوده: عظم الذنب من عندي فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة. فجعل يرددها حتى أصبح. وكان سخيّاً كريماً، وكان يسمع عن الرجل ما يؤذيه، فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار»(٣).

ونقل ابن خلكان كلام الخطيب المذكور، ثم نقل عن المسعودي ما سنذكره.

وقال الذهبي: «موسى الكاظم (ت،ق)، الإمام القدوة... ذكره أبو حاتم فقال: ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين. قلت: له عند الترمذي وابن ماجة حديثان... له مشهد عظيم مشهور ببغداد، دفن معه فيه حفيده الجواد، ولولده علي بن موسى مشهد عظيم

(١) منهاج السنّة ٤ / ٥٥.

(٢) تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٩.

بطوس. وكانت وفاة موسى الكاظم في رجب سنة ١٨٣»[1].

وقال ابن الجوزي: «موسى بن جعفر، كان يدعى العبد الصالح، وكان حليماً كريماً، إذا بلغه عن رجل ما يؤذيه بعث إليه بمال»[2].

وقال القرماني: «هو الإمام الكبير الأوحد الحجة، السّاهر ليله قائماً القاطع نهاره صائماً، المسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً، وهو المعروف بباب الحوائج، لأنه ما خاب المتوسّل به في قضاء حاجته قط»[3].

وقال ابن حجر المكي: «هو وارث أبيه علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً، سمّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند اللّه، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم»[4].

وقال ابن طلحة: «هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن الكبير، المجتهد الجادّ في الاجتهاد المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات المشهود له بالكرامات، يبيت اللّيل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظماً، كان يجازي المسئ بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمّى بالعبد الصالح، ويعرف بالعراق بباب الحوائج إلى اللّه، لنجح مطالب المتوسّلين إلى اللّه تعالى به، كراماته تحار منها العقول، وتقضي بأن له عند اللّه تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول»[5].

هذه بعض كلمات المخالفين.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٧٠ ـ ٢٧٤.

(٢) صفة الصفوة ٢ / ١٠٣.

(٣) أخبار الدول: ١١٢.

(٤) الصواعق المحرقة: ١١٢.

(٥) مطالب السئول: ٤٤٧.

وأما مناقبه وفضائله في كتب الشيعة القائلين بإمامته فلا تكاد تحصى، تجدها مروية بالأسانيد المعتبرة في (الإرشاد) للشيخ المفيد، و(المناقب) لابن شهرآشوب، و(إعلام الورى) للطبرسي، و(كشف الغمة) للإربلي، و(إثبات الهداة) للحرّ العاملي، و(بحار الأنوار) للمجلسي....

كما أُلّفت في أحواله وفضائله كتب خاصّة.

ولد بالأبواء، قرية من قرى المدينة المنورة، وكانت سنة ولادته (١٢٨) وقيل (١٢٧) وقيل (١٢٩) وتوفي سنة ١٨٣، وقيل غير ذلك، في سجن هارون وكان قد كتب إليه من السجن: «إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء حتى ينقضي عنك يوم من الرخاء، حتى نفنى [تقضي] جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، وهناك يخسر المبطلون»[١].

ولم تكن وفاته حتف أنفه، وإنما توفي مسموماً.

وأمّا قول الرجل: «وليس له كثير رواية، روى عن أبيه جعفر، وروى عنه أخوه علي، وروى له الترمذي وابن ماجة».

فأقول:

حسبه الرواية عن أبيه جعفر، فإن الصّيد كلّه في جوف الفرا.

وأمّا الرواة عنه فلا يُعدّون كثرةً، أمّا من أهل بيته فأخوه علي بن جعفر وأولاده، وأمّا من غيرهم، فقد ذكر ابن حجر بعضهم مع أخويه وأولاده، وقال الخزرجي: «وعنه: ابنه علي الرضا، وأخواه علي ومحمد ابنا جعفر بن محمد، وطائفة»[٢].

وأما أصحابنا، فذكروا في الكتب الرجاليّة أسامي كثيرين من تلامذته والرواة عنه، يعدّون بالمئات، وعن طريقهم امتلأت كتبهم الفقهيّة وغيرها بالأخبار في الأحكام

(١) تهذيب الكمال ٢٩ / ٥٠، البداية والنهاية ١٠ / ١٩٧، سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٧٣.

(٢) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ٣٩٠.

الشرعيّة والمعارف الدينيّة والعلوم الإسلاميّة...

وأمّا الرجل، فقد حاول التقليل من أهمية الإمام الكاظم والحطّ من شأنه وشأن الرواة عنه، حتى أنه يذكر رواية ولده الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وأخذه عنه. وأمّا عدم رواية المؤلّفين في الحديث من أهل السنّة عنه ـ عدا الترمذي وابن ماجة ـ فهو من سوء حظّهم وعدم توفيقهم، وانحرافهم عن أهل البيت والعترة الطاهرة.

قال قدس سره: قال ابن الجوزي من الحنابلة....

الشرح:

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي الفقيه الحنبلي الحافظ الواعظ، قال ابن خلكان: «كان علامة عصره وإمام وقته»[1]، وقال الذهبي: «الإمام العلّامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق»[2]، له مؤلّفات كثيرة، توفي سنة ٥٩٧.

له ترجمة في الوافي بالوفيات ٢ / ٣٢١، تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣١، النجوم الزاهرة ٦ / ١٧٤ وغيرها.

قصّة شقيق البلخي

قال قدس سره: عن شقيق البلخي....

الشرح:

قال أبو نعيم: «شقيق بن إبراهيم البلخي، أحد الزهاد في المشرق»[3].

وقال ابن حجر: «مناقب شقيق كثيرة جداً»[4].

---

(١) وفيات الأعيان ٣ / ١٤٠.

(٢) تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٤٢.

(٣) حلية الأولياء ٨ / ٥٨.

(٤) لسان الميزان ٣ / ١٥٢.

قال قدس سره: قال: خرجت حاجّاً في سنة تسع وأربعين ومائة، فنزلت القادسيّة، فإذا شاب حسن الوجه، شديد السمرة، عليه ثوب صوف....

الشرح:

رواه أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي المتوفي سنة ٥٧٩ في كتابه صفة الصفوة: ٢ / ١٢٥، ورواه غيره أيضاً[١].

لكن ابن تيمية الذي لا يطيق سماع منقبة من مناقب أئمة العترة، وإن كان راويها من غير الشيعة يقول: «وأمّا الحكاية المشهورة عن شقيق البلخي فكذب»، ثم يعلّل هذا التكذيب المنبعث من الحقد والعناد بقوله: «فإن هذه الحكاية تخالف المعروف من حال موسى بن جعفر، وموسى كان مقيماً بالمدينة بعد موت أبيه جعفر، وجعفر مات سنة ثمان وأربعين، ولم يكن قد جاء إذ ذاك إلى العراق، حتى يكون بالقادسيّة..»[٢].

عجيب! إنه يتكلّم وكأنه محيط بجميع أيام الإمام وحالاته، وعارف بزمانه عليه السّلام وخصوصيّاته... أكثر من غيره. إن هذه الحكاية رواها شيعته الذين هم أعرف الناس به وبما يتعلّق به، مضافاً إلى الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي الذي هو عراقي بغدادي، وله كتاب (المنتظم في تاريخ الأمم) من الكتب التأريخية المعتمدة، ومضافاً إلى غيره من الأعلام.

لكنه البغض والحقد والعناد، فلو كانت هذه القضيّة لزيد أو لعمرو ممن يتولّاهم الرجل، لتكلّم في إطرائها وتقريظ صاحبها صحائف عديدة... هذه حال هذا الرجل في هذه الحكاية، وعلى هذه فقس ما سواها.

---

(١) أنظر: أخبار الدول: ١١٢، جامع كرامات الأولياء ٢ / ٢٢٩، مطالب السئول: ٤٤٩، نور الأبصار: ١٣٥، وغيرها.

(٢) منهاج السنّة ٤ / ٥٧.

توبة بشر الحافي على يده

قال قدس سره: وعلى يده عليه السلام تاب بشر الحافي....

الشرح:

قال الخطيب: «بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، أبو نصر، المعروف بالحافي، مروزي سكن بغداد، وهو ابن عمّ علي بن خشرم، وكان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، وتفرّد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامة المذهب، وعزوف النفس، وإسقاط الفضول... وكان كثير الحديث...» وأطال بذكر مناقبه وفضائله جداً[١].

وعنه ابن الجوزي وذكر أن له كتاباً في فضائل بشر[٢].

قال قدس سره: لأنه اجتاز على داره ببغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء....

الشرح:

وكذّب ابن تيمية هذه الحكاية كسابقتها، وعلّل تكذيبه للعلامة هذه المرّة بقوله المضحك المبكي: «وأما قوله: تاب على يده بشر الحافي، فمن أكاذيب من لا يعرف حاله ولا حال بشر، فإن موسى بن جعفر لما قدم به الرشيد إلى العراق حبسه، فلم يكن ممن يجتاز على دار بشر وأمثاله من العامة»[٣].

فإذا كان العلامة لا يعرف حال الإمام فمن العارف؟ إنه ليس لهذا الرجل أن يدّعي المعرفة بأحوال أئمة أهل البيت بقدر ما يعرفه أفراد العوام من شيعتهم... وأصدق شاهد على جهله بأحوالهم نفس هذا الكلام ـ إن سلّمنا صدوره عن الجهل لا العناد

(١) تاريخ بغداد ٧ / ٧١.

(٢) المنتظم ١١ / ١٢٢ ـ ١٢٥.

(٣) منهاج السنة ٤ / ٥٧.

للأئمة عليهم السّلام ـ لأن الإمام عليه السلام قد أطلق سراحه من السجن بأمر من هارون، وكان في بغداد مدّة من الزمن، ثم عاد هارون فسجنه حتى لحق بآبائه مسموماً، وهذا مما اتفق عليه المؤرخون وفيه كرامة من كرامات الإمام عليه السلام.

فقد قال ابن خلكان بترجمته عليه السلام: «قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب في أخبار هارون الرشيد: إن عبد الله بن مالك الخزاعي كان على دار هارون الرشيد وشرطته، فقال: أتاني رسول الرشيد وقتاً ما جاءني فيه قط، فانتزعني من موضعي، ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك، فلمّا صرت إلى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري، فأذن لي في الدخول عليه فدخلت، فوجدته قاعداً في فراشه، فسلّمت عليه، فسكت ساعة، فطار عقلي، وتضاعف الجزع علي، ثم قال:

يا عبد الله، أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟

قلت: لا والله يا أمير المؤمنين.

قال: إني رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني ومعه حربة فقال: إن خلّيت عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك في هذه الساعة بهذه الحربة، فاذهب فخلّ عنه.

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر، ثلاثاً؟

قال: نعم، إمض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر، وأعطه ثلاثين ألف درهم وقل له: إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب، وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك لك.

قال: فمضيت إلى الحبس... وخلّيت سبيله وقلت له: لقد رأيت من أمرك عجباً.

قال: فإني أخبرك، بينما أنا نائم، إذ أتاني رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: يا موسى، حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات، فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس. فقلت: بأبي وأمي ما أقول؟ قال: قل: يا سامع كلّ صوت ويا سابق كلّ فوت ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر

المخزون المكنون الذي لم يطّلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصى عدداً، فرّج عني، فكان ما ترى»[١].

ولقد كانت هذه الفترة فرصة لاستفادة المستفيدين منه، وهداية المسترشدين على يده، ومنهم بشر الحافي، الذي تاب حتى كان من خيرة الصّالحين على ما ذكروا بتراجمه.

وإذ سمعت هذا، فاحكم على هذا المعترض على العلّامة بما شئت.

الإمام علي الرضا عليه السلام

قال قدس سره: وكان ولده علي الرضا عليه السلام أزهد أهل زمانه وأعلمهم.

الشرح:

قال ابن تيمية: «من المصائب التي ابتلي بها ولد الحسين، انتساب الرافضة إليهم وتعظيمهم ومدحهم لهم، فإنهم يمدحونهم بما ليس بمدح، ويدّعون لهم دعاوى لا حجة لها، ويذكرون من الكلام ما لو لم يعرف فضلهم من غير كلام الرافضة، لكان ما تذكره الرافضة بالقدح أشبه منه بالمدح!»[٢].

أقول:

من المصائب التي ابتلي بها رسول الله وبضعته وأهل بيته عليهم السّلام: وجود النواصب لهم في كلّ زمان، ودعواهم الإسلام، وانتسابهم إلى العلم، واستناد مثلهم إلى كلامهم... هؤلاء الذين بلغ بهم العداء حدّاً يجعلون الوصف بالزهد والعلم ونحو ذلك مدحاً بما ليس بمدح، وأنه أشبه بالقدح!!

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٠٩ ـ ٣١٠.

(٢) منهاج السنة ٤ / ٦٠.

قال: «وأمّا قوله: إنه كان أزهد الناس وأعلمهم، فدعوى مجرّدة بلا دليل»[١].

أقول: نعم، لا دليل على ذلك عند هذا الرجل وأمثاله!! لكن هناك في كلمات المحدّثين والمؤرخين من غير شيعة أهل البيت عليهم السّلام ما يدلّ على ما تذهب إليه الشيعة وتعتقد في أئمتها، وإليك بعض تلك الكلمات:

قال الحافظ السمهودي[٢]: «علي الرضا بن موسى الكاظم، كان أوحد أهل زمانه، جليل القدر، أسلم على يده أبو محفوظ معروف الكرخي....

وقال له المأمون: بأيّ وجه صار جدّك علي بن أبي طالب قسيم الجنة والنار؟

فقال: ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: حبّ علي إيمان وبغضه كفر؟

قال: بلى.

قال الرضا: فقسم الجنة والنار إذا كان على حبّه وبغضه.

فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنك وارث علم رسول الله صلّى الله عليه وآله»[٣].

وقال كمال الدين محمد بن طلحة[٤]: «أبو الحسن علي بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق.

قد تقدّم القول في أمير المؤمنين علي، وفي زين العابدين علي. وجاء هذا علي الرضا ثالثهما، ومن أمعن نظره وفكره، وجده في الحقيقة وارثهما، فيحكم بكونه ثالث العليين، نمى إيمانه، وعلا شانه، وارتفع مكانه، واتسع إمكانه، وكثر أعوانه، وظهر

---

(١) منهاج السنّة ٤ / ٦٠.

(٢) هو: علي بن عبد الله، المتوفى سنة: ٩١١.

(٣) جواهر العقدين ق ٢ ج ٢ ص ٤٢٧.

(٤) هو المحدث الفقيه الشافعي: المتوفى سنة: ٦٥٢.

برهانه، حتى أحلَّه الخليفة المأمون محلّ مهجته، وأشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته، وعقد له على رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته.

وكانت مناقبه عليّة، وصفاته الشريفة سنيّة، ومكارمه حاتميّة، وشنشنته أخزميّة، وأخلاقه عربيّة، ونفسه الشريفة هاشميّة، وأرومته الكريمة نبوية، فمهما عدّ من مزاياه كان أعظم منه، ومهما فصّل من مناقبه كان أعلى مرتبة عنه»[١].

وقال الشبلنجي[٢]: «قال إبراهيم بن العباس: ما رأيت الرضا سئل عن شيء إلّا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال من كلّ شيء فيجيبه الجواب الشافي، وكان قليل النوم كثير الصوم، لا يفوته صوم ثلاثة أيام من كلّ شهر ويقول: ذلك صيام الدهر. وكان كثير المعروف والصّدقة، وأكثر ما يكون ذلك منه في اللّيالي المظلمة. وكان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح»[٣].

وقال الجويني[٤]: «الإمام الثامن: مظهر خفيّات الأسرار، ومبرز خبيّات الأمور الكوامن، منبع المكارم والميامن، ومنبع الأعالي الخضارم والأيامن، منيع الجناب، رفيع القباب، وسيع الرحاب، هموم السحاب، غزير الألطاف، عزيز الأكناف، أمير الأشراف، قرة عين آل ياسين وآل عبد مناف، السيد الطاهر المعصوم، والعارف بحقائق العلوم، والواقف على غوامض السر المكتوم، والمخبر بما هو آت وعمّا غبر ومضى، المرضي عند الله سبحانه برضاه عنه في جميع الأحوال، ولذا لقب بالرضا،

---

(١) مطالب السئول: ٤٥٤.

(٢) هو: الشيخ مؤمن بن حسن المتوفى بعد سنة: ١٣٠٨.

(٣) نور الأبصار: ٣١٢.

(٤) هو: الشيخ إبراهيم بن محمد، من مشايخ الذهبي، توفي سنة: ٧٣٠.

علي بن موسى...»[١].

وقال ابن حجر المكي[٢]: «وكان أولاد موسى بن جعفر حين وفاته سبعة وثلاثين ذكراً وأنثى، منهم علي الرضا، وهو أنبههم ذكراً، وأجلّهم قدراً، ومن ثم أحلّه المأمون محلّ مهجته، وأنكحه ابنته، وأشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته...»[٣].

فهذه طائفة مما قيل في مدحه... علماً وزهداً وجلالة... وسيأتي غيرها أيضاً.

أخذ الفقهاء عنه

قال قدس سره: وأخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً.

الشرح:

قال ابن تيمية: «ولم يأخذ عنه أحد من أهل العلم بالحديث شيئاً، ولا روي له حديث في الكتب الستة، وإنما يروي له أبو الصّلت الهروي وأمثاله نسخاً عن آبائه فيها من الأكاذيب ما قد نزه الله عنه الصّادقين من غير أهل البيت فكيف بالصّادقين منهم».

أمّا قوله: «إنه أخذ فقهاء الجمهور كثيراً» فهذا من أظهر الكذب....

وما يذكره بعض الناس من أن معروفاً الكرخي كان خادماً له، وأنه أسلم على يديه، أو أن الخرقة متصلة منه إليه، فكلّه كذب باتفاق من يعرف هذا الشأن»[٤].

أقول: هنا أمور:

الأول: في أخذ فقهاء الجمهور عن الإمام الرضا عليه السلام. ويكفي في هذا المقام الكلمات التالية:

قال الواقدي: «سمع علي الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم، وكان ثقة، يفتي

(١) فرائد السمطين ٢ / ١٨٧.

(٢) المتوفى سنة: ٩٧٢.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٢٢.

(٤) منهاج السنّة ٤ / ٦١.

بمسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة»(١).

وقال الحاكم النيسابوري: «علي بن موسى، أبو الحسن، ورد نيسابور سنة مائتين، وكان يفتي في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو ابن نيف وعشرين سنة. روى عنه من أئمة الحديث: المعلّى بن منصور الرازي، وآدم بن أبي أياس العسقلاني، ومحمد بن أبي رافع القصري القشيري، ونصر بن علي الجهضمي، وغيرهم. واستشهد بـ(سناباد) من طوس في رمضان سنة ٢٠٣ وهو ابن تسع وأربعين سنة وستة أشهر»(٢).

وقال ابن الجوزي: «كان يفتي في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو ابن نيف وعشرين سنة»(٣).

وقال ابن كثير: «علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القرشي الهاشمي العلوي، الملقب بالرضا. كان المأمون قد همّ أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك، فجعله وليّ العهد من بعده، كما قدمنا ذلك. توفي في صفر من هذه السنة بطوس. وقد روى الحديث عن أبيه وغيره، وعنه جماعة منهم: المأمون، وأبو الصلت الهروي، وأبو عثمان المازني النحوي...»(٤).

وقال المزي: «ق: علي بن موسى... روى عنه: أبو بكر أحمد بن الحباب بن حمزة الحميري النسّابة، وأيوب بن منصور النيسابوري، ودارم بن قبيصة بن نهشل الصنعاني، وأبو أحمد داود بن سليمان بن يوسف الغازي القزويني له عنه نسخة، وسليمان بن جعفر، وعامر بن سليمان الطائي والد أحمد بن عامر أحد الضعفاء، له عنه

---

(١) تذكرة خواص الأمة: ٣٥١.

(٢) تهذيب التهذيب ٧ / ٣٣٩، فرائد السمطين ٢ / ١٩٩، عن تاريخ نيسابور.

(٣) المنتظم ١٠ / ١٢٠.

(٤) البداية والنهاية، حوادث ٢٠٣، ١٠ / ٢٧٣.

نسخة كبيرة، وعبد الله بن علي العلوي، وأمير المؤمنين أبو العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، وأبو الصّلت عبد السلام بن صالح الهروي (ق)، وعلي بن صدقة الشطي الرقي، وعلي بن علي الخزاعي الدعبلي، وعلي بن مهدي بن صدقة بن هشام القاضي، له عنه نسخة، ومحمد بن سهل بن عامر البجلي، وابنه أبو جعفر محمد بن علي بن موسى، وأبو جعفر محمد بن حيان التمار البصري، وموسى بن علي القرشي، وأبو عثمان المازني النحوي»[١].

وقال الذهبي: «وروى عنه فيما قيل: آدم بن أبي أياس ـ وهو أكبر منه ـ وأحمد بن حنبل، ومحمد بن رافع، ونصر بن علي الجهضمي، وخالد بن أحمد الذهلي الأمير»[٢].

وقال الذهبي: «علي بن موسى الرضا ـ ق، د، ت ـ أحد الأعلام. هو الإمام أبو الحسن ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، العلوي، الحسيني. روى عن: أبيه وعبد الله بن أرطاة. وعنه: ابنه أبو جعفر محمد، وأبو عثمان المازني، والمأمون، وعبد السلام بن صالح، ودارم بن قبيصة، وطائفة....

وكان سيّد بني هاشم في زمانه وأجلّهم وأنبلهم، وكان المأمون يعظّمه ويخضع له ويتغالى فيه، حتى أنه جعله وليّ عهده من بعده، وكتب بذلك إلى الآفاق...»[٣].

وقال ابن حجر قال الحاكم: «سمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا ـ وهم إذ ذاك متوافرون ـ إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس، فرأيت من تعظيمه ـ يعني ابن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه

(١) تهذيب الكمال ٢١ / ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٨٨.

(٣) تاريخ الإسلام ١٤ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

عندها ما تحيّرنا»[١].

وجاء في غير واحد من الكتب: إنه لما دخل الإمام نيسابور راكباً خرج إليه علماء البلد، وبأيديهم المحابر والدّوى، وتعلّقوا بلجام دابّته وحلّفوه أن يحدّثهم بحديث عن آبائه فقال: «حدّثني أبي موسى الكاظم عن أبيه... علي بن أبي طالب قال: حدّثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: حدّثني جبريل قال: سمعت رب العزة يقول: لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني وأمن من عذابي».

وفي رواية: إنه روى عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سألت رسول الله: ما الإيمان؟ قال: معرفة بالقلب، وإقرار باللّسان، وعمل بالأركان».

وعن أحمد: «إن قرأت هذا الإسناد على مجنون برئ من جنونه».

هذا، وقد كان على رأس العلماء الذين طلبوا من الإمام أن يحدّثهم: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي، وياسين بن النضر، وأحمد بن حرب، ويحيى بن يحيى... وقد عدّ أهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً[٢].

أقول: فمن الكاذب إذن!!

الثاني: في رواية أرباب الكتب الستة عنه.

وقد عرفت من الكلمات السابقة رواية ثلاثة منهم عن الإمام الرضا عليه السلام، فإن (ق) رمز لابن ماجة القزويني، و (د) لأبي داود السجستاني، و (ت) رمز للترمذي.

فقول الرجل: «ولا روي له حديث في الكتب الستة» كذب آخر.

هذا، ولا يخفى أنه قد حقق في محلّه أن ليس كلّ من روي له حديث في هذه الكتب بثقة، وليس كلّ من لم يرو عنه فيها غير ثقة.

---

(١) تهذيب التهذيب ٧ / ٣٣٩.

(٢) أخبار إصبهان ١ / ١٣٨، المنتظم في أخبار الأمم ١٠ / ١٢٠، الصواعق المحرقة: ١٢٢ عن تاريخ نيسابور، الفصول المهمة في معرفة الأئمة ٢ / ١٠٠٢.

أمّا أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم أعلا وأجل وأشرف من أن توزن أحاديثهم الصحيحة الثابتة عنهم بهذه الموازين، بل السعيد من أخذ عنهم واتبعهم، والشقي من أعرض عنهم وخالفهم.

ترجمة أبي الصلت الهروي

الثالث: في بيان حال أبي الصلت الهروي:

كان أبو الصَلت عبد السَلام بن صالح الهروي من أصحاب الإمام الرضا والملازمين له، والرواة لأحاديثه وأخباره، بل في (تهذيب الكمال): «وهو خادم علي بن موسى الرضا».

وقد ذكروا بترجمته أنه كان عالماً فقيهاً أديباً، يردّ على أهل الأهواء من المرجئة والجهمية والزنادقة والقدرية ويناظرهم، وفي كلّ ذلك كان الظفر له.

وذكروا أيضاً: أنه كان يقدّم أبابكر وعمر ولا يذكر أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله إلا بالجميل.

ولهذه الأمور وغيرها، فقد وثّقه غير واحد من الأئمة، وعلى رأسهم إمام أهل الجرح والتعديل يحيى بن معين[(١)].

لكنهم مع ذلك رموه بالتشيع، لروايته عن الإمام الرضا وغيره بعض المناقب والفضائل لأمير المؤمنين عليه السلام، الدالّة على أفضليّته وإمامته بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، كحديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها، ثم أفرط بعض المتعصّبين وجعل يتكلّم في الرجل ويقع فيه، حتى قال الجوزجاني ـ المعروف بالنصب[(٢)] ـ: «كان أبو الصلت الهروي زائغاً عن الحق مائلاً عن القصد».

---

(١) كذا قالوا في حقه، من ذلك: تقريب التهذيب ٢ / ٣٥٨.

(٢) أنظر: لسان الميزان ١ / ١٦.

وقال ابن عدي: «له أحاديث مناكير في فضل أهل البيت وهو متهم فيها».

وقال الدارقطني: «كان رافضياً خبيثاً»[١].

وكلّ ذلك، كما توحي به كلماتهم، لروايته فضائل أهل البيت... وإلا فالرجل ثقة صدوق... وهذا ما نصّ عليه الحافظ ابن حجر حيث قال: «صدوق، له مناكير، وكان يتشيع، وأفرط العقيلي فقال: كذّاب»[٢].

إسلام معروف الكرخي على يده

الرابع: في إسلام معروف الكرخي على يد الإمام.

فقد كذّب ابن تيمية[٣] خبر إسلام معروف على يد الإمام الرضا عليه السلام، كما كذّب من قبل توبة بشر الحافي على يد الإمام موسى بن جعفر الكاظم... وقد جاء الخبر في أكثر من كتاب ومصدر، من ذلك قول ابن خلكان: «وهو من موالي علي بن موسى الرضا وقد تقدّم ذكره، وكان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدّبهم وهو صبي، فكان المؤدب يقول له: قل ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فيضربه المعلّم على ذلك ضرباً مبرحاً، فهرب منه، وكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه. ثم إنه أسلم على يد علي بن موسى الرضا ورجع إلى أبويه، فدقّ الباب فقيل له: من بالباب؟ فقال: معروف. فقيل له: على أيّ دين؟ فقال: على الإسلام، فأسلم أبواه»[٤].

أقول: لقد ذكروا بتراجمه كرامات عجيبة له، فحاولوا التكتم على كونه من موالي الإمام وعلى إسلامه على يده عليه السلام، لئلا يكون ذلك فضيلة له!!...

---

(١) لاحظ الكلمات بترجمته من الكتب الرجالية، كتهذيب الكمال ١٨ / ٧٣.

(٢) تقريب التهذيب ١ / ٦٠٠.

(٣) منهاج السنّة ٤ / ٦١ـ٦٢.

(٤) وفيات الأعيان ٥ / ٢٣١.

فمنهم من لم يذكر كونه من مواليه ولا حكى إسلامه على يده، ولا روى عنه شيئاً مما سمعه من الإمام، كالحافظ أبي نعيم[١] والحافظ ابن الجوزي[٢].

ومنهم من اعترف بكونه من مواليه ولم يذكر عن إسلامه شيئاً، كالشعراني[٣].

ومنهم من حكى قصته مع المؤدب ثم رجوعه إلى أبويه بعد هربه وأنهما أسلما، ولم يزد على ذلك شيئاً، كالذهبي[٤]....

ومنهم من حكى أنه كان حاجباً للإمام فكسروا ضلعه فمات[٥]. وهذا ما كذّبه الذهبي فقال: «فلعلّ الرضا كان له حاجب اسمه معروف، فوافق اسمه اسم زاهد العراق»[٦].

أقول: لكن مقامات أئمة أهل البيت عليهم السّلام لا تزيد ولا تنقص بإثبات شيء من هذا القبيل أو إنكاره، بل الغرض المهم بيان مدى مخالفة هؤلاء لأهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله، وسعيهم وراء التقليل من شأنهم والحطّ من مقامهم!!.

قال قدس سره: وتولّاه المأمون لعلمه بما هو عليه من الكمال والفضل.

الشرح:

هذا من الأمور الثابتة والقضايا الضرورية، ولو أمكن ابن تيمية إنكاره لفعل، لكنه سكت عنه ولم يتكلّم عليه بشيء. وقد جاء بعض ذلك في غير واحد ممّا تقدم من العبارات... وسنورد المزيد منها قريباً.

---

(١) حلية الأولياء ٨ / ٣٦٠.

(٢) المنتظم ١٠ / ٨٨.

(٣) لواقح الأنوار ١ / ٧٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٣٩.

(٥) طبقات الصوفية: ٨٣.

(٦) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٤٣.

قضية زيد النار

قال قدس سره: ووعظ يوماً أخاه زيداً فقال له: يا زيد، ما أنت قائل لرسول الله إذا سفكت الدماء وأخفت السبيل وأخذت المال من غير حلّه، غرّك حمقاء أهل الكوفة! وقد قال رسول الله: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريّتها على النار....

الشرح:

زيد النار، كان يرى وجوب الخروج على السّلطة الحاكمة، فكان ممن خرج مع أبي السرايا ضدّ المأمون، وإنما قيل له (زيد النار) لإحراقه الدور وغيرها. ولمّا ظفر به المأمون عفا عنه وأرسله إلى الإمام الرضا عليه السلام، لكن الإمام حلف أن لا يكلّمه أبداً. راجع أخباره[1].

حديث: «إن فاطمة أحصنت...»

هذا الحديث أيضاً كذّب به ابن تيمية بل ادّعى الاتفاق على أنه كذب، وهذا نصّ عبارته: «والحديث الذي ذكره عن النبي صلّى الله عليه وآله عن فاطمة، وهو كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

ويظهر كذبه لغير أهل الحديث أيضاً، فإن قوله: (إن فاطمة أحصنت فرجها فحرّمها الله وذريتها على النار)، باطل قطعاً، فإن سارة أحصنت فرجها ولم يحرّم الله جميع ذريّتها على النار. قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾....

وأيضاً: فصفيّة عمّة رسول الله صلّى الله عليه وآله أحصنت فرجها، ومن ذريّتها محسن وظالم. وفي الجملة، اللّواتي أحصنّ فروجهنّ لا يحصي عددهنّ إلا الله عز وجلّ، ومن ذريّتهنّ البرّ والفاجر والمؤمن والكافر.

وأيضاً: ففضيلة فاطمة ومزيّتها ليست بمجرد إحصان الفرج، فإن هذا تشارك فيه

---

(١) انظر: مقاتل الطّالبيين: ٤٣٦.

فاطمة وجمهور نساء المؤمنين، وفاطمة لم تكن سيدة نساء العالمين بهذا الوصف بل بما هو أخصّ منه، بل هذا من جنس حجج الرافضة، فإنهم لجهلهم لا يحسنون أن يحتجّوا ولا يحسنون أن يكذبوا.

وأيضاً: فليست ذريّة فاطمة كلّهم محرّمين على النار... فإن الرافضة رفضوا زيد بن علي بن الحسين ومن والاه وشهدوا عليه بالكفر والفسق، بل الرافضة أشدّ الناس عداوة -إمّا بالجهل وإما بالعناد- لأولاد فاطمة رضي الله عنها»[١].

أقول:

كيف يكون هذا الحديث كذباً باتفاق أهل المعرفة بالحديث وقد رواه:

الحاكم، والخطيب البغدادي، وأبو بكر البزار، وأبو يعلى الموصلي، والطبراني، وأبو نعيم، وابن حجر، والسيوطي، والمتقي الهندي... وغيرهم؟ وقال الحاكم: «صحيح»[٢]؟

وهذه فضيلة اختصّت بها سيّدة نساء العالمين، وإن شاركتها في الوصف المذكور غيرها من فضليات النساء.

قال المناوي: «(فحرّمها) أي بسبب ذلك الإحصان حرّمها (الله وذريّتها على النار) أي حرّم دخول النار عليهم.

فأمّا هي وأبناؤها، فالمراد في حقهم التحريم المطلق، وأمّا من عداهم فالمحرّم عليهم نار الخلود، وأمّا الدخول، فلا مانع من وقوعه للبعض للتطهير. هكذا فافهم. وقد ذكر أهل السير أن زيد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق -رضي الله عنهم- خرج على المأمون...» فذكر الخبر[٣].

---

(١) منهاج السنّة ٤ / ٦٢-٦٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٢.

(٣) فيض القدير -شرح الجامع الصغير ٢ / ٥٨٦-٥٨٧.

وقال الزرقاني بشرح (المواهب اللدنية): «وروي عن ابن مسعود ـ رفعه ـ: إنما سمّيت فاطمة بإلهام من الله لرسوله ـ إن كانت ولادتها قبل النبوة، وإن كانت بعدها فيحتمل بالوحي ـ لأن الله قد فطمها ـ من الفطم وهو المنع، ومنه فطم الصبي ـ وذريّتها عن النار يوم القيامة. أي: منعهم منها، فأمّا هي وابناها فالمنع مطلق، وأمّا من عداهم فالممنوع عنهم نار الخلود، فلا يمتنع دخول بعضهم للتطهير. ففيه بشرى لآله صلّى الله عليه وآله بالموت على الإسلام، وأنه لا يختم لأحد منهم بالكفر.

نظيره ما قاله الشريف السمهودي في خبر الشفاعة لمن مات بالمدينة، مع أنه يشفع لكلّ من مات مسلماً. أو: إن الله يشاء المغفرة لمن واقع الذنوب منهم إكراماً لفاطمة وأبيها صلّى الله عليه وآله. أو: يوفقهم للتوبة النصوح ولو عند الموت ويقبلها منهم. أخرجه الحافظ الدمشقي ابن عساكر.

وروى الغساني والخطيب وقال: فيه مجاهيل، مرفوعاً: (إنما سميت فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها من النار) ففيه بشرى عميمة لمن أحبها. وفيه التأويلات المذكورة.

وأمّا ما رواه أبو نعيم والخطيب: (أن علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصّادق سئل عن حديث: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريّتها على النار. فقال: خاصّ بالحسن والحسين). وما نقله الأخباريون عنه من توبيخه لأخيه زيد حين خرج على المأمون....

فهذا من باب التواضع والحثّ على الطاعات وعدم الاغترار بالمناقب وإن كثرت... وإلّا فلفظ ذريّة لا يخصّ بمن خرج من بطنها في لسان العرب ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ الآية..﴾ وبينهم وبينه قرون كثيرة، فلا يريد بذلك مثل علي الرضا مع فصاحته ومعرفته لغة العرب.

على أن التقييد بالطائع يبطل خصوصية ذريّتها ومحبّيها. إلا أن يقال: لله تعذيب الطائع، فالخصوصيّة أن لا يعذّبه إكراماً لها. والله أعلم.

والحديث الذي سئل عنه أخرجه أبو يعلى والطبراني والحاكم وصحّحه عن ابن مسعود، وله شواهد.

وترتيب التحريم على الإحصان من باب إظهار مزيّة شأنها في ذلك الوصف، مع الإلماح ببنت عمران، ولمدح وصف الإحصان، وإلا فهي محرّمة على النار بنصّ روايات أخر»[١].

روايات في فضل زيد بن علي

وأمّا «أن الرافضة رفضوا زيد بن علي بن الحسين» ففرية شنيعة كرّرها الرجل في كتابه على الإمامية... فإن الشيعة الإمامية تعظّم زيداً وتحترمه، وتروي عن النبي والأئمة المدح والثناء عليه.

كالحديث الذي رواه رئيس محدّثيهم الشيخ الصّدوق عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال للحسين: «يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يتخطّى هو وأصحابه رقاب الناس يدخلون الجنة بغير حساب»[٢].

وعن الصّادق عليه السلام أنه قال: «إن زيداً كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه»[٣].

وعن الرضا عليه السلام: «كان من علماء آل محمد، غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله»[٤].

وأمّا كلمات المدح والثناء والتعظيم من كبار علماء الطائفة فكثيرة جدّاً.

---

(١) شرح المواهب اللدنية ٣/ ٢٠٣.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢/ ٢٢٦.

(٣) رجال الكشي: ١٨٤.

(٤) عيون أخبار الرضا ٢/ ٢٢٥.

قال المفيد: «كان زيد بن علي بن الحسين عين أخوته بعد أبي جعفر عليه السلام، وكان ورعاً عابداً فقيهاً سخياً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين عليه السلام» ثم روى بأسانيده أخباراً في فضله وقال: «لما قتل بلغ ذلك من أبي عبد الله عليه السلام كلّ مبلغ، وحزن له حزناً شديداً عظيماً حتى بان عليه، وفرّق من ماله على عيال من أصيب مع زيد من أصحابه ألف دينار»[1].

قال قدس سره: والله ما نالوا ذلك إلا بطاعة الله، فإن أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعته، إنك إذاً لأكرم على الله منهم!

الشرح:

روى هذا الخبر المناوي عن أهل السير[2].

قال قدس سره: وضرب المأمون اسمه على الدراهم والدنانير، وكتب إلى الآفاق ببيعته، وطرح السواد ولبس الخضرة.

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأمّا ما ذكره من تولية المأمون له الخلافة فهذا صحيح، لكن ذلك لم يتم... ولم يجعله وليّ عهده»[3].

أقول:

جاء ذلك في كافة كتب التاريخ والسير، وقد تقدّم النقل عن بعضها.

وقال ابن الجوزي: «وفي هذه السنة جعل المأمون علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وليّ عهد المسلمين والخليفة من بعده، وسمّاه الرضي من آل محمد، وأمر جنده أن يطرح السواد ولبس ثياب الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق،

---

(١) الإرشاد ٢ / ١٧١ ـ ١٧٣.

(٢) فيض القدير ٢ / ٥٨٧.

(٣) منهاج السنة ٤ / ٦٤.

وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من رمضان هذه السنة. فكتب الحسن بن سهل إلى عيسى بن محمد يخبره أن أمير المؤمنين قد جعل علي بن موسى الرضي وليّ عهده، وذلك أنه نظر في بني العباس وبني علي، فلم يجد أحداً أفضل ولا أورع ولا أعلم منه، وأنه سماه الرضي من آل محمد، وأمر أن يأمر من قبله من الجند والقواد وبني هاشم بالبيعة له...» ثم ذكر نصّ العهد الذي كتبه المأمون بخطّه للإمام عليه السلام، وما كتبه الإمام، والشهادات على ذلك[١].

وقد جاء الخبر كذلك قبله في تاريخ الطبري[٢] وعنه في الكامل في التاريخ[٣].

وكذا هو في تاريخ ابن خلكان قال: «وجعله وليّ عهده، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وكان السبب في ذلك... أنه نظر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا، فبايعه...»[٤].

واختصر السيوطي الخبر فقال: «وجعل وليّ العهد من بعده علي الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق، حمله على ذلك إفراطه في التشيع، حتى قيل: إنه همّ أن يخلع نفسه ويفوّض الأمر إليه، وهو الذي لقّبه الرضا، وضرب الدراهم باسمه، وزوّجه ابنته، وكتب إلى الآفاق بذلك، وأمر بترك السواد ولبس الخضرة»[٥].

أقول: فانظر كيف ينكر الرجل الحقائق التاريخية، واحكم عليه بما يوجبه الحق!!

---

(١) المنتظم ١٠ / ٩٣ ـ ٩٩.

(٢) تاريخ الطبري ٨ / ٥٥٤.

(٣) الكامل لابن الأثير ٦ / ٣٢٦.

(٤) وفيات الأعيان ٣ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٥) تاريخ الخلفاء: ٣٠٧.

مدح أبي نؤاس الرضا عليه السلام

قال قدس سره: وقيل لأبي نؤاس لم لا تمدح الرضا عليه السلام؟ فقال:

قيل لي أنت أفضلُ الناس طُرّاً ... في المعاني وفي الكلام البديهِ

الشرح:

قال ابن تيمية: «القوم جهّال بحقيقة المناقب والمثالب والطرق التي يعلم بها ذلك، ولهذا يستشهدون بأبيات أبي نؤاس، وهي لو كانت صدقاً لم تصلح أن تثبت فضائل شخص بشهادة شاعر معروف بالكذب والفجور الزائد الذي لا يخفى على من له أدنى خبرة بأيام الناس، فكيف والكلام الذي ذكره فاسد، فإنه قال:

قلت لا أستطيع مدح إمام ... كان جبريل خادماً لأبيه!

ومن المعلوم أن هذا وصف مشترك بين جميع من كان من ذريّة الرسل... فإن الناس كلّهم من ذريّة نوح ومن ذريّة آدم...»[1].

أقول:

أوّلاً: هل جميع الذين يستند ابن تيمية إلى أقوالهم من شعر وغير شعر في هذا الكتاب وغيره، وكذا غيره من علماء طائفته، عدول مبرّءون من كلّ ذنب وعيب؟! لماذا يتناسى الرجل استشهاده بكلام أبي سفيان الكافر، وبقول حُذّاق المنافقين؟!

ثانياً: إن الإماميّة لا يثبتون مناقب أئمتهم وفضائلهم بالاستناد إلى شعر هذا وذاك، بل هم في غنىً عن ذلك بالأدلّة القويمة من الكتاب الكريم والسنّة الصحيحة المتفق عليها، وسيأتي قسم منها في كتابنا إن شاء الله تعالى.

وثالثاً: إن المعاني التي يتضمّنها هذا الشعر وأمثاله، إنما هي أخبار وآثار واردة، وليست بقضايا قد أنشأها الشاعر من عند نفسه، فالاستشهاد في الحقيقة إنما هو

---

(١) منهاج السنّة ٤ / ٦٥ ـ ٦٦.

بالحديث الذي تضمّنه الشعر، ولا سيما إذا كان قائله من رواة الحديث أيضاً.

ورابعاً: إن هذا الشعر وغيره ممّا قاله أبو نؤاس في مدح الإمام الرضا عليه السلام، مذكور بترجمة الإمام ولغرض المدح له، من قبل كبار العلماء الأجلاء المتقدّمين على العلّامة رحمه الله والمعاصرين له والمتأخرين عنه كما سنرى، فلولا صحة الإستشهاد به عندهم، قولاً وقائلاً، لما كان ذلك منهم يقيناً.

وخامساً: إن السبب الحقيقي لكلام الرجل هذا ـ ومع الالتفات إلى الوجوه التي ذكرناها ـ هو: إن أبا نؤاس من الشعراء المحبّين لأهل البيت عليهم السّلام، وأشعاره في الإمام الرضا وآبائه تدلّ على مدح عظيم لهم، وابن تيمية يكره المحبّ لأهل البيت المتجاهر بالمدح لهم... وأمّا ما اشتهر عن أبي نؤاس من المجون والخلاعة، فقد ذكروا أنه في الأغلب مما لا أصل له، على أن ذلك لو كان، فقد كان في أوّل العمر، وقد ثبت عنه التوبة في آخره كما نصّ عليه ابن الجوزي.

ترجمة أبي نؤاس

وهو: الحسن بن هاني، ولد بالأهواز أو البصرة في سنة ١٣٦، أو ١٤٥، وتأدّب على أبي زيد وأبي عبيدة، وقرأ كتاب سيبويه ولزم خلف الأحمر، وصحب يونس بن حبيب الجرمي النحوي، وتلا القرآن على يعقوب.

وروى الحديث عن: أزهر بن سعد، وحمّاد بن زيد، وحمّاد بن سلمة، وعبد الواحد بن زياد، ومعتمر بن سليمان، ويحيى القطان.

وحدّث عنه جماعة من الأئمة ومشاهير العلماء، منهم: الشافعي، وأحمد بن حنبل، وغندر. وكان يقال: الشافعي شاعر غلب عليه الفقه، وأبو نؤاس فقيه غلب عليه الشعر.

وقد أثنى عليه غير واحد من كبار الأدباء والمتكلّمين، كالأصمعي والجاحظ

والنظام، ونظمه في الذروة، وهو في الطبقة الأولى من المولّدين، وشعره عشرة أنواع وهو مجيد في العشرة.

وقد اعتنى بشعره جماعة من الفضلاء منهم: أبو بكر الصّولي، وقال يعقوب بن السكّيت: «إذا رويت الشعر عن امرئ القيس والأعشى من أهل الجاهليّة، ومن الإسلاميين جرير والفرزدق، ومن المحدثين عن أبي نؤاس، فحسبك».

ثم إنه اتصل بالخلفاء والوزراء وعاشرهم ومدحهم، ولمّا كانت الخلاعة والمجون كثيرة عندهم، فقد اتخذ شعره تلك الصبغة، حتى نقلت عنه أشياء كثيرة لا حقيقة لها.

ولابن منظور الإفريقي صاحب لسان العرب جزء في أخبار أبي نؤاس، وهو الثالث من مختار الأغاني المطبوع في دمشق، وقد صدر بمقدّمة جيّدة بيّن فيها أن أغلب ما ينسب إلى أبي نؤاس من المجون والخلاعة كذب ملفّق لا تصح نسبته إليه بحجج ناصعة وأدلّة واضحة، وممّا يشهد بذلك استماع كبار الأئمة لأشعاره المختلفة، فقد أنشدوا سفيان بن عيينة قول أبي نؤاس:

ما هوىً إلا له سببُ	يَبتدي منه وينشعبُ
فتنت قلبي محجبّة	وجهها بالحسن منتقب
خلّته والحسن تأخذه	تنتقي منه وتنتخب
فاكتست منه طرائفه	واستردّت بعض ما تهب
فهي لو صيّرتْ فيه لها	عودةً لم يُثْنها إرب
صار جدّاً ما مزحت به	ربّ جِدٍّ جرّه اللّعب

فقال ابن عيينة: «آمنت بالذي خلقها».

وعن ثعلب قال: «دخلت على أحمد بن حنبل فقال: في أيّ شيء نظرت من العلوم؟ فقلت: في اللّغة والشعر. قال: رأيت بالبصرة جماعة يكتبون عن رجل الشعر،

قيل لي هذا أبو نؤاس، فتخلّلت الناس ورائي فلما جلست إليه أملى علينا:

إذا ما خلوتَ الدهر يوماً فلا تقل ... خلوتُ ولكن في الخلاء رقيب

ولا تحسبنّ اللّه يغفل ساعة ... ولا آثماً يخفى عليه يغيب

لهونا عن الآثام حتى تتابعت ... ذنوبٌ على آثارهنّ ذنوب

فيا ليت أن اللّه يغفر ما مضى ... ويأذن في توباتنا فنتوب»

وعن الشافعي قال: دخلنا على أبي نؤاس في اليوم الذي مات فيه وهو يجود بنفسه، فقلنا: ما أعددت لهذا اليوم؟ فأنشأ يقول:

تعاظمني ذنبي فلمّا قرنته ... بعفوك ربّي كان عفوك أعظما

وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منّةً وتكرُّما

ولولاك لم يغو بإبليس عابد ... وكيف وقد أغوى صفيّك آدما»

ولقي شعبة أبا نؤاس فقال له: «يا حسن حدّثنا من طرفك. فقال:

حدّثنا الخفاف عن وائل ... وخالد الحذّاء عن جابر

ومسعرٌ عن بعض أصحابه ... يرفعه الشيخ إلى عامر

قالوا جميعاً أيما طفلة ... عُلّقها ذو خُلُقٍ طاهر

فواصلته ثمّ دامت له ... على وصال الحافظ الذاكر

كانت لها الجنّة مفتوحة ... ترتع في مرتعها الزاهر

وأيّ معشوق جفا عاشقاً ... بعد وصال دائم ناضر

ففي عذاب اللّه بعداً له ... وسحقٌ دائم وداحر

فقال له شعبة: إنك لجميل الأخلاق، وإني لأرجو لك».

وقال ابن خلكان: «وما أحسن ظن أبي نؤاس بربّه عز وجلّ حيث يقول:

تكثّر ما استطعتَ من الخطايا ... فإنك بالغ ربّاً غفورا

ستبصر إن وردت عليه عفواً ... وتلقى سيّداً ملكاً كبيرا

تــــعضّ نــــدامــة كــفّيك ممّا تــركت مــخافة النــار سـروراً»

وتوفي أبو نؤاس ببغداد سنة خمس أو ست أو ثمانية وتسعين ومائة.

روى الخطيب بإسناده عن محمد بن نافع قال: «كان أبو نؤاس لي صديقاً، فوقعت بيني وبينه هجرة في آخر عمره، ثم بلغني وفاته فتضاعف علي الحزن، فبينا أنا بين النائم واليقظان إذا أنا به.

فقلت: أبو نؤاس؟

قال: لات حين كنية.

قلت: الحسن بن هاني؟

قال: نعم.

قلت: ما فعل الله بك؟

قال: غفر لي بأبيات قلتها هي تحت ثني وسادتي.

فأتيت أهله، فلما أحسّوا بي أجهشوا بالبكاء، فقلت لهم: هل قال أخي شعراً قبل موته؟ قالوا: لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئاً لا ندري ما هو. قلت: ائذنوا لي أدخل، قال: فدخلت إلى مرقده، فإذا ثيابه لم تحرّك بعد، فرفعت وسادة لم أر شيئاً، ثم رفعت أخرى فإذا برقعة فيها مكتوب:

يا ربّ إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذي يدعو ويرجو المجرم

أدعوك ربّ كما أمرت تضرّعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

ما لي إليك وسيلة إلا الرّجا وجميل عفوك ثم إني مسلم»

أقول:

هذه ترجمة أبي نؤاس بإيجاز، وهي تفيد في مجملها: أن الرجل كان فقيهاً محدّثاً عالماً أديباً، وقد كانت تصدر منه أشياء، ولكن لم يكن بحيث يهجره الأئمة عليهم

السّلام والفقهاء وأهل العلم والدّين ويقاطعونه، ثم إنه قد تاب من ذلك حتى قال ابن الجوزي: «لا أوثر أن أذكر أفعاله المذمومة، لأني قد ذكرت عنه التوبة في آخر عمره، وإنما كان لعبه في أول العمر»(١).

شعر أبي نؤاس في مدح الإمام الرضا عليه السلام

وقد ذكروا له شعراً كثيراً في مدح الإمام الرضا عليه السلام، فمن ذلك ما أورده العلامة رحمه الله، قال ابن الجوزي: «فقال الصولي: ومدحه أبو نؤاس فقال:

قيل لي أنت واحد الناس في كلّ ... في كلّ كلام من المقال بديهِ

لك في جوهر الكلام بديع ... يثمر الدرّ في يدي مجتنيهِ

فعلى مَ تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمّعن فيهِ

قلت: لا اهتدي لمدح إمام ... كان جبريل خادماً لأبيهِ»(٢)

وقال الذهبي: «ولأبي نؤاس في علي رحمة الله عليه:

قيل لي أنت أحسن الناس طرّاً ... في فنون من المقال النبيه

لك من جيّد القريض مديح ... يثمر الدرّ في يدي مجتنيه

فعلى مَ تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمّعن فيه

قلت: لا أستطيع مدح إمام ... كان جبريل خادماً لأبيه»(٣)

وقال الذهبي: «قال الصّولي: حدّثنا أحمد بن يحيى أن الشعبي قال: أفخر بيت قيل: قول الأنصار في بدر:

---

(١) تاريخ بغداد ٧ / ٤٣٦، المنتظم ١٠ / ١٦، وفيات الأعيان ١ / ٣٧٣، تاريخ ابن كثير ١٠ / ٢٢٧، سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٧٩ ـ ولاحظ الهامش ـ الوافي بالوفيات ١٢ / ٢٨٣ وغيرها.

(٢) المنتظم ١٠ / ١٢٠.

(٣) تاريخ الإسلام ١٣ / ٥١٣ و ١٤ / ٢٧١.

وبشر بدر إذ يردّ وجوههم　　　جبريل تحت لوائنا ومحمد

ثم قال الصولي: أفخر منه قول الحسن بن هانئ في علي بن موسى الرضا:

قيل لي أنت واحد الناس في كلّ كلام...» إلى آخر الأبيات[١].

وأوردها أيضاً الصفدي في الوافي[٢]، وابن طولون[٣].

وقال ابن خلكان[٤] وكذا ابن طولون:

«وكان سبب قوله هذه الأبيات أن بعض أصحابه قال له: ما رأيت أوقح منك، ما تركت خمراً ولا طرداً ولا معنى إلا قلت فيه شيئاً، وهذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً. فقال: والله ما تركت ذلك إلا إعظاماً له، وليس يقدر مثلي أن يقول في مثله، ثم أنشد بعد ساعة هذه الأبيات».

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري في تاريخ نيسابور، وعنه الحافظ الحمويني الجويني بإسناده قال: «أنبأني الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس بن الزجّاج، أنبأنا القاضي جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل، أنبأنا محمد بن الفضل أبو عبد الله وأبو القاسم زاهر بن طاهر إجازة قالا: أنبأنا الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين قال: أنبأنا الإمام الحاكم البيّع قال: حدثني علي بن محمد المذكّر قال: حدّثنا محمد بن علي الفقيه قال: حدّثنا الحسين بن إبراهيم، قال: أنبأنا علي بن إبراهيم عن أبيه قال: حدّثنا أبو الحسين محمد بن يحيى الفارسي قال: نظر أبو نؤاس إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا ذات يوم، وقد خرج من عند الخليفة، على بغلة له، فدنا منه أبو نؤاس وسلّم عليه وقال: يا ابن رسول الله، قد قلت أبياتاً فأحبّ أن تسمعها مني. قال:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٨٨.

(٢) الوافي بالوفيات ٢٢ / ١٥٥.

(٣) الأئمة الاثنا عشر: ٩٩.

(٤) وفيات الأعيان ٣ / ٢٧٠ ـ ٢٧١.

هات. فأنشأ أبو نؤاس يقول:

مــطهَّرون نــقيّات ثــيابهم تجري الصّلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر
واللّــه لمّا بدا خلقاً فأتقنه صفَّاكم واصطفاكم أيها البشر
وأنتم الملأ الأعلى وعندكم علمُ الكتاب وما جاءت به السورُ

فقال الرضا: قد جئت بأبيات ما سبقك إليها أحد. ثم قال: يا غلام هل معك من نفقتنا شي؟ فقال: ثلاثمائة دينار. فقال: أعطها إياه. ثم قال: لعلّه استقلّها. يا غلام سق إليه البغلة»[١].

وقد ذكر هذا الشعر أيضاً ابن خلكان[٢] وابن طولون[٣] قالا: «وله ذكر في شذور العقود».

وقال الصفدي: «وفيه يقول أيضاً: مطهّرون نقيّات جيوبهم...» إلى آخرها[٤].

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري، وعنه الحمويني الجويني، بإسناده عن الصّولي عن المبرد قال: «خرج أبو نؤاس ذات يوم من داره، فبصر براكب قد حاذاه فسأل عنه ولم ير وجهه فقيل: إنه علي بن موسى الرضا، فأنشأ يقول:

إذا أبصرتك العين من بعد غاية وعارض فيك الشك أثبتك القلب
ولو أن قوماً أمّموك لقادهم نسيمك حتى يستدلّ به الركب»[٥]

ثم قال الصولي: «أفخر منه قول الحسن بن هانئ في علي بن موسى الرضا:

---

(١) فرائد السمطين ٢ / ٢٠٠.

(٢) وفيات الأعيان ٣ / ٢٧١.

(٣) الأئمة الاثنا عشر: ٩٩.

(٤) الوافي بالوفيات ٢٢ / ١٥٥.

(٥) فرائد السمطين ٢ / ٢٠٢.

قيل لي أنت واحد الناس في كلّ كلام...» إلى آخر الأبيات[1].

وأوردها أيضاً الصفدي في الوافي[2]، وابن طولون[3].

وقال ابن خلكان[4] وكذا ابن طولون: «وكان سبب قوله هذه الأبيات أن بعض أصحابه قال له: ما رأيت أوقح منك! ما تركت خمراً ولا طرداً ولا معنى إلا قلت فيه شيئاً، وهذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً. فقال: والله ما تركت ذلك إلا إعظاماً له، وليس يقدر مثلي أن يقول في مثله، ثم أنشد بعد ساعة هذه الأبيات.

الإمام محمد الجواد عليه السلام

قال قدس سره: وكان ولده محمد الجواد عليه السلام على منهاج أبيه....

الشرح:

قال الحافظ سبط ابن الجوزي: «فصل في ذكر ولده محمد الجواد... وكان على منهاج أبيه في العلم والتقى والجود»[5].

وقال الصفدي: «كان من سرواة آل بيت النبوة، زوّجه المأمون بابنته... وقد قدم على المعتصم فأكرمه وأجلّه...، وكان من الموصوفين بالسخاء، ولذلك لقّب بالجواد، وهو أحد الأئمة الاثني عشر»[6].

وقال الذهبي: «كان يلقّب بالجواد وبالقانع وبالمرتضى. وكان من سرواة آل بيت

---

(١) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٨٨.

(٢) الوافي بالوفيات ٢٢ / ١٥٥.

(٣) الأئمة الإثنا عشر: ٩٩.

(٤) وفيات الأعيان ٣ / ٢٧٠.

(٥) تذكرة خواص الأمة: ٣٥٨، وسبط ابن الجوزي فقيه حافظ مفسر واعظ مؤرخ، توجد ترجمته في: وفيات الأعيان ٢ / ١٥٣، ١٤٢، والعبر حوادث: ٦٥٤، طبقات المفسرين ٢ / ٣٨٢ وغيرها.

(٦) الوافي بالوفيات ٤ / ٧٩.

النبي صلّى الله عليه وآله...، وكان أحد الموصوفين بالسخاء، ولذلك لقب بالجواد»[١].

وكان عليه السلام يروي الحديث عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكان يُرجع إليه في معاني الأخبار وحقائق الأحكام، وقد روى الخطيب وغيره بترجمته عدّة من ذلك[٢].

وحكى الشيخ محمود الشيخاني القادري أنه قد وقع لبعض الخلفاء أنه لما مرض نذر على نفسه إن وهب الله له العافية أن يتصدّق بمال كثير، مبهماً، فعوفي، فأحضر الفقهاء واستفتاهم عن مقدار مال كثير، فكلّ قال شيئاً. فقال محمد الجواد: إن كنت نويت الدنانير فتصدّق بثمانين ديناراً، أو الدراهم فتصدّق بثمانين درهماً. فقال الفقهاء: ما نعرف هذا في الكتاب ولا السنّة. فقال محمد الجواد: بلى، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ والنصر من أقسام العافية، فعدّوا وقائع رسول الله صلّى الله عليه وآله، فإذا هي ثمانون[٣].

هذا، وأخباره وقضاياه الدالّة على تفوّقه في العلم والتقى والجود كثيرة، إلا أن القوم لا يذكرون ذلك في كتبهم لئلا يعرف أئمة أهل البيت عليهم السّلام وتشتهر أحوالهم ومنازلهم... غير أنهم يصرحون: «وله حكايات وأخبار كثيرة»[٤]، بل إن كثيراً منهم لم يعنونوه في تواريخهم أصلاً!!

قصّة يحيى بن أكثم

قال قدس سره: ولما مات أبوه الرضا عليه السلام شغف به المأمون لكثرة

---

(١) تاريخ الإسلام ١٥ / ٣٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ٣ / ٥٤، الوافي بالوفيات ٤ / ١٠٦، الأئمة الإثنا عشر: ١٠٣.

(٣) الصراط السوي في مناقب آل بيت النبي ـ مخطوط.

(٤) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٥.

علمه ودينه ووفور عقله مع صغر سنّه.... وجعلوا ليحيى بن أكثم مالاً كثيراً على امتحانه في مسألة يعجزه فيها...فقال المأمون لأهل بيته: عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟! ثم أقبل على الإمام عليه السلام فقال: أتخطب؟ فقال: نعم. فقال: أخطب لنفسك خطبة النكاح. فخطب وعقد على خمسمائة درهم جياداً، مهر جدّته فاطمة عليها السلام، ثم تزوّج بها.

الشرح:

يحيى بن أكثم المروزي، قاضي القضاة، ترجموا له ووصفوه بالإمامة في الفقه والحديث، وذكروا أنه كان من أهل الشرب واللّواطة وغير ذلك من القبائح.

وأمّا في الحديث:

فعن يحيى بن معين: «كان يكذب».

وعن ابن راهويه: «ذاك الدجال».

وعن ابن الجنيد: «يسرق الحديث».

وعن أبي حاتم: «فيه نظر».

وذكروا أنه تولّى ديوان الصدقات على الأضرّاء ولم يعطهم شيئاً[١].

فهذا قاضي قضاتهم حسب تصريحاتهم!!

وأمّا القضية المذكورة، فهي من جملة قضاياه الثابتة التي لم ينقلها القوم ـ كما هي عادتهم ـ غير أن سبط ابن الجوزي أشار إليها وأسندها إلى الإمامية حيث قال:

«والإمامية تروي خبراً طويلاً فيه أن المأمون لما زوّجه كان عمر محمد الجواد سبع سنين وأشهر، وأنه هو الذي خطب خطبة النكاح، وأن العباسيين شغبوا على المأمون ورشوا القاضي يحيى بن أكثم حتى وضع مسائل ليخطّئ بها محمد الجواد

---

(١) راجع: الجرح والتعديل ٩ / ١٢٩، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٥، ميزان الاعتدال ٤ / ٣٦١ وغيرها.

ويمتحنه، وإن الجواد خرج عن الجميع، وهو حديث طويل ذكره المفيد في كتاب الإرشاد، والله أعلم»[١].

وهنا قال ابن تيمية: «وأمّا ما ذكره، فإنه من نمط ما قبله، فإن الرافضة ليس لهم عقل صريح ولا نقل صحيح، ولا يقيمون حقاً ولا يهدمون باطلاً، لا بحجّة وبيان ولا بيد وسنان، فإنه ليس فيما ذكره ما يثبت فضيلة محمد بن علي فضلاً عن ثبوت إمامته.

فإن هذه الحكاية التي حكاها عن يحيى بن أكثم من الأكاذيب التي لا يفرح بها إلا الجهّال، ويحيى بن أكثم كان أفقه وأعلم وأفضل من أن يطلب تعجيز شخص بأن يسأله عن محرم قتل صيداً، فإن صغار الفقهاء يعلمون حكم هذه المسألة، فليست من دقائق العلم ولا غرائبه، ولا مما يختصّ به المبرّزون في العلم، ثم مجرّد ما ذكره ليس إلا في تقسيم أحوال القاتل، ليس فيه بيان حكم هذه الأقسام، ومجرّد التقسيم لا يقتضي العلم بأحكام الأقسام»[٢].

أقول: ما أكثر المطالب التي كذّبها الرجل بصراحة وأثبتناها، والحمد لله.

ودلالة هذه القضيّة على كونه عليه السلام أعلم وأفقه من قاضي قضاتهم، واضحة لا ينكرها إلا مكابر... والأعلميّة المطلقة تقتضي الإمامة المطلقة كما لا يخفى.

ثم إن العلّامة رحمه الله قد اختصر الخبر، ولو راجع ابن تيمية (الإرشاد) للمفيد البغدادي أو غيره من الكتب، لوجد فيه بيان حكم الأقسام بطلب من المأمون، وأنه سأل بعد ذلك ـ بطلب منه كذلك ـ يحيى بن أكثم عن مسألة، فاعترف يحيى بجهله بها، وطلب من الإمام عليه السلام بيانها... ونحن نحيل القارئ إلى الكتاب المذكور لئلّا يطول بنا المقام[٣].

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٥٩.

(٢) منهاج السنّة ٤ / ٦٩.

(٣) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ٢ / ٢٨١.

الإمام علي الهادي عليه السلام

قال قدس سره: وكان ولده علي الهادي عليه السلام، ويقال له العسكري....

الشرح:

قال الخطيب: «أشخصه جعفر المتوكّل على الله من مدينة رسول الله إلى بغداد، ثم إلى سرّ من رأى، فقدمها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر»[(١)].

وقال سبط ابن الجوزي: «وإنما نسب إلى العسكري، لأن جعفر المتوكّل أشخصه من المدينة إلى بغداد، إلى سرّ من رأى، فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر، ويلقّب بالمتوكل والنقي»[(٢)].

وقال ابن خلكان: «ولما كثرت السعاية في حقّه عند المتوكل، أحضره من المدينة وكان مولده بها، وأقرّه بسرّ من رأى، وهي تدعى بالعسكر، لأن المعتصم لمّا بناها انتقل إليها بعسكره فقيل لها العسكر، ولهذا قيل لأبي الحسن المذكور العسكري؛ لأنه منسوب إليها، فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر»[(٣)].

وقال ابن حجر المكي: «سمي العسكري لأنه أشخص من المدينة النبوية إلى سرّ من رأى، وأسكن بها، وكانت تسمى العسكر، فعرف بالعسكري»[(٤)].

ما لاقاه من المتوكّل

قال قدس سره: وإنما أشخصه المتوكل لأنه كان يبغض علياً عليه السلام....

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ / ٥٦.

(٢) تذكرة خواص الأمة: ٣٥٩.

(٣) وفيات الأعيان ٣ / ٢٧٣.

(٤) الصواعق المحرقة: ١٢٤.

الشرح:

وهذا مشهور لا ينازع فيه أحد، وهو الذي هدم قبر الحسين عليه السلام وما حوله من الدور، وأمر أن يزرع، ومنع الناس من زيارته[١] فقال البسامي أبياتاً منها:

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا   في قتله فتتبعوه رميما

وقال الذهبي: «وكان المتوكّل فيه نصب وانحراف»[٢].

وقال ابن الأثير في حوادث ٢٣٦: «في هذه السنة، أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فنادى عامل صاحب الشرطة بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة أيام حبسناه في المطبق. فهرب الناس وتركوا زيارته، وحرث [خرّب] وزرع.

وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولّى علياً وأهله بأخذ المال والدم.

وكان من جملة ندمائه عبادة المخنّث، وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّة ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنّون: قد أقبل الأصلع البدين، خليفة المسلمين! يحكي بذلك علياً عليه السلام!والمتوكل يشرب ويضحك»[٣].

والعجب أنه مع ذلك يصفه بعضهم قائلاً: «استُخلِف المتوكل فأظهر السنّة وتكلّم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وبسط السنة ونصر أهلها»[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٧ / ٣٦٥، الكامل لابن الأثير ٧ / ٥٥، البداية والنهاية ١٠ / ٣٤٧، تاريخ الخلفاء: ٣٤٧، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٣٥ وغيرها.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٥.

(٣) الكامل في التاريخ ٧ / ٥٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣١ عن بعضهم.

ولعلّهم يريدون من «السنّة» القول بقدم القرآن.

وقال السيوطي بعد خبر: «استفدنا من هذا أن المتوكل كان متمذهباً بمذهب الشافعي، وهو أوّل من تمذهب من الخلفاء»[١].

ثم الأعجب ما جاء فيه ـ بعد حكاية ما فعل بابن السكيت وقصته مشهورة ـ: «وكان المتوكل رافضياً»[٢].

لكني لا أستبعد أن يكون التحريف من النسّاخ أو الناشرين للكتاب.

قال قدس سره: فبلغه مقام علي بالمدينة وميل الناس إليه فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمة، فأمره بإشخاصه، فضج أهل المدينة لذلك خوفاً عليه....

الشرح:

وشهد كثير من المخالفين له عليه السلام بفقهه وورعه وعبادته.

قال اليافعي: «كان الإمام علي الهادي متعبّداً فقيهاً إماماً»[٣].

وبمثله قال ابن العماد الحنبلي[٤].

وقال ابن كثير: «قد كان عابداً زاهداً»[٥].

وذكر كثيرون منهم إشخاص المتوكل إيّاه من المدينة المنورة إلى العراق، إلا أنهم ـ مع تصريحهم بنصب المتوكل ـ يحاولون التغطية على قبائحه وستر مظالمه، فلا يذكرون تفصيل القضايا، ففي تاريخ اليعقوبي:

«وكتب المتوكل إلى علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد

---

(١) تاريخ الخلفاء: ٣٥٢.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٣٤٩.

(٣) مرآة الجنان ٢ ـ ١٦٠.

(٤) شذرات الذهب ٢ / ١٢٨.

(٥) البداية والنهاية ١١ / ١٩.

في الشخوص من المدينة، وكان عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي قد كتب يذكر أن قوماً يقولون إنه الإمام، فشخص عن المدينة، وشخص يحيى بن هرثمة معه، حتى صار إلى بغداد، فلما كان بموضع يقال له الياسرية نزل هناك. وركب إسحاق بن إبراهيم لتلقيه، فرأى تشوق الناس إليه واجتماعهم لرؤيته، فأقام إلى الليل، ودخل به اللّيل فأقام ببغداد بعض تلك الليلة، ثم نفذ إلى سرّ من رأى»[1].

وقد وجدت الخبر كما شرحه العلاّمة رحمه اللّه، في كتاب (تذكرة خواصّ الأمة)، وصاحبه حنفي المذهب ومن المتقدّمين عليه، فإنه قال:

«قال علماء السير: وإنما أشخصه المتوكل من مدينة رسول اللّه إلى بغداد، لأن المتوكل كان يبغض عليّاً وذريّته، فبلغه مقام علي بالمدينة وميل الناس إليه، فخاف منه، فدعى يحيى بن هرثمة وقال: إذهب إلى المدينة، وانظر في حاله وأشخصه إلينا.

قال يحيى: فذهبت إلى المدينة، فلما دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله، خوفاً على علي، وقامت الدنيا على ساق، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا. قال يحيى: فجعلت أسكّنهم وأحلف لهم أني لم أؤمر فيه بمكروه وأنه لا بأس عليه. ثم فتّشت منزله فلم أجد فيه إلّا مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني وتولّيت خدمته بنفسي وأحسنت عشرته.

فلمّا قدمت به بغداد بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري ـ وكان والياً على بغداد ـ فقال لي: يا يحيى، إن هذا الرجل قد ولّده رسول اللّه، والمتوكّل من تعلم، فإن حرّضته عليه قتله، وكان رسول اللّه خصمك يوم القيامة. فقلت له: واللّه ما وقفت منه إلا على كلّ أمر جميل.

ثم صرت به إلى سرّ من رأى، فبدأت بوصيف التركي، فأخبرته بوصوله، فقال:

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٨٤.

والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك. فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق.

فلمّا دخلت على المتوكل سألني عنه، فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقته وورعه وزهادته، وأني فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم، وأن أهل المدينة خافوا عليه. فأكرمه المتوكل وأحسن جائزته وأجزل برّه وأنزله معه سرّ من رأى»[1].

قال قدس سره: ثم مرض المتوكل، فنذر إن عوفي تصدق بدراهم كثيرة، فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جواباً، فبعث إلى علي الهادي عليه السلام يسأله فقال: تصدق بثلاثة وثمانين درهماً....

الشرح:

قال الخطيب البغدادي الحافظ: «أخبرني الأزهري، حدّثنا أبو أحمد عبيد الله ابن محمد المقرئ، حدّثنا محمد بن يحيى النديم، حدّثنا الحسين بن يحيى قال: اعتل المتوكل في أول خلافته، فقال: لئن برئت لأتصدّقن بدنانير كثيرة، فلما برئ جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك، فاختلفوا، فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله. فقال: يتصدّق بثلاث وثمانين ديناراً. فعجب قوم من ذلك، وتعصّب قوم عليه، وقالوا: تسأله ـ يا أمير المؤمنين ـ من أين له هذا؟ فردّ الرسول إليه فقال له:

قل لأمير المؤمنين: في هذا الوفاء بالنذر، لأن الله تعالى قال ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ فروى أهلنا جميعاً أن المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً، وأن يوم حنين كان الرابع والثمانين. وكلّما زاد أمير المؤمنين من فعل الخير كان أنفع له، وأُجر عليه في الدنيا والآخرة»[2].

ورواه الحافظ ابن الجوزي عن أبي منصور القزاز عن الخطيب بإسناده كذلك[3].

---

(١) تذكرة خواص الأمة: ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٢ / ٥٦ ـ ٥٧.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٢ / ٧٤.

ورواه الصفدي بترجمته عليه السلام كذلك[١].

ورواه غير هؤلاء.

قال قدس سره: قال المسعودي: نُمي إلى المتوكل بعلي بن محمد أن في منزله سلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنه عازم على الملك، فبعث إليه....

الشرح:

هذا الخبر مذكور في كثير من الكتب: كمروج الذهب ـ وعنه الحافظ سبط ابن الجوزي في التذكرة ـ ووفيات الأعيان[٢]، وقد أرسله إرسال المسلَّم. وكذا الوافي بالوفيات ٢٢/ ٧٢، والأئمة الإثناء عشر لابن طولون ١٠٧، والبداية والنهاية لابن كثير ١٦/ ١٥، والمختصر في أخبار البشر ٤/ ٤٤.

ورواه المتأخرون كصاحب الاتحاف بحب الأشراف ٢٠٠ قال: «قال بعض الثقات...».

قال ابن تيمية: بعد أن أورد كلام العلامة قال: «هذا الكلام من جنس ما قبله، لم يذكر منقبة بحجة صحيحة، بل ذكر ما يعلم العلماء أنه من الباطل، فإنه ذكر في الحكاية أن والي بغداد كان إسحاق بن إبراهيم الطائي، وهذا من جهله، فإن إسحاق بن إبراهيم هذا خزاعي....

وأمّا الفتيا التي ذكرها من أن المتوكل نذر إن عوفي يتصدّق... فهذه الحكاية أيضاً تحكى عن علي بن موسى مع المأمون، وهي دائرة بين أمرين، إمّا أن تكون كذباً، وإمّا أن تكون جهلاً ممن أفتى بذلك، فإن قول القائل: له علي دراهم كثيرة، أو والله لأعطينّ فلاناً دراهم كثيرة، أو لأتصدقنّ دراهم كثيرة، لا يحمل على ثلاث وثمانين، عند أحد من علماء المسلمين، والحجة المذكورة باطلة لوجوه:

---

(١) الوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٨.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٧٢.

أحدها: إن قول القائل: إن المواطن كانت سبعاً وعشرين غزاة وستا وخمسين سرية ليس بصحيح، فإن النبي صلّى الله عليه وآله لم يغز سبعاً وعشرين غزاة باتفاق أهل العلم بالسير، بل أقلّ من ذلك.

الثاني: إن هذا الآية نزلت يوم حنين، والله قد أخبر بما كان قبل ذلك، فيجب أن يكون ما تقدم قبل ذلك مواطن كثيرة....

الثالث: إن الله لم ينصرهم في جميع المغازي، بل يوم أحد تولّوا....

الرابع: إنه بتقدير أن يكون المراد بالكثير في الآية ثلاثاً وثمانين، فهذا لا يقتضي اختصاص هذا القدر بذلك، فإن لفظ الكثير لفظ عام....

الخامس:... إن القلّة والكثرة أمر إضافي... والخليفة يحمل الكثير منه على ما لا يحمل الكثير من آحاد العامة....

والحكاية التي ذكرها عن المسعودي منقطعة الإسناد، وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله تعالى...»[1].

أقول: يتلخّص المهم من كلام الرجل هنا في أمور:

الأول: الاعتراض على العلامة في وصفه (إسحاق بن إبراهيم) بـ(الطائي)، مع أنه (خزاعي).

والثاني: إن الفتيا المذكورة تحكى عن علي بن موسى الرضا مع المأمون، وهي إمّا كاذبة وإمّا جهل، لأن العدد المذكور فيها ليس مطابقاً للواقع.

والثالث: الحكاية المذكورة عن تاريخ المسعودي كذب.

والجواب أمّا عن الأول، فإنه يبتني على وجود كلمة (الطائي) في كتاب (منهاج الكرامة) لكن الكلمة في نسختنا (الظاهري) وفي تذكرة خواص الأمة (الظاهري) وقد

---

(١) منهاج السنة ٤ / ٧٩ ـ ٨٤.

ذكر في هامش (منهاج السنة) أن في بعض نسخ (منهاج الكرامة) هو الإسم (إسحاق بن إبراهيم) فقط، فلا هذا ولا ذاك ولا الطائي... فما الحامل لأن يتشبث الرجل بتلك الكلمة إلا العناد؟

وأمّا عن الثاني، فإن هذه الفتيا، سواء كانت من الإمام الهادي كما عرفت، أو الرضا كما يدعي الرجل، أو غيرهما من الأئمة عليهم السّلام كما تقدم عن بعض الكتب ـ قد صدرت من (أهل البيت) الذي هم (أدرى بما في البيت) حكماً أو واقعة، فيجب القبول والتسليم، كما حصل من فقهاء ذلك العصر، وحينئذ، لا يسمع مكابرة فيه أو تشكيك من زيد أو عمرو!!

وقوله: «فإن النبي لم يغز سبعاً وعشرين غزاة باتفاق أهل العلم بالسير» كذب وباطل.

قال الحافظ ابن سيد الناس: «ذكر الخبر عن عدد مغازي رسول الله صلّى الله عليه وآله وبعوثه: روينا عن ابن سعد قال: أنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، ثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي، وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، ومحمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخي الزهري، وموسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود، وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الزهري، ويحيى بن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري، وربيعة بن عثمان بن عبد الله بن الهدير التيمي، وإسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة الأشهلي، وعبد الحميد بن جعفر الحكمي، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ومحمد بن صالح التمار.

قال ابن سعد: وأنا رويم بن يزيد المقرئ، ثنا هارون بن أبي عيسى، عن محمد بن إسحاق قال: وأنا حسين بن محمد، عن أبي معشر. قال: وأنا إسماعيل بن عبد الله بن أويس المدني، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمه موسى بن عقبة، دخل حديث بعضهم في حديث بعض.

قالوا: كان عدد مغازي رسول الله صلّى الله عليه وآله التي غزا بنفسه سبعاً وعشرين»[١].

وقال الحلبي: «باب ذكر مغازيه صلّى الله عليه وآله ذكر أن مغازيه، أي: وهي التي غزا فيها بنفسه كانت سبعاً وعشرين» ثم عددها[٢].

وقال القسطلاني: «فجمع سراياه وبعوثه نحو ستين ومغازيه سبع وعشرون»[٣].

هذا، ولا يخفى أن الإمام عليه السلام قال بعد ذلك: «وكلّما زاد أمير المؤمنين من فعل الخير، كان أنفع له وأجرٌ عليه في الدنيا والآخرة».

وأما عن الثالث، فوجوه:

١ ـ هذا الخبر رواه غير المسعودي من العلماء والمؤرخين، ممن لا يتهمهم هذا الرجل.

٢ ـ وفي (مروج الذهب) أكاذيب، كغيره من كتب التاريخ والحديث، حتى الموصوفة بالصحة والمشهورة بالاعتماد، لكن هذا الخبر رواه غير المسعودي أيضاً، مضافاً إلى القرائن الدالّة على صحّته، وقد وجدت الأبيات في كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة، المتوفى سنة ٢٧٦، أي قبل المسعودي بعشرات السنين، قال: «بلغني أنه قرئ على قبر بالشام»[٤].

ترجمة المسعودي

٣ ـ وقد ترجم الأكابر المسعودي وأثنوا عليه:

---

(١) عيون الأثر في المغازي والسير ١ / ٢٩٤.

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٣٤٢.

(٣) المواهب اللدنية ٣ / ١١٢.

(٤) عيون الأخبار ٤ / ٣٠٣ كتاب الزهد.

قال ياقوت: «علي بن الحسين بن علي المسعودي المؤرخ، أبو الحسن، من ولد عبد الله بن مسعود صاحب النبي... بغدادي الأصل... وله من الكتب: كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر...»[١].

وقال الذهبي: «المسعودي، صاحب مروج الذهب وغيره من التواريخ... وكان أخبارياً صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون، وكان معتزلياً. أخذ عن أبي خليفة الجمحي ونفطويه وعدّة. مات في جمادى الآخرة سنة ٣٤٥»[٢].

وذكره في وفيات السنة المذكورة في (تذكرة الحافظ) و (العبر) كذلك[٣].

وقال الكتبي: «المسعودي صاحب التاريخ... وكان أخبارياً علامة صاحب غرائب وملح ونوادر. مات سنة ٣٤٦»[٤].

٤ ـ بل كان الرجل فقيهاً مفتياً، عداده في فقهاء الشافعية، فقد أورده السبكي في (طبقاته) قائلاً: «علي بن الحسين بن علي المسعودي صاحب التواريخ: كتاب (مروج الذهب) في أخبار الدنيا، وكتاب... وكان أخبارياً مفتياً علامة، صاحب ملح وغرائب، سمع من....

وقيل: إنه كان معتزلي العقيدة مات سنة ٤٥ أو ٣٤٦.

وهو الذي علّق عن أبي العباس بن سريج (رسالة البيان عن أصول الأحكام) وهذه الرسالة عندي نحو ١٥ ورقة، ذكر المسعودي في أوّلها أنه حضر مجلس لعيادة أبي العباس في علّته التي مات بها سنة ٣٠٦، وقد حضر المجلس لعيادة أبي العباس جماعة من حذّاق الشافعيين والمالكيين والكوفيين والداوديين وغيرهم من أصناف المخالفين، فبينما

---

(١) معجم الأدباء ١٣ / ٩٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٦٩.

(٣) تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٥٧، العبر ٢ / ٧١.

(٤) فوات الوفيات ٢ / ٨١.

أبو العباس يكلّم رجلاً من المالكيين، إذ دخل عليه رجل معه كتاب مختوم، فدفعه إلى القاضي أبي العباس فقرأه على الجماعة، فإذا هو من جماعة الفقهاء المقيمين ببلاد الشاش، يعلمونه أن الناس في ناحيتهم أرض الشاش وفرغانة مختلفون في أصول فقهاء الأمصار ممن لهم الكتب المصنفة والفتيا، ويسألونه رسالة يذكر فيها أصول الشافعي ومالك وسفيان الثوري وأبي حنيفة وصاحبيه وداود بن علي الأصبهاني، وأن يكون ذلك بكلام واضح يفهمه العامي. فكتب القاضي هذه الرسالة، ثم أملى فيما ذكر المسعودي عليهم بعضها وعجز لضعفه عن إملاء الباقي، فقرئ عليه والمسعودي يسمع»[1].

٥ ـ فهذه ترجمة المسعودي... وكتابه (مروج الذهب)... على لسان هؤلاء الأكابر، وأنت لا تجد فيها مطعناً فيه ولا في كتابه... بل إنه فقيه شافعي غلب عليه التاريخ وذكر أخبار الناس....

ومع كلّ هذا... فقد أورده الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان) لا لعيب فيه وإنما لاشتمال كتبه على فضائل لعلي وأهل البيت عليهم السّلام! قال:

«وكتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً، حتى أنه قال في حق ابن عمر أنه امتنع من بيعة علي بن أبي طالب ثم بايع بعد ذلك يزيد بن معاوية والحجاج لعبد الملك بن مروان. وله من ذلك أشياء كثيرة.

ومن كلامه في حق علي ما نصّه: الأشياء التي استحقّ بها الصحابة التفضيل: السّبق إلى الإيمان والهجرة مع النبي صلّى الله عليه وآله والنصر له والقرابة منه، وبذل النفس دونه، والعلم، والقناعة، والجهاد، والورع، والزهد، والقضاء، والفتيا. وإن لعلي من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، إلى ما ينضم إلى ذلك من خصائصه بآخرته وبأنه أحبّ الخلق، إلى غير ذلك»[2].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣/٤٥٦.

(٢) لسان الميزان ٤/٢٢٥.

أقول: لم يذكره بكذب ولا ضعف ولا تدليس... ونحو ذلك... بل غاية الأمر أن يكون من القائلين بتقدّم علي عليه السلام على الصّحابة، وهذا قول كثير من الصحابة والتابعين وسائر المسلمين.

٦ ـ وبما ذكرنا ظهر الوجه والسبب في تكلّم ابن تيمية في كتاب (مروج الذهب)... فيظهر أن فيه وغيره من كتب المسعودي ما ليس على هوى هذا الرجل... وقد عرفناه بالتسرع في الطعن في الشخص إذا أحسّ منه أقل ميل إلى أهل البيت عليهم السّلام!!

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

قال قدس سره: وكان ولده الحسن العسكري عليه السلام عالماً فاضلاً زاهداً، أفضل أهل زمانه، روت عنه العامة كثيراً.

الشرح:

قال ابن تيمية: «فهذا من نمط ما قبله من الدعاوى المجرّدة والأكاذيب البيّنة، فإن العلماء المعروفين بالرواية الذين كانوا في زمن الحسن بن علي العسكري ليس لهم عنه رواية مشهورة في كتب أهل العلم، وشيوخ أهل الكتب الستة: البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، كانوا موجودين في ذلك الزمان وقريباً منه وبعده. وقد جمع الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أخبار شيوخ النبل ـ يعني شيوخ هؤلاء الأئمة ـ فليس في هؤلاء الأئمة من روى عن الحسن بن علي العسكري مع روايتهم عن ألوف مؤلّفة من أهل الحديث.

فكيف يقال: روت عنه العامّة كثيراً؟ وأين هذه الروايات؟

وقوله: إنه كان أفضل أهل زمانه هو من هذا النمط»[1].

---

(١) منهاج السنة ٤ / ٨٥ ـ ٨٦.

روت عنه العامّة كثيراً

أقول:

هو مولانا الإمام الزكي الحسن ابن الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا... عليهم الصلاة والسلام. ولقب بـ(العسكري) لكونه سكن (العسكر) مع والده، وكان الإمام من بعد والده الذي اغتاله المعتمد العباسي بالسمّ.

وقد لاقى الإمام عليه السلام منذ نشأته في حكومة المتوكل إلى آخر أيامه ما لاقاه والده عليه السلام من صنوف الظلم وألوان الجور، بل كان زمانه أشد وأظلم، فقد كان المستعين مبغضاً لأهل البيت عليه السلام، حتى أنه أودعه السجن مدّة من الزمن، بعد أن كانت داره تحت الضغط والمراقبة الشديدة.

بل قيل إنه كان عازماً على قتله بأن أمر بعض خدّامه بحمله إلى الكوفة واغتياله في الطريق كيلا يعلم أحد بواقع الأمر، لكن الله شاء أن يكون قتل المستعين على يد ذاك الخادم...

ثم تولّى المعتز بن المتوكل، وقد ورث من آبائه العداء والنصب لعترة الرسول صلّى الله عليه وآله، فعاد وأودع الإمام عليه السلام السجن، وما مضت إلا برهة من الزمن حتى قتل على يد الأتراك وخلص الإمام من السجن، ثم تسلّم المهتدي زمام الأمر وهو ـ كآبائه ـ على أشدّ البغض والنصب لآل النبي، فأمر باعتقال الإمام، وقصد قتله في السّجن لكن الله لم يمهله، إذ هجم عليه الأتراك بالخناجر وقتلوه وسفكوا دمه، وأراح الله منه.

فجاء المعتمد، وهو أيضاً على سيرة المتقدمين عليه، فأمر باعتقال الإمام، حتى إذا اطمأن من أن لا قصد للإمام بالقيام ضدّه، أمر بإطلاق سراحه من السجن، لكنه بقي في داره تحت المراقبة الشديدة، إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى وجنة المأوى سنة ٢٦٠ وله من العمر ثمان وعشرون سنة، ودفن إلى جنب والده في الدار، حيث المشهد العظيم الذي يتنابه المؤمنون إلى هذا اليوم. وهكذا عاش الإمام العسكري هذا العمر القصير....

فالإنصاف: أن هذا القدر الذي وصل إلينا من أحاديث الإمام العسكري عليه السلام وأخباره مع قصر عمره الشريف، الذي قضاه في السجون، وتحت المراقبة، مع منع الناس من الدخول عليه ونشر حديثه، ومطاردة أصحابه وأقربائه، لكثير...!!

وإن من الواضح أن لا يقصد أتباع أولئك الطواغيت الإمام عليه السلام للأخذ منه والرواية عنه، مع ما في ذلك من تعريض النفس للخطر....

ثم جاء الذين ساروا على منهاج الملوك في العداء والنصب لأهل البيت ـ هؤلاء الذين لا تلتأم جراحات ألسنتهم وأقلامهم ـ وجعلوا يتطاولون على شأن الإمام ومقامه العظيم، وينكرون كلّ شيء، حتى هذا القدر المنقول الموجود في كتب الفريقين من أخباره وأحاديثه... الدالّ على علمه وجلالته وكونه أفضل أهل زمانه.

يريد النواصب ليطفئوا نور الله... قوم بالمحاربة والقتل والتعذيب، وقوم بعدم الرواية والنقل، وقوم بالإنكار والتكذيب... ويأبى الله إلا أن يتم نوره....

فالملوك لم يفسحوا المجال للإمام عليه السلام لأن يتصل به العلماء والناس ويستفيدوا من علومه ويستضيئوا بنوره، فقد كانت أيامه قليلة ومضى أكثرها في السجون....

عجيب أمر هؤلاء... فإنهم عندما يسألون عن السبب في قلّة الرواية عن كبار الصحابة ـ لا سيما الثلاثة ـ في تفسير القرآن وبيان الأحكام، قالوا: إن السبب تقدّم وفاتهم، فقد قال السيوطي: «أما الخلفاء، فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جداً؛ وكأن السبب في ذلك تقدّم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب في قلّة رواية أبي بكر للحديث، ولا أحفظ عن أبي بكر في التفسير إلا آثاراً قليلة جدّاً لا تكاد تتجاوز العشرة، وأما علي، فروي عنه الكثير...»[1].

فهكذا يعتذرون لأوليائهم، وهو عذر باطل غير مقبول، أمّا بالنسبة إلى مثل الإمام

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٣.

العسكري، فلا يعتذرون بما هو الثابت الحق، بل لسانهم يطول....

ويقول الرجل: إن أحداً من مشايخ الحديث البخاري وغيره، لم يرو عن الإمام العسكري عليه السلام، إلا أنه لا يذكر السبب في ذلك... وهو ما أشرنا إليه... فعدم روايتهم عنه كان لسوء حظهم وعدم توفيقهم، ولا دلالة فيه على ضعف في الإمام عليه السلام والعياذ بالله، بشيء من الدلالات....

مع أنهم يقولون بإمامة البخاري بل يجعلونه إمام أئمتهم، والحال أن أئمة عصره وفي بلده حرّموا السماع منه والرواية عنه وأخرجوه من البلد وطردوه، فقد حكى الذهبي عن الحاكم قال: «سمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول: لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم بن الحجاج الاختلاف إليه، فلما وقع بين الذهلي وبين البخاري ما وقع في مسألة اللفظ ونادى عليه ومنع الناس عنه، انقطع عنه أكثر الناس غير مسلم، فقال الذهلي يوماً: ألا من قال باللفظ فلا يحلّ له أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم ردائه فوق عامته وقام على رؤوس الناس، وبعث إلى الذهلي ما كتب عنه على ظهر حمّال، وكان مسلم يظهر القول باللفظ ولا يكتمه.

قال: وسمعت محمد بن يوسف المؤذن، سمعت أبا حامد ابن الشرقي يقول: حضرت مجلس محمد بن يحيى فقال: ألا من قال لفظي بالقرآن مخلوق فلا يحضر مجلسنا، فقام مسلم بن الحجاج عن المجلس».

رواها أحمد بن منصور الشيرازي عن محمد بن يعقوب فزاد: وتبعه أحمد بن سلمة. قال أحمد بن منصور الشيرازي: «سمعت محمد بن يعقوب الأخرم: سمعت أصحابنا يقولون: لما قام مسلم وأحمد بن سلمة من مجلس الذهلي قال: لا يساكنني هذا الرجل في البلد، فخشي البخاري وسافر»[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٥٩ ـ ٤٦٠.

ثم إن العلّامة رحمه الله من كبار العلماء في معرفة الرجال وأصحاب الأئمة، وله في ذلك كتب، وقوله: «روت عنه العامّة كثيراً» ليس جزافاً، وقد ذكر أسماء جماعة كبيرة من أصحاب الإمام العسكري في كتابه (الخلاصة في علم الرجال) وكثيرون منهم من العامة.

وبعد،

فهذه أخبار وروايات وأقوال في كتب غير الشيعة تؤكّد قول العلّامة: «كان عالماً فاضلاً زاهداً أفضل أهل زمانه، روت عنه العامة كثيراً»:

قال الحافظ أبو نعيم: «أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد القزويني ببغداد، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني القاسم بن العلاء الهمداني، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي علي بن محمد، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي محمد بن علي قال: أشهد بالله وأشهد لله قد حدّثني أبي علي بن موسى قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي موسى بن جعفر قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي جعفر بن محمد قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي محمد بن علي قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي علي بن الحسين قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي الحسين بن علي قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد قال لي جبريل عليه السلام يا محمد، إن مدمن الخمر كعابد الأوثان.

هذا حديث صحيح ثابت، روته العترة الطيبة، ولم نكتبه على هذا الشرط

بالشهادة بالله ولله إلا عن هذا الشيخ»[١].

وقال الحافظ سبط ابن الجوزي: «وكان عالماً ثقة. روى الحديث عن أبيه عن جده. ومن جملة مسانيده حديث في الخمر عزيز، ذكره جدّي أبو الفرج في كتابه المسمّى بـ(تحريم الخمر) ونقلته من خطّه وسمعته يقول:

أشهد بالله، لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت عبد الله بن عطا الهروي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت عبد الرحمن بن أبي عبيد البيهقي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن محمد الدينوري يقول: أشهد بالله، لقد سمعت محمد بن علي بن الحسين العلوي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أحمد بن عبيد الله السبيعي [الشيعي] يقول: أشهد بالله، لقد سمعت الحسن بن علي العسكري يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي علي بن محمد يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي محمد بن علي بن موسى الرضا يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي علي بن موسى يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي موسى يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي محمد بن علي يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن الحسين يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي الحسين بن علي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول: أشهد بالله، لقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: أشهد بالله لقد سمعت جبرائيل يقول: أشهد بالله، لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت إسرافيل يقول: أشهد بالله على اللّوح المحفوظ أنه قال: سمعت الله يقول: شارب الخمر كعابد وثن.

ولمّا روى جدّي هذا الحديث في كتاب (تحريم الخمر) قال: قال أبو نعيم الفضل بن دكين: هذا حديث صحيح ثابت، روته العترة الطيّبة الطاهرة، ورواه جماعة

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٠٣.

عن رسول الله...»[١].

وقال الحافظ ابن حجر: «ذ ـ أحمد بن عبد الله الشيعي ـ حدث عن الحسن بن علي العسكري. ثم ذكر بسند له مسلسل بـ(أشهد بالله) إلى أن وصل إلى محمد بن علي ابن الحسين بن علي قال: أشهد بالله، لقد حدّثني أحمد بن عبد الله الشيعي البغدادي قال: أشهد بالله، لقد حدّثني الحسن بن علي العسكري قال: أشهد بالله، لقد حدّثني أبي علي بن محمد، أشهد بالله، لقد حدّثني أبي محمد بن علي موسى الرضا. فذكره مسلسلاً بآباء علي بن موسى إلى علي قال: أشهد بالله ...»[٢].

وقال الحافظ عبد العزيز الجنابذي عن رجاله، عن الحافظ البلاذري: «حدّثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى ـ إمام عصره عند الإمامية ـ بمكة، قال: حدّثني أبي علي بن محمد المفتي، قال: حدّثني أبي محمد بن علي السيد المحجوب، قال حدّثني أبي علي بن موسى الرضا، قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر المرتضى، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمد الصادق، قال: حدّثني أبي محمد بن علي الباقر، قال: حدّثني أبي علي بن الحسين السجاد زين العابدين، قال: حدّثني أبي الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة، قال: حدّثني أبي علي بن أبي طالب سيد الأوصياء، قال: حدّثني محمد بن عبد الله سيد الأنبياء، قال: حدّثني جبرئيل سيد الملائكة، قال: قال الله عز وجل سيد السادات: إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن أقرّ لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي»[٣].

---

(١) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ـ مخطوط، تذكرة خواص الأمة: ٣٦٢.

(٢) لسان الميزان ١ / ٢٠٩. ولا يخفى أن «ذ» رمز لذيل ميزان الاعتدال للشيخ حافظ الوقت أبي الفضل بن الحسين، كما صرح ابن حجر في لسان الميزان ١ / ٤. فيكون الراوي الأول للمسلسل هو هذا الحافظ.

(٣) معالم العترة النبوية للحافظ عبد العزيز بن محمود المعروف بابن الأخضر الجنابذي المتوفى سنة: ٦١١ هـ.

وروى غير واحد: أنه وقع في سر من رأى في زمن المعتمد قحط شديد والإمام في السجن، فأمر المعتمد بخروج الناس إلى الاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون فلم يسقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصارى والرهبان، وكان فيهم راهب كلّما مدّ يده إلى السماء هطلت بالمطر، ثم خرجوا في الثاني وفعلوا كفعلهم أول يوم، فهطلت السماء بالمطر، فعجب الناس من ذلك، وداخل بعضهم الشك، وصبا بعضهم إلى دين النصرانية، فشقّ ذلك على المعتمد، فأنفذ صالح بن يوسف أن أخرج أبا محمد الحسن من الحبس وائتني به.

فلمّا حضر أبو محمد الحسن عند المعتمد قال له: أدرك أمة محمد صلّى اللّه عليه وآله فيما لحقهم من هذه النازلة العظيمة، فقال أبو محمد: مرهم يخرجون غداً اليوم الثالث، فقال له: قد استغني الناس عن المطر واستكفوا، فما فائدة خروجهم؟ قال: لأزيل الشك عن الناس وما وقعوا فيه.

فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث على جاري عادتهم وأن يخرج الناس، فخرج النصارى وخرج معهم أبو محمد الحسن ومعه خلق من المسلمين، فوقف النصارى على جاري عادتهم يستسقون، وخرج راهب معهم ومدّ يده إلى السماء ورفعت النصارى والرهبان أيديهم أيضاً كعادتهم، فغميت السماء في الوقت ونزل المطر، فأمر أبو محمد الحسن بالقبض على يد الراهب وأخذ ما فيها، فإذا بين أصابعه عظم آدمي، فأخذه أبو محمد الحسن ولفّه في خرقة وقال لهم: استسقوا. فانقشع الغيم وطلعت الشمس، فتعجّب الناس من ذلك.

وقال الخليفة: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: هذا عظم نبي الأنبياء، ظفر به هؤلاء من

وصفه الذهبي بالإمام العالم المحدث الحافظ المعمر مفيد العراق، كان ثقة فهماً خيراً ديناً عفيفاً، وكذا عن غيره. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١. نقله عنه: العلامة الوزير علي بن عيسى الإربلي المتوفى سنة ٦٩٣ والمترجم له في الشذرات والوافي بالوفيات وغيرهما، في كتاب: كشف الغمة في معرفة الأئمة ٢/ ٤٠٣.

قبور الأنبياء، وما كشف عن عظم نبي من الأنبياء تحت السماء إلا هطلت بالمطر.

فاستحسنوا ذلك وامتحنوه فوجدوه كما قال.

فرجع أبو محمد إلى داره بسرّ من رأى، وقد أزال عن الناس هذه الشّبهة، وسرّ الخليفة والمسلمون بذلك.

وكلّم أبو محمد الحسن الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن، فأخرجهم وأطلقهم من أجله[1].

وقال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي عن بهلول قال: «بينما ذات يوم في بعض شوارع المدينة وإذا بالصبيان يلعبون بالجوز واللوز، وإذا بصبيّ ينظر إليهم ويبكي. فقلت: هذا صبي يتحسّر على ما في أيدي الصبيان ولا شيء معه. فقلت: أي بنيّ ما يبكيك؟ اشتر لك ما تلعب به؟ فرفع بصره إلي وقال: يا قليل العقل ما للعب خلقنا. فقلت: فلم إذاً خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة. قلت: من أين لك ذاك بارك الله فيك؟ قال من قول الله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾. فقلت: يا بنيّ، أراك حكيماً، فعظني وأوجز. فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهّز بانطلاق مشمّرة على قدم وساق... الأبيات....

ثم رمق إلى السماء بعينيه وأشار بكفّيه ودموعه تتحدّر على خدّيه وأشار بقوله...

فلمّا أتم كلامه خرّ مغشياً عليه، فرفعت رأسه إلى حجري ونفضت التراب عن وجهه أفاق... فقلت له: أي بني أراك حكيماً فعظني، فأنشأ يقول:

غفلت وحادي الموت في أثري يحدو وإن لم أرح يوماً فلابد أن أغدو... الأبيات.

قال بهلول: فلما فرغ من كلامه وقعت مغشياً علي وانصرف الصبي، فلما أفقت ونظرت إلى الصبيان فلم أره معهم فقلت لهم: من يكون ذلك الغلام؟ قالوا: وما عرفته؟

(١) الفصول المهمة ٢ / ١٠٨٥، ونور الأبصار: ٣٣٩، الصواعق المحرقة: ١٢٤، أخبار الدول: ١١٧.

قلت: لا. قالوا ذاك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب قال: فقلت: قد عجبت من أمره، وما تكون هذه الثمرة إلا من تلك الشجرة»(١).

وقال الحافظ سبط ابن الجوزي: «روى الحسن النصيبي قال: خطر في قلبي عرق الجنب هل طاهر؟ فأتيت إلى باب أبي محمد الحسن لأسأله وكان ليلاً، فنمت، فلمّا طلع الفجر خرج من داره فرآني نائماً فأيقظني وقال: إن كان حلالاً فنعم، وإن كان من حرام فلا»(٢).

وروى ابن الصباغ المالكي بسنده عن عيسى بن الفتح قال: «لمّا دخل علينا أبو محمد السجن قال لي: يا عيسى لك من العمر خمس وستون سنة وشهر ويومان، قال: وكان معي كتاب فيه تاريخ ولادتي، فنظرت فيه فكان كما قال. ثم قال لي: هل رزقت ولداً؟ فقلت: لا. قال: اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد. ثم أنشد:

من كان ذا عضد يدركْ ظلامته ... إن الذليل الذي ليست له عضدُ

فقلت له: يا سيدي، وأنت لك ولد؟ فقال: واللّه سيكون لي ولد يملأ الأرض

---

(١) روض الرياحين في حكايات الصالحين، جمع فيه خمسمائة حكاية. كشف الظنون ١ /٩١٨، وهو للشيخ عبد اللّه بن أسعد اليافعي اليمني الشافعي المتوفى: ٧٦٨ صاحب مرآة الجنان وغيره من الكتب، توجد ترجمته في الدرر الكامنة ٢ /٢٤٧، طبقات السبكي ٦ /١٠٣، البدر الطالع ١ /٣٧٨ وغيرها. وقد نقلنا القصة باختصار في الأشعار وغيرها، وهي مذكورة بترجمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن: جواهر العقدين ـ ق ٢ ج ٢ / ٤٣١، الصواعق المحرقة: ١٢٤، وسيلة المآل ـ مخطوط، نور الأبصار: ٣٣٨ عن درر الأصداف، جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام: ١٥٥، دائرة المعارف للبستاني ٧ /٤٥.

(٢) مرآة الزمان ٦ /الورقة ١٩٢ و«الحسن النصيبي» ترجم له ابن حجر قال: من ذرية إسحاق بن جعفر الصادق، ذكره أبو المفضل الشيباني في وجوه الشيعة وقال: سمعت عليه حديثاً كثيراً، وله تصنيف في طرق حديث الغدير، وروى عن محمد بن علي بن حمزة وغيره. انتهى كلامه في كتاب لسان الميزان ٢ /١٩١.

قسطاً وعدلاً، وأمّا الآن فلا. ثم أنشد متمثلاً:

لعلّك يوماً أن تراني كأنما بني حوالي الأسود اللّوابد

فإن تميماً قبل أن يلد الحصى أقام زماناً وهو في الناس واحد»(١)

وروى ابن صباغ المالكي عن إسماعيل بن محمد بن علي بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس قال: «قعدت لأبي محمد الحسن على باب داره حتى خرج، فقمت في وجهه وشكوت إليه الحاجة والضرورة، وأقسمت أني لا أملك الدرهم فما فوقه، فقال: تقسم وقد دفنت مائتي دينارا وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطيّة، أعطه يا غلام ما معك. فأعطاني مائة دينار، شكرت له تعالى وولّيت فقال: ما أخوفني أن تفقد المائتي دينار أحوج ما تكون إليها.

فذهبت إليها فافتقدتها فإذا هي في مكانها، فنقلتها إلى موضع آخر ودفنتها من حيث لا يطّلع أحد، ثم قعدت مدّة طويلة، فاضطررت إليها، فجئت أطلبها في مكانها فلم أجدها، فجئت وشق ذلك عليّ، فوجدت ابناً لي قد عرف مكانها وأخذها وأبعدها، ولم يحصل لي شيء، فكان كما قال»(٢).

وروى ابن الصباغ المالكي عن محمد بن حمزة الدوري قال: «كتبت على يدي أبي هاشم داود بن القاسم ـ كان لي مؤاخياً ـ إلى أبي محمد الحسن أسأله أن يدعو الله لي بالغنى، وكنت قد بلغت وقلّت ذات يدي وخفت الفضيحة، فخرج الجواب على يده: أبشر، فقد أتاك الغنى عن الله تعالى، مات ابن عمك يحيى بن حمزة وخلّف مائة ألف درهم ولم يترك وارثاً سواك وهي واردة عليك، عليك بالاقتصاد وإياك والإسراف.

فورد عليّ المال والخبر بموت ابن عمي كما قال عن أيام قلائل وزال عني

---

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٨٨.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٨٦ وإسماعيل ذكره الشيخ الطوسي في أصحاب العسكري عليه الصلاة والسلام.

الفقر...»[١].

وقال ابن الصباغ: «مناقب سيدنا أبي محمد الحسن العسكري دالّة على أنه السريّ ابن السريّ، فلا يشك في إمامته أحد ولا يمتري، واعلم أنه لو بيعت مكرمة فسواه بايعها وهو المشتري، واحد زمانه من غير مدافع ونسيج وحده من غير منازع، وسيد أهل عصره وإمام أهل دهره، أقواله سديدة وأفعاله حميدة، وإذا كانت أفاضل زمانه قصيدة فهو في بيت القصيدة، وإن انتظموا عقداً كان مكانه الواسطة الفريدة، فارس العلوم الذي لا يجارى، ومبيّن غوامضها فلا يحاول ولا يمارى، كاشف الحقائق بنظره الصائب، مظهر الدقائق بفكره الثاقب، المحدّث في سرّه بالأمور الخفيّات، الكريم الأصل والنفس والذات»[٢].

وقال الحضرمي الشافعي: «كان عظيم الشأن، جليل المقدار، وقد زعمت الشيعة الرافضة أنه والد المهدي المنتظر...»[٣].

وقال أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي: «إن المنقبة العليا والمزيّة الكبرى التي خصّه الله جلّ وعلا بها فقلّده فريدها ومنحه تقليدها، وجعلها صفة دائمة لا يبلي الدهر جديدها، ولا تنسى الألسن تلاوتها وترديدها: أن المهدي محمداً نسله المخلوق منه وولده المنتسب إليه وبضعته المنفصلة عنه... وحسب ذلك منقبة وكفاه»[٤].

---

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٨٥.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٩٠.

(٣) وسيلة المآل في عد مناقب الآل ـ مخطوط.

(٤) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٤٧٦ وأبو سالم محمد بن طلحة فقيه كبير ومحدث جليل، له مصنّفات، توجد ترجمته والثناء عليه والشهادة ببراعته في المذهب الشافعي وثقته وزهده وجلالته في

وقال النبهاني: «الحسن العسكري أحد أئمة ساداتنا آل البيت العظام وساداتهم الكرام، رضي الله عنهم أجمعين، ذكره الشبراوي في (الإتحاف بحبّ الأشراف) ولكنه اختصر ترجمته، ولم يذكر له كرامات.

وقد رأيت له كرامة بنفسي، وهو أني في سنة ١٢٩٦ سافرت إلى بغداد من بلدة كوي سنجق ـ إحدى قواعد بلاد الأتراك ـ وكنت قاضياً فيها، فـفارقتها قبل أن أكمل المدّة المعيّنة، لشدّة ما وقع فيها من الغلاء والقحط، اللذين عمّا بلاد العراق في تلك السنة، فسافرنا على الكلك قبالة مدينة سامراء، وكانت مقرّ الخلفاء العباسيين، فأحببنا أن نزور الإمام الحسن العسكري، وخرجنا لزيارته، فحينما دخلت على قبره الشريف حصلت لي روحانيّة لم يحصل لي مثلها قط... وهذه كرامة له. ثم قرأت ما تيسّر من القرآن، ودعوت بما تيسّر من الدّعوات وخرجت»[1].

أقول: وقد سبق الشبراوي في اختصار ترجمته وعدم ذكر كرامات له قوم كالخطيب البغدادي وابن الجوزي، بل لم يذكروا شيئاً من أخباره، بل منهم من لم يذكره في كتابه أصلاً! مع ذكرهم كلّ من دبّ ودرج وإيرادهم بتراجمهم الأكاذيب والأباطيل الأعاجيب!

إن تواريخهم طافحة بأخبار الأتراك والزنج وغيرهم من المفسدين، ولا يذكرون شيئاً أو يذكرون سطوراً معدودة من أخبار آل الرسول والأئمة الهداة المهديين...! فإنا لله وإنا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

ذيل الروضتين: ١٨٨، سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٢٩٣، الوافي بالوفيات ٣ / ١٧٦، طبقات السبكي ٨ / ٦٣، ابن كثير ١٣ / ١٨٦، النجوم الزاهرة ٧ / ٣٣، شذرات الذهب ٥ / ٢٥٩... توفي سنة ٦٥٢، وقد ذكر الكتاب في كشف الظنون وهدية العارفين وإيضاح المكنون وغيرها، واعتمد عليه المتأخرون عنه في كتبهم ومؤلفاتهم.

(١) جامع كرامات الأولياء ١ / ٣٨٩ ويوسف بن إسماعيل النبهاني، عالم في الفقه والحديث وأديب شاعر، ومصنف مكثر، توفي سنة ١٣٥٠ توجد ترجمته في معجم المؤلفين ١٣ / ٢٧٥.

الإمام المهدي عجل اللّٰه تعالى فرجه الشريف

قال قدس سره: وولده مولانا الإمام المهدي محمد عليه السلام....

الشرح:

قال ابن تيمية: «قد ذكر محمد بن جرير الطبري وعبد الباقي ابن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ: إن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب. والإماميّة الذين يزعمون أنه كان له ولد يدعون أنه دخل السّرداب بسامراء وهو صغير، منهم من قال: عمره سنتان، ومنهم من قال: ثلاث، ومنهم من قال: خمس سنين.

وهذا لو كان موجوداً معلوماً، لكان الواجب في حكم اللّٰه الثابت بنصّ القرآن والسنّة والإجماع أن يكون محضوناً عند من يحضنه في بدنه، كأمّه وأم أمّه ونحوهما من أهل الحضانة، وأن يكون ما له عند من يحفظ....

ثم إن هذا باتفاق منهم، سواء قدّر وجوده أو عدمه لا ينتفعون به....

هذا المنتظر لم يحصل لطائفة إلا الانتظار لمن لا يأتي ودوام الحسرة والألم ومعاداة العالم....

ثم إن عُمُرَ واحدٍ من المسلمين هذه المدّة أمر يعرف كذبه بالعادة المطّردة في أمّة محمد، فلا يعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة، فضلاً عن هذا العمر، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلّى اللّٰه عليه وآله أنه قال في آخر عمره: أرأيتكم ليلتكم هذه، فإنه على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد....

ثم أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين، وأقلّهم من يجوز ذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح. واحتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل على باطل، فمن الذي يسلّم لهم بقاء الخضر، والذي عليه سائر العلماء المحققون أنه مات، وبتقدير

بقائه فليس هو من هذه الأمّة....

وقوله: روى ابن الجوزي... فيقال: الجواب من وجوه:

أحدها: إنكم لا تحتجّون بأحاديث أهل السنّة، فمثل هذا الحديث لا يفيدكم فائدة. وإن قلتم: هو حجّة على أهل السنّة. فنذكر كلامهم فيه.

الثاني: إن هذا من أخبار الآحاد، فكيف يثبت به أصل الدّين الذي لا يصحّ الإيمان إلا به؟

الثالث: إن لفظ الحديث حجّة عليكم لا لكم، فإن لفظه: يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي. فالمهدي الذي أخبر به النبي صلّى الله عليه وآله اسمه: محمد بن عبد الله، لا محمد بن الحسن. وقد روي عن علي أنه قال: هو من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين.

وأحاديث المهدي معروفة، رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، كحديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

الرابع: إن الحديث الذي ذكره وقوله: اسمه كاسمي وكنيته كنيتي، ولم يقل: يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي. فلم يروه أحد من أهل العلم بالحديث في كتب الحديث المعروفة بهذا اللّفظ.

فهذا الرافضي لم يذكر الحديث بلفظه المعروف في كتب الحديث، مثل مسند أحمد، وسنن أبي داود، والترمذي، وغير ذلك من الكتب، وإنما ذكره بلفظ مكذوب لم يروه أحد منهم.

وقوله: إن ابن الجوزي رواه بإسناده. إن أراد العالم المشهور صاحب المصنفات الكثيرة أبا الفرج، فهو كذب عليه، وإن أراد سبطه يوسف بن قزأوغلي، صاحب التاريخ

المسمّى بمرآة الزمان، وصاحب الكتاب المصنف في الاثني عشر الذي سمّاه إعلام الخواص، فهذا الرجل يذكر في مصنفاته أنواعاً من الغثّ والسّمين، ويحتج في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة، وكان يصنف بحسب مقاصد الناس، يصنّف للشيعة ما يناسبهم ليعوّضوه بذلك، ويصنّف على مذهب أبي حنيفة لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه. فكانت طريقته طريقة الواعظ الذي قيل له: ما مذهبك؟ قال: في أيّ مدينة؟ ولهذا يوجد في بعض كتبه ثلب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لأجل مداهنة من قصد بذلك من الشيعة، ويوجد في بعضها تعظيم الخلفاء الراشدين وغيرهم.

ولهذا لمّا كان الحديث المعروف عند السّلف والخلف أن النبي صلّى الله عليه وآله قال في المهدي: يواطئ اسمه اسمي أبيه اسم أبي، صار يطمع كثير من الناس في أن يكون هو المهدي، حتى سمى المنصور ابنه محمداً ولقّبه بالمهدي مواطاة لاسمه باسمه واسم أبيه باسم أبيه، ولكن لم يكن هو الموعود به.

وأبو عبد الله محمد بن التومرت... وهذا الملقّب بالمهدي ظهر سنة بضع وخمسمائة، وتوفّي سنة أربع وعشرين وخمسمائة...

وقد ادّعى قبله أنه المهدي: عبيد الله بن ميمون القداح... هو وأهل بيته كانوا ملاحدة، وهم أئمة الإسماعيلية... وقد ظهر سنة تسع وتسعين ومائتين، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وانتقل الأمر إلى ولده... وانقرض ملك هؤلاء في الديار المصرية سنة ثمان وستين وخمسمائة، فملكوها أكثر من مائتي سنة، وأخبارهم عند العلماء مشهورة بالإلحاد والمحادة لله ورسوله والردّة والنفاق.

والحديث الذي فيه: لا مهدي إلا عيسى بن مريم، رواه ابن ماجة، وهو حديث ضعيف...»[1].

---

(١) منهاج السنّة ٤ / ٨٧ـ١٠٢.

أقول:

هذا كلام الرجل في هذا المقام، وما صدر منه ـ في كتابه، حول الإمام المهدي ـ ممّا يخالف أدب أهل الدين ودأب المحصّلين والمناظرين كثير....

كقوله: «ومن حماقتهم أيضاً أنهم يجعلون للمنتظر عدّة مشاهد ينتظرونه فيها، كالسرداب الذي بسامراء الذي يزعمون أنه غاب فيه، ومشاهد أخر، وقد يقيمون هناك دابّة ـ إما بغلة وإما فرساً وإما غير ذلك ـ ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك إما في طرفي النهار وإما في أوقات أخر من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا أخرج، يا مولانا أخرج، ويشهرون السّلاح ولا أحد هناك يقاتلهم، وفيهم من يقوم في أوقات الصلاة دائماً لا يصلّي خشية أن يخرج وهو في الصّلاة فيشتغل بها عن خروجه وخدمته، وهم في أماكن بعيدة عن مشهدة، كمدينة النبي صلّى اللّه عليه وآله، إمّا في العشر الأواخر من رمضان وإمّا في غير ذلك، يتوجّهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية يطلبون خروجه.

ومن المعلوم أنه لو كان موجوداً وقد أمره اللّه بالخروج، فإنه يخرج سواء نادوه أو لم ينادوه، وإن لم يأذن له فهو لا يقبل منهم، وأنه إذا خرج فإن اللّه يؤيده ويأتيه بما يركبه وبمن يعينه وينصره، لا يحتاج إلى أن يوقف له دائماً من الآدميين من ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

واللّه سبحانه قد عاب في كتابه من يدعو من لا يستجيب له دعاءه فقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾. هذا، مع أن الأصنام موجودة، وكان يوم فيها أحياناً شياطين تتراءى لهم وتخاطبهم.

ومن خاطب معدوماً كانت حالته أسوأ من حال من خاطب موجوداً وإن كان

جماداً. فمن دعا المنتظر الذي لم يخلقه الله كان ضلاله أعظم من ضلال هؤلاء...»[١].

أقول: وما تكلّم به حول الإمام المهدي المنتظر عليه السلام من هذا النسق، وما نسبه إلى الإمامية من هذا القبيل... كثير أوردنا قسماً منه في (المدخل)، وإنما نقلنا هذه الفقرة من كلماته هنا ليظهر طرف من أكاذيبه وافتراءاته على هذه الطائفة وإمامها، وليعلم أن الرجل لا يزعه عن الكذب والبهتان دين ولا عقل.

إلا أن من الضروري البحث بإيجاز عن العقيدة الصحيحة حول الإمام المهدي عليه السلام، المستندة إلى الأدلّة المقبولة لدى المسلمين، ليحيى من حيّ عن بيّنة ويهلك من هلك عن بيّنة، والله هو المستعان.

١ ـ الاعتقاد بالمهدي من ضروريات الدين

لقد كان الإخبار عن المهدي وأخباره من جملة المغيّبات التي أخبر عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله بالقطع واليقين، ودعا الأمة إلى التصديق والإذعان بها، فكان الاعتقاد بالمهدي من ضروريات الدّين الإسلامي، وأن من أنكره فقد كذّب النبي فيما أخبره، وذلك كفر. قال ابن تيمية: «وأحاديث المهدي معروفة، رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم».

قلت: سنذكر طرفاً من تلك الأحاديث في الفصول الآتية. والمقصود هنا أن الإعتقاد بالمهدي يعدّ من ضروريّات الإسلام، للأحاديث الكثيرة الواردة عن النبي فيه، عند جميع الفرق الإسلامية... والتي أفردها جمع غفير من علماء الشيعة والسنّة بالتأليف.

---

(١) منهاج السنة ١ / ٤٤ ـ ٤٩.

٢ ـ من أشهر المؤلفين من أهل السنّة في المهدي

وكان من أشهر من ألّف في ذلك من أهل السنّة، من السّابقين واللّاحقين:

أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب المعروف بابن أبي خيثمة،المتوفى سنة: ٢٧٩.

أبو عبد اللّه نعيم بن حماد المروزي، المتوفى سنة ٢٨٨.

أبو حسين ابن المنادي، المتوفى سنة ٣٣٦.

أبو نعيم الإصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.

أبو العلاء العطار الهمداني، المتوفى سنة ٥٦٩.

عبد الغني المقدسي، المتوفى سنة ٦٠٠.

محي الدين ابن عربي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٣٨.

سعد الدين محمد بن مؤيد الحموي الجويني، المتوفى سنة ٦٥٠.

أبو عبد اللّه محمد بن يوسف الكنجي، المتوفى سنة ٦٥٨.

يوسف بن يحيى المقدسي، المتوفى سنة ٦٨٥.

ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٦٨٥.

بدر الدين النابلسي، المتوفى سنة ٧٧٢.

أبو الفداء ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤.

ولي الدين أبو زرعة الدمشقي، المتوفى سنة ٨٢٦.

جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

شهاب الدين ابن حجر المكي، المتوفى سنة ٩٧٤.

علي بن حسام المتقي الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥.

نور الدين علي القاري، المتوفى سنة ١٠١٤.

مرعي بن يوسف المقدسي، المتوفى: ١٠٣٣.

محمد رسول الله البرزنجي، المتوفى سنة ١١٠٣.

محمد بن إسماعيل الصنعاني، المتوفى سنة ١١٨٢.

علي بن محمد الجمالي المغربي، المتوفى سنة ١٢٤٨.

محمد بن علي الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠.

شهاب الدين أحمد الحلواني، المتوفى سنة ١٣٠٨.

محمد حبيب الله الشنقيطي، المتوفى سنة ١٣٦٣.

أحمد بن صديق الغماري، المتوفى سنة ١٣٨٠.

٣ ـ من أشهر القائلين بصحة أخبار المهدي أو تواترها

بل إن كثيراً من أئمة القوم يصرّحون بتواتر أخبار المهدي أو صحّتها من طرقهم منهم:

محمد بن عيسى الترمذي، المتوفى سنة ٢٩٧.

محمد بن الحسين الأبري، المتوفى سنة ٣٦٣.

أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥.

أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨.

أبو محمد الفراء البغوي، المتوفى سنة ٥١٠، ٥١٦.

ابن الأثير الجزري صاحب النهاية، المتوفى سنة ٦٠٦.

جمال الدين المزي، المتوفى سنة ٧٤٢.

شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨.

نور الدين الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧

شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢

جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

٤ ـ المهدي من هذه الأمة

وتفيد الأحاديث المتواترة: أن المهدي من هذه الأمّة، وعليه اعتقاد المسلمين قاطبة، من السّلف والخلف.

وأما حديث: «لا مهدي إلا عيسى بن مريم» في سنن ابن ماجة، فقد نصّ أئمة الحديث والرجال على ضعفه، قال ابن ماجة: «حدّثنا يونس بن عبد الأعلى، ثنا محمد بن إدريس الشافعي، حدّثني محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: لا يزداد الأمر إلا شدّة ولا الدنيا إلا إدبار ولا الناس إلا شحّاً، ولا تقوم السّاعة إلا على شرار الناس، ولا مهديّ إلا عيسى بن مريم»[١].

قلت: هذا الحديث تكذبه أخبار المهدي عند أهل البيت عليهم السّلام وأحاديثه الواردة بالتواتر من طرق غيرهم، ولذا فقد ضعّفه الأئمة كالحاكم والبيهقي وغيرهما[٢]، وقد تكلّم علماء القوم في رجاله، قالوا في سنده (محمد بن خالد الجندي) وهو المنفرد بروايته، ولذا أوردوه بترجمته: فقال المزّي: «محمد بن خالد الجندي الصنعاني المؤذن، روى عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس حديث: لا مهدي إلّا عيسى بن مريم... روى له ابن ماجة حديث المهدي... قال أبو بكر بن زياد: وهذا حديث غريب... وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: هذا حديث تفرّد به محمد بن خالد الجندي. قال أبو عبد الله الحافظ: ومحمد بن خالد رجل مجهول، واختلفوا في إسناده...»[٣].

---

(١) سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٤٠ ـ ١٣٤١.

(٢) التاج الجامع للأصول ٥ / ٣٤١.

(٣) تهذيب الكمال ٢٥ / ١٤٦ ـ ١٤٩.

وقال الذهبي: «محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح. روى عنه الشافعي. قال الأزدي: منكر الحديث، وقال أبو عبد الله الحاكم: مجهول. قلت: حديثه: لا مهدي إلا عيسى بن مريم. وهو خبر منكر، أخرجه ابن ماجة...»[١].

وقال ابن حجر: «محمد بن خالد الجندي، بفتح الجيم والنون، المؤذن. مجهول. من السابعة ـ ق»[٢].

قلت: و (أبان بن صالح) وإن وثّقه الأئمة ـ كما قالوا ـ لكن عن الحافظين ابن عبد البر وابن حزم أنهما ضعّفاه[٣].

وقال الذهبي: «لكن قيل: إنه لم يسمع من الحسن، ذكره ابن الصلاح في أماليه»[٤].

و(الحسن) هو: الحسن البصري المعروف المشهور، وعداده في بعض الكتب في مبغضي علي عليه السلام، ولذا ورد الذم فيه عن أهل البيت، بل قيل بتواتر ذلك عنهم[٥].

وأمّا أهل السنّة، فإنهم وإن رووا عنه في الصحاح الستة وعدّوه من الزهّاد الثمانية، فقد نصّوا على أنه كان كثير الإرسال والتدليس[٦].

قلت: و (يونس بن عبد الأعلى) وإن وثقوه إلا أنه متهم بالكذب في هذا الخبر، فقد قال الحافظ المزي: «وروى الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق بإسناده عن أحمد بن محمد بن رشدين قال: حدثني أبو الحسن علي بن عبيد الله الواسطي قال:

---

(١) ميزان الاعتدال ٣ / ٥٣٥.

(٢) تقريب التهذيب ٢ / ٧١.

(٣) تهذيب التهذيب ١ / ٨٢.

(٤) ميزان الاعتدال ٣ / ٥٣٥.

(٥) تنقيح المقال ١ / ٢٦٩.

(٦) تقريب التهذيب ١ / ١٦٥.

رأيت محمد بن إدريس الشافعي في المنام فسمعته يقول: كذب علي يونس في حديث الجندي حديث الحسن عن أنس عن النبي صلّى الله عليه وآله في المهدي. قال الشافعي: ما هذا من حديثي ولا حدثت به، كذب علي يونس»[١].

هذا كلّه بالإضافة إلى أن الذهبي قال: وللحديث علّة أخرى... فذكرها[٢].

هذا، وقد جاء في النصوص الصحيحة المتكاثرة: أن عيسى بن مريم ينزل ويصلّي خلف المهدي، ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم بسندهما عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»[٣].

وما أخرجه أحمد بسنده عنه أنه قال في حديث فيه ذكر الدجال: «فإذا هم بعيسى بن مريم، فتقام الصّلاة، فيقال له: تقدّم يا روح الله. فيقول: ليتقدّم إمامكم فليصلّ بكم»[٤].

قال المناوي: «فإنه ينزل عند صلاة الصبح على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيجد الإمام المهدي يريد الصّلاة فيحسّ به فيتأخر ليتقدّم، فيقدّمه عيسى عليه السلام ويصلّي خلفه. فأعظم به فضلاً وشرفاً لهذه الأمة»[٥].

قال أبو الحسن الأبري: «قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ـ يعني في المهدي ـ وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، ويملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج عيسى بن مريم فيساعده على قتل الدجّال بباب لد بأرض فلسطين. وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى ـ صلوات الله عليه ـ يصلّي خلفه، في

---

(١) تهذيب الكمال ٢٥ / ١٥٠.

(٢) ميزان الاعتدال ٣ / ٥٣٥ ـ ٥٥٦.

(٣) صحيح البخاري ٤ / ١٤٣، صحيح مسلم ١ / ٩٤.

(٤) مسند أحمد ٣ / ٣٦٨.

(٥) فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير ٩ / ٢٣.

طول من قصته وأمره»(١).

وقال السيوطي ردّاً على من أنكر هذا: «هذا من أعجب العجب، فإن صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدّة أخبار صحيحة، بإخبار رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهو الصّادق المصدّق الذي لا يخلف خبره»(٢).

أقول: فظهر سقوط قول السعد التفتازاني: «فما يقال: إن عيسى يقتدي بالمهدي أو بالعكس، شيء لا مستند له، فلا ينبغي أن يعوّل عليه»(٣).

٥ ـ المهدي من عترة النبي وأهل بيته

وهذا أيضاً مما تواتر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في أحاديث المسلمين، كما عرفت التصريح بذلك في بعض الكلمات.. ومن ذلك:

ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم ـ واللّفظ للأول ـ قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»(٤).

وما أخرجه ابن ماجة في باب خروج المهدي عن علي قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «المهدي منّا أهل البيت يصلحه الله في ليلة»(٥).

وما أخرجه أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري: قال قال رسول الله صلّى اللّه عليه وآله: لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً قال: ثم يخرج رجل من

---

(١) تهذيب الكمال ٢٥ / ١٤٩.

(٢) الحاوي للفتاوى ٢ / ١٦٧.

(٣) شرح المقاصد ٢ / ٣٠٨.

(٤) مسند أحمد ١ / ٣٧٦، سنن الترمذي ٣ / ٣٤٣، سنن أبي داود ٢ / ٣٠٩ ـ ٣١٠.

(٥) سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٦٧.

عترتي ـ أو من أهل بيتي ـ يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»[١].

وأخرجه الحاكم بالسند بلفظ «أهل بيتي» وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

ووافقه الذهبي في تلخيصه[٢].

وأخرجه عن أبي سعيد الخدري بلفظ «من عترتي» قال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم».

ووافقه الذهبي[٣].

٦ ـ المهدي من ولد فاطمة

وهو من ولد فاطمة بضعة النبي وسيدة نساء العالمين عليها السلام.. ومن الأحاديث في ذلك:

ما أخرجه أبو داود وابن ماجة وغيرهما عن أم سلمة عن النبي صلّى اللّه عليه وآله: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[٤].

وأخرجه الحاكم والذهبي عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة أنها سمعت رسول اللّه يذكر المهدي فقال: «نعم هو حق، وهو من بني فاطمة»[٥].

وصحح في التاج سندي أبي داود والحاكم[٦].

---

(١) مسند أحمد ٣ / ٣٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٥٥٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٥٥٨.

(٤) سنن أبي داود ٢ / ٣١٠، المستدرك ٤ / ٥٥٧، سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٦٨، التاج ٥ / ٣٤٣.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٥٥٧.

(٦) التاج الجامع للأصول ٥ / ٣٤٣.

٧ ـ المهدي من ولد الحسين

وتعتقد الشيعة الاثنا عشرية بأن المهدي من ولد الإمام الشهيد السبط أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وأخبارهم بذلك متواترة، وتوافقت معها روايات أهل السنّة ـ في قسم منها ـ فكان هذا القول هو المتفق عليه بين الفريقين، كما سيأتي ذكر أسماء جماعة من مشاهير أهل السنّة في الحديث والتاريخ وغيرهما القائلين بأن المهدي ابن الإمام الحسن الزكي العسكري عليه السلام، من ولد الحسين.

وانفردت كتب أولئك القوم بروايات تفيد أنه من ولد الإمام الحسن السبط الأكبر عليه السلام، وبه قال جماعة منهم:

قال الشيخ علي القاري: «واختلف في أنه من بني الحسن أو من بني الحسين. ويمكن أن يكون جامعاً بين النسبتين الحسنين، والأظهر أنه من جهة الأب حسني، ومن جانب الأم حسيني، قياساً على ما وقع في ولدي إبراهيم وهما إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، حيث كان أنبياء بني إسرائيل كلّهم من بني إسحاق، وإنما نبّئ من ذريّة إسماعيل نبيّنا صلّى الله عليه وآله وقام مقام الكلّ، ونعم العوض وصار خاتم الأنبياء، فكذلك لما ظهرت أكثر الأئمة وأكابر الأمة من ولد الحسين، فناسب أن ينجبر الحسن بأن أعطي له ولد يكون خاتم الأولياء ويقوم مقام سائر الأصفياء.

على أنه قد قيل: لما نزل الحسن رضي الله تعالى عنه عن الخلافة الصوريّة ـ كما ورد في منقبته في الأحاديث النبوية أعطي له لواء ولاية المرتبة القطبية، فالمناسب أن يكون من جملتها النسبة المهدوية المقارنة للنبوة العيسوية، واتفاقها على إعلاء كلمة الملّة النبوية على صاحبها ألوف السلام وآلاف التحيّة.

وسيأتي في حديث أبي إسحاق عن علي كرم الله تعالى وجهه ما هو صريح في

هذا المعنى. والله تعالى أعلم»[١].

أقول:

أوّلاً: إن قضيّة (المهدي) من الأمور الغيبية التي أخبر عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ كما أخبر عن القبر والقيامة وأحوالها، وعن الفتن والملاحم وعن أشراط الساعة وقضايا الدجّال وغير ذلك ـ ولا يجوز الإعتماد في مثل هذه الأمور الإعتقادية إلا على الأخبار الصحيحة المتقنة الواردة عنه، فكيف بمثل ما ذكره القاري من الاستحسانات والتخيّلات التي صنعتها الأفكار الفاسدة والأوهام الكاسدة.

وعلى الجملة، فإنه لا يجوز الإعتقاد بشيء استناداً إلى (القيل) و(المناسب أن يكون...) وما هو من هذا القبيل.

وثانياً: إن هذا الوجه الذي ذكره لأن يكون(المهدي)من ولد (الحسن) وهو (تنازل الحسن عن الخلافة) إن هو إلا وجه اصطنعه القوم في مقابل ما ورد في أخبار أهل البيت عليهم السّلام من أن الله سبحانه جعل (المهدي) من ولد (الحسين)، لاستشهاده في سبيل الله وحفظاً لدينه من كيد المنافقين من بني أمية وغيرهم.

وثالثاً: قوله: «وسيأتي في حديث أبي إسحاق...» يفيد أن الحديث المشار إليه هو عمدة القائلين بأن (المهدي) من ولد (الحسن) لا (الحسين) وهذا هو الكلام عليه بالتفصيل:

فقد أخرج صاحب المشكاة عن أبي إسحاق قال: «قال علي ـ ونظر إلى ابنه الحسن ـ قال: إن ابني هذا سيّد كما سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله، وسيخرج من صلب رجل يسمى باسم نبيّكم، يشبهه في الخُلق ولا يشبهه في الخَلق. ثم ذكر قصة: يملأ الأرض عدلاً. رواه أبو داود ولم يذكر القصة»[٢].

---

(١) المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ١٧٩.

(٢) مشكاة المصابيح ٣ / ١٥٠٣.

قال القاري بشرحه: «فهذا الحديث دليل صريح على ما قدّمناه من أن المهدي من أولاد الحسن ويكون له انتساب من جهة الأم إلى الحسين، جمعاً بين الأدلّة، وبه يبطل قول الشيعة: إن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري القائم المنتظر، فإنه حسيني بالإتفاق.

لا يقال: لعلّ علياً رضي الله تعالى عنه أراد به غير المهدي.

فإنا نقول: يبطله قصّة يملأ الأرض عدلاً، إذ لا يعرف في السّادات الحسينيّة ولا الحسنية من ملأ الأرض عدلاً إلا ما ثبت في حق المهدي الموعود»[(١)].

أقول: إنه لا دليل في الأصول الستة المسمّاة بالصّحاح عند القوم، على أن (المهدي) من ولد (الحسن) إلا هذا الحديث، وهو ليس إلا في (سنن أبي داود).

قال ابن الأثير: «[د ـ أبو إسحاق، عمرو بن عبد الله السبيعي رحمه الله قال: قال علي ـ ونظر إلى ابنه الحسن ـ فقال:... ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً] أخرجه أبو داود ولم يذكر القصة»[(٢)].

وقال الشيخ منصور: «عن علي رضي الله عنه قال وقد نظر إلى ابنه الحسن: إن ابني هذا سيد كما سمّاه النبي صلّى الله عليه وآله، وسيخرج من صلبه رجل يسمّى باسم نبيّكم يشبهه في الخُلق ولا يشبهه في الخَلق. وعنه عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: يخرج رجل من وراء النهر... رواهما أبو داود»[(٣)].

أقول: إذا كان هذا هو الدليل الوحيد للقول بأن (المهدي) من ولد (الحسن)، فلابدّ من التأمل فيه سنداً ولفظاً ومدلولاً:

أمّا سند الحديث، فقد جاء في سنن أبي داود:

---

(١) المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ١٦٨.

(٢) جامع الأصول ١١ / ٤٩.

(٣) التاج ٥ / ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

«قال أبو داود: حدثت عن هارون بن المغيرة قال: نا عمرو بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن أبي إسحاق، قال قال علي... ثم ذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً»[١].

ويكفي لوهنه ما في أول السّند وآخره.

أمّا أوّله فأبو داود يقول: «حدثت عن هارون بن المغيرة» فمن الذي حدّثه به؟

وأمّا في آخره فأبو إسحاق السبيعي إنما رأى علياً عليه السلام رؤية فقط، فلابدّ وأنه حدّث بذلك، فمن الذي حدّثه به؟

هذا، وقد جاء في حاشية جامع الأصول عن الحافظ المنذري: «قال المنذري: هذا منقطع؛ أبو إسحاق رأى عليّاً رؤية فقط. وقال فيه أبو داود: حدّثت عن هارون بن المغيرة» كما جاء في حاشية المشكاة «إسناد الحديث ضعيف».

وأمّا لفظه فمختلف صدراً وذيلاً.

أمّا صدره، ففي أنه (الحسن) أو (الحسين)؟ فقد قال القندوزي الحنفي: «وعن أبي إسحاق قال: قال علي -ونظر إلى ابنه الحسين، قال: إن ابني هذا سيد... ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً. رواه أبو داود ولم يذكر القصة»[٢].

وهذا نفس ما جاء في (جامع الأصول) و(المشكاة) نقلاً عن (أبي داود) إلا أنه بلفظ (الحسين) لا (الحسن).

هذا بالنسبة إلى حديث أبي داود.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى حديث غيره من أحاديث الباب، الواردة في بعض الكتب، فهذا السّلمي الشافعي يروي في كتاب (عقد الدرر في أخبار المنتظر) عن الأعمش عن أبي وائل مثل حديث أبي إسحاق السّبيعي، لكن النسخ مختلفة، فعن

---

(١) صحيح أبي داود ٢ / ٣١١.

(٢) ينابيع المودة ٣ / ٢٥٩.

النسخة الأصلية، وكذا المستنسخة عن خطّ المؤلّف: «نظر إلى الحسين» وفي بعض النسخ الأخرى منه: «نظر إلى الحسن». وروى عن الحافظ أبي نعيم في (صفة المهدي) حديث حذيفة الآتي عن (ذخائر العقبى)، فكان في النسخة الأصلية والمكتوبة عن خطّه أيضاً: «وضرب بيده على الحسين»، لكن في بعض النسخ الأخرى: «الحسن»[١].

فهل وقع هذا الإختلاف عندهم من جهة الشّبه بين لفظي (الحسن) و(الحسين) كتابة، أو كان هناك قصد وعمد من بعض المغرضين كيلا تصل الحقائق إلى الأمّة كما هي، وكما تروى عن أهل البيت الذين هم أدرى بما في البيت؟

إنه وإن لم نستبعد الاحتمال الأوّل، لكن الذي يقوى في النظر هو الثاني، لقرائن كثيرة عندنا تؤيّده، لا سيّما فيما يتعلّق بأهل البيت، وحتى في هذا المورد عثرنا على قرينة على أن القوم كانوا يحاولون كتم الحقيقة ـ وهي كون (المهدي) من ولد (الحسين) ـ أو كانوا يمتنعون من التصريح بها والله العالم بسبب ذلك! وذلك:

ما رواه الإمامان الحافظان أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادي، وأبو عبد الله نعيم بن حماد، عن قتادة قال: «قلت لسعيد بن المسيب: أحق المهدي؟ قال: نعم، هو حق. قلت: ممن هو؟ قال: من قريش. قلت: من أي قريش؟ قال: من بني هاشم. قلت: من أي بني هاشم؟ قال: من ولد عبد المطلب. قلت: من أي ولد عبد المطلب؟ قال: من أولاد فاطمة. قلت: من أي ولد فاطمة؟ قال: حسبك الآن»[٢].

قلت: فلماذا (حسبك الآن)؟ الله أعلم!

هذا فيما يتعلّق بصدر حديث أبي داود.

وأمّا ذيله، فقد عرفت أن أبا داود يقول: «وذكر قصة يملأ الأرض عدلاً» فمن الذي (ذكر)؟

---

(١) عقد الدرر: ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) عقد الدرر: ٢٣.

ولماذا لم يذكر أبو داود القصّة، كما نبّه عليه ابن الأثير وصاحب المشكاة وغيرهما؟

ثم جاء صاحب (التاج) فلم يذكر قوله: «وذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً» أصلاً، مما يؤكّد أن هذه القطعة لم تكن من الحديث.

ويزيده تأكيداً أن الحافظ البيهقي رواه في كتاب (البعث والنشور) عن أبي إسحاق كذلك، أي إلى قوله: «يشبهه في الخُلق ولا يشبهه في الخَلق»[١].

وأمّا مفاد الحديث ومدلوله، فإنه بعد ما عرفت الإضطراب في لفظه ومتنه لا يدلّ على شيء، فلا يبقى مجال لما ذكره القاري، ويسقط ما ادّعاه من أن الحديث يبطل ما تذهب إليه الشيعة الإمامية!

وأيضاً: يبقى الإشكال الذي أورده بقوله: «لا يقال: لعلّ علياً...» على حاله، إذ قصة (يملأ الأرض عدلاً) لم يظهر كونها من الحديث عن علي عليه السلام لو كان بلفظ (الحسن).

وتلخص: أن لا دلالة لحديث أبي داود على ما ذهب إليه بعض أهل السنّة من أن (المهدي) من ولد (الحسن) إن صحّ سنده....

وقد ثبت عندنا أن لا مستمسك لهذا القول في الكتب المعتبرة المشتهرة عندهم إلّا هذا الحديث الذي عرفت حاله سنداً ومتناً ودلالة.

فما ذهب إليه أصحابنا ـ ووافقهم عليه من غيرهم كثيرون ـ من أنه من ولد (الحسين) هو الحق.

وبه تواترت الأخبار عندهم، ومن أخبار أهل السنّة في ذلك:

قوله صلّى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله عز وجل

---

(١) عقد الدرر: ٣١.

ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي، اسمه اسمي. فقام سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ فقال: يا رسول الله، من أيّ ولدك؟ قال: من ولدي هذا. وضرب بيده على الحسين». أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الأربعين حديثاً في المهدي، وغيرهما، وراجع: المنار المنيف لابن القيم: ١٤٨، عقد الدرر: ٢٤، فرائد السمطين ٢ / ٣٢٥، القول المختصر: ٧.

وقوله صلّى الله عليه وآله لفاطمة بضعته في مرض وفاته: «ما يبكيك يا فاطمة؟ أما علمت أن الله تعالى اطّلع إلى الأرض إطلاعة فاختار منها أباك فبعثه نبياً، ثم اطّلع ثانية فاختار بعلك، فأوحى إليّ فأنكحته واتّخذته وصياً. أما علمت أنك بكرامة الله تعالى أباك زوجك أعلمهم علماً وأكثرهم حلماً وأقدمهم سلماً؟ فضحكت واستبشرت. فأراد رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ أن يزيدها مزيد الخير كلّه الذي قسمه الله لمحمد وآل محمد، فقال لها:

يا فاطمة، ولعلي ثمانية أضراس يعني مناقب، إيمان بالله ورسوله، وحكمته، وزوجته، وسبطاه الحسن والحسين، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. يا فاطمة: إنا أهل بيت أعطينا ست خصال لم يعطها أحد من الأوّلين ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا أهل البيت: نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصيّنا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمّ أبيك، ومنّا سبطا هذه الأمة وهما ابناك، ومنّا مهدي الأمة الذي يصلّي عيسى خلفه.

ثم ضرب على منكب الحسين فقال: من هذا مهدي الأمة».

أخرجه الدارقطني وأبو المظفر السمعاني. وانظر: البيان للكنجي الشافعي، وكفاية الطالب / ٥٠١، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي / ٢٩٥.

وعن عبد الله بن عمرو: «يخرج المهدي من ولد الحسين من قبل المشرق، لو استقبلته الجبال لهدمها واتخذ فيها طرقاً».

أخرجه الحافظ نعيم بن حمّاد، والحافظ الطبرانيو الحافظ أبو نعيم. راجع: عقد الدرر للسلمي الشافعي / ٢٢٣.

٨ ـ ذكر بعض من قال بأن المهدي هو ابن الحسن العسكري

ولقد صرّح جماعة كبيرة من أعلام أهل السنة، بمن فيهم المحدّثون والمؤرّخون والعرفاء والصوفية، بأن (المهدي) هو ابن (الحسن بن علي العسكري) ونصّوا على ولادته، ومنهم:

أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري، المتوفى سنة ٢٧٩.

أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨.

أبو محمد عبد الله بن الخشاب، المتوفى سنة ٥٦٧.

ابن الأزرق المؤرخ، المتوفى سنة ٥٩٠.

ابن عربي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٣٨.

كمال الدين ابن طلحة، المتوفى سنة ٦٥٢.

سبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤.

أبو عبد الله الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨.

صدر الدين القونوي، المتوفى سنة ٦٧٢.

صدر الدين الحموئي، المتوفى سنة ٧٢٣.

عمر بن الوردي، المتوفى سنة ٧٤٩.

صلاح الدين الصفدي، المتوفى سنة ٧٦٤.

شمس الدين ابن الجزري، المتوفى سنة ٨٣٣.

ابن الصباغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.

جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

الشيخ عبد الوهاب الشعراني، المتوفى سنة ٩٧٣.

ابن حجر المكي، المتوفى سنة ٩٧٣.

الشيخ علي القاري، المتوفى سنة ١٠١٣.

الشيخ عبد الحق الدهلوي، المتوفى سنة ١٠٥٢.

شاه ولي الله الدهلوي، المتوفى سنة ١١٧٦.

الشيخ القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٤.

النظر في كلام ابن تيمية والردّ عليه

إذا عرفت ما ذكرناه في الفصول المتقدمة، ظهر لك ما في كلمات ابن تيمية في المقام، من المزاعم الباطلة والدعاوي العاطلة:

أمّا قوله: «ذكر محمد بن جرير الطبري وعبد الباقي ابن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ: إن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب».

ففيه:

نسبة القول بأن الإمام العسكري لم يعقب إلى الطبري

أولاً: إن المرجع المعتمد عليه في مثل هذه الأمور هم (أهل البيت) ومن كان منهم ومن شيعتهم العارفين بأحوالهم، لا الأباعد الذين لا يمتّون إليهم بصلة، فكيف بالمقاطعين والمناوئين لهم!

وثانياً: قد عرفت أن القائلين بولادة الإمام المهدي ابن الحسن العسكري عليهما السلام من غير شيعتهم كثيرون.

وثالثاً: لقد سبق وأن نسب هذا القول إلى الطبري وعبد الباقي وغيرهما من أهل العلم بالنسب، فقال محمد رشاد سالم في ذيله هناك ما هذا نصه: «قد أشار الأستاذ

محب الدين الخطيب في تعليقه على المنتقى من منهاج الاعتدال، تعليق ٢/ ٣) إلى واقعة حدثت سنة ٣٠٢، وهي مذكورة في تاريخ الطبري، تبيّن أن الحسن العسكري لم يعقب. وقد ذكر الواقعة عريب بن سعد القرطبي في صلة تاريخ الطبري: ٨/ ٣٤ ـ القاهرة ـ ١٣٥٨/ ١٩٣٩»[١].

فاكتفى هناك بـ(الإشارة) إلى (الإشارة)، ثم أوضح ذلك هنا قائلاً: «أشرت هناك إلى أن عريب بن سعد القرطبي قد ذكر في (صلة تاريخ الطبري) أن الحسن بن علي العسكري لم يعقب، وخلاصة هذه الواقعة في (تاريخ الطبري: ١١/ ٤٩ ـ كتاب الصلة): إن رجلاً زعم أنه محمد بن الحسن المهدي فأمر المقتدر بإحضار ابن طومار نقيب الطالبيين ومشايخ آل أبي طالب فسأله عن نسبته، فزعم أنه محمد بن الحسن بن موسى بن جعفر الرضا، وأنه قدم من البادية. فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن. وكان قوم يقولون: إنه أعقب وقوم قالوا: لم يعقب... الخ»[٢].

ثم نقل كلام بعض المعاصرين وهو الدكتور أحمد صبحي!!

هذا غاية ما أمكن الرجل أن يذكره تشييداً وتأييداً لنسبة نفي الإعقاب إلى الطبري وغيره من علماء التواريخ والأنساب!

فابن تيمية لم يذكر لا موضع كلام الطبري وابن قانع، ولا واحداً من أسماء غيرهما من أهل التاريخ والنسب!

وهذا الرجل الناشر لكتابه والمعلّق عليه لم يأت بموضع كلام الطبري ولا غيره مطلقاً، وإنما أشار إلى وجود «واقعة» كما قال، أوردها عريب بن سعد القرطبي في كتاب (صلة تاريخ الطبري)! وهو تارة يكتفي بـ«إشارة الأستاذ محب الدين...» إلى تلك

(١) منهاج السنة ١/ ١٢٢ هامش.

(٢) منهاج السنة ٤/ ٨٧.

«الواقعة» الحادثة في سنة ٣٠٢ ويدّعي كونها مذكورة في تاريخ الطبري «لابدّ أن تكون في حوادث السّنة المذكورة!» وهو يزعم أن الواقعة «تبين» أن الحسن العسكري لم يعقب، ثم يضيف أنه «قد ذكر الواقعة عريب...» فكأنها مذكورة في (تاريخ الطبري) و(صلة تاريخ الطبري) معاً في سنة ٣٠٢. وتارة أخرى: لا ينسب الخبر إلى (الطبري) وإنما ينسبه إلى (عريب) ويقول من قبل: «إن عريب بن سعد القرطبي قد ذكر في صلة تاريخ الطبري أن الحسن بن علي العسكري لم يعقب»!! ثم إنه لم يذكر «الواقعة» بتمامها، وإنما ذكر «خلاصة هذه الواقعة...».

فنقول:

١ ـ بغض النظر عن تكلّمهم في الطبري وكتابه، فلم يقل في (تاريخه) إن الحسن بن علي العسكري لم يعقب، فنسبة القول بذلك إليه كذب.

٢ ـ إن (تاريخ الطبري) ينتهي بحوادث سنة ٣٠٢ وليس فيها الواقعة، فالقول بوجودها فيه كذب.

٣ ـ وعبد الباقي بن قانع الأموي البغدادي ـ لو فرض كونه قائلاً بذلك، وفرض أيضاً كونه من أهل التاريخ والنسب ـ مجروح مقدوح فيه، أورده الحافظان الذهبي وابن حجر في (الميزان)[1] و(لسان الميزان)[2] وترجم له الذهبي في (سير أعلام النبلاء) فلم ينقل فيه إلا كلمات الذم والتضعيف[3]....

لكن الظاهر أنه لم يقل بذلك، وإلا لذكره المقلّدون لابن تيمية، فالنسبة كاذبة.

٤ ـ ولم يذكر ابن تيمية اسم أحد من أهل التاريخ والنسب غير الرجلين... ولو كان لأبان ذلك مقلّدوه، فالنسبة كاذبة.

---

(١) ميزان الاعتدال ٢ / ٥٣٢.

(٢) لسان الميزان ٣ / ٣٨٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٢٦.

٥ ـ وعريب بن سعد (أو سعيد) صاحب (صلة تاريخ الطبري) مجهول، لا ذكر له في كتب الرجال ولا نقل عنه في كتب الحديث أصلاً، فالاعتماد على نقل هكذا شخص لـ(واقعة) لنفي مطلب مثل ما نحن فيه باطل.

٦ ـ وعريب القرطبي، هذا لم يذكر ولم يقل (أن الحسن بن علي العسكري لم يعقب) فالنسبة كاذبة.

٧ ـ و(الواقعة) المحكيّة في (صلة تاريخ الطبري) لا سند لها، والإستناد إلى واقعة هذا حالها لنفي أمر اعتقادي وللردّ على قول الإمامية، لا يصدر إلّا من جاهل لا يعرف طريقة الاستدلال، أو من متعصّب مبغض للنبي والآل صلّى اللّه عليه وآله.

٨ ـ على أن (الواقعة) لا علاقة لها بـ(المهدي) ولا (الحسن بن علي العسكري)... ولعلّه لذا لم يورد الدكتور المحقق القصّة ومحلّ الشاهد منها... بل أضاف قبل ذكر خلاصتها جملة: «إن رجلاً زعم أنه محمد بن الحسن المهدي» وسترى أن كلتا الجملتين كذب.

٩ ـ (الواقعة) كما في (صلة تاريخ الطبري) في حوادث سنة ٣٠٢هـ: «وفيها جاء رجل حسن البزّة، طيب الرائحة، إلى باب غريب خال المقتدر، وعليه دراعة وخف أحمر وسيف جديد بحمائل، وهو راكب فرساً ومعه غلام، فاستأذن للدخول، فمنعه البواب، فانتهره وأغلظ عليه ونزل فدخل، ثم قعد إلى جانب الخال وسلّم عليه بغير الإمرة. فقال له غريب، وقد استبشع أمره: ما تقول أعزّك اللّه؟ قال: أنا رجل من ولد علي بن أبي طالب، وعندي نصيحة للخليفة لا يسعني أن يسمعها غيره... فاجتهد الوزير والحاجب نصر والخال أن يعلمهم النصيحة ما هي، فأبى حتى أدخل إلى الخليفة....

وأمر المقتدر أن يحضر ابن طومار نقيب الطالبيين ومشايخ آل أبي طالب... فسأل ابن طومار عن نسبته، فزعم أنه محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الرضا،

وأنه قدم من البادية.

فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن ـ وكان قوم يقولون: إنه أعقب وقوم قالوا: لم يعقب ـ فبقي الناس في حيرة من أمره، حتى قال ابن طومار: هذا يزعم أنه قدم من البادية وسيفه جديد الحلية والصنعة، فابعثوا بالسيف إلى دار الطاق وسلوا عن صانعه وعن نصله.

فبعث به إلى أصحاب السيوف بباب الطاق، فعرفوه واحضروا رجلاً ابتاعه من صيقل هناك، فقيل له: لمن ابتعت هذا السيف؟ فقال: لرجل يعرف بابن الضبعي، كان أبوه من أصحاب ابن الفرات، وتقلّد له المظالم بحلب، فأحضر الضبعي الشيخ، وجمع بينه وبين هذا المدّعي إلى بني أبي طالب، فأقرّ بأنه ابنه، فاضطرب الدّعي وتلجلج في قوله، فبكى الشيخ بين يدي الوزير حتى رحمه ووعده بأن يستوهب عقوبته ويحبسه أو ينفيه.

فضج بنو هاشم وقالوا: يجب أن يشهَّر هذا بين الناس ويعاقب أشدّ عقوبة. ثم حبس الدعيّ وحمل بعد ذلك على جمل وشهِّر في الجانبين، يوم التروية ويوم عرفة، ثم حبس في حبس المصريين بالجانب الغربي»[١].

أقول: فهذه هي (الحكاية) الواردة في (صلة تاريخ الطبري) وهل هي (واقعة) أوْ لا؟ الله العالم.. ولكنها كما ترى لا ذكر فيها لـ(المهدي)، بل الرجل ادّعى كونه (محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الرضا) وهذا غير (المهدي) الذي تقول به الشيعة ويعترف به من غيرهم جماعة، فإنه (محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق) والذي أنكر ابن طومار ـ وغيره ممن أنكر، بناء على صحة الخبر واعتبار ما صدر عنهم من الإنكار ـ هو من أعقاب (الحسن بن علي بن

(١) صلة تاريخ الطبري، المطبوع معه. أنظر ٣٤ـ٣٥.

موسى بن جعفر).

وأي ربط لهذا بما نحن فيه، أيها (الدكتور) الأريب! وأيها (الأستاذ الخطيب)؟!

وأمّا قوله: «والإمامية الذين يزعمون أنه كان له ولد يدّعون أنه دخل السرداب بسامراء وهو صغير... فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إماماً لجميع المسلمين معصوماً، لا يكون أحد مؤمناً إلا بالإيمان به».

أقول: وهذا واضح البطلان، فإن (الإمامة) مثل (النبوة) لا يعتبر فيها البلوغ. قال الله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً. وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾[1].

وأمّا قوله: «ثم إن هذا باتفاق منهم، سواء قدّر وجوده أو عدمه ـ لا ينتفعون به لا في دين ولا في دنيا...».

فأقول: هذا كذب، بل المتفق عليهم بينهم هو الانتفاع منه في الدّين والدنيا، بل الانتفاع واقع مستمر، ولكن المنافقين لا يعلمون!

وعلى الجملة، فقد أثبت الأصحاب وقرّروا في محلّه من كتب الإمامة: أن الإمامة واجبة على الله من باب اللّطف، وأن الأرض لا تخلو من إمام، وأن وجود الإمام لطف وتصرّفه لطف آخر وعدمه منّا.

كما أن الرسالة واجبة على الله كذلك، وأنه يرسل الرسل مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجّة، وليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة، فكانت الأمم كلّما جاءهم رسول من عند الله وقتلوه بغير حق، أرسل إليهم غيره، فكان منهم من يقتل في اليوم الأول من دعوته، حتى جاء نبينا صلّى الله عليه وآله فحاربه

---

(١) سورة مريم: ٢٩ ـ ٣١.

قومه وآذوه حتى قال: «ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت»... وكان من ذلك أنهم حبسوه في الشعب... لكن لم تبطل نبوته مدّة كونه فيه....

وكذلك الأئمة من بعده صلّى اللّٰه عليه وآله أوذوا وقتلوا، فلم يكن إعراض الأمة عنهم ـ واتباعهم لأهل الفسق والفجور بعنوان الخلفاء عن الرسول ـ بمبطل لإمامتهم، كما ليس غيبة الثاني عشر منهم بمبطل لإمامته.

هذا موجز الكلام في هذا المقام، وللتفصيل مجال آخر.

مسألة طول العمر

وأمّا قوله: «ثم إن عمر واحد من المسلمين هذه المدّة ـ أمر يعرف كذبه بالعادة المطردة في أمة محمد، فلا يعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة، فضلاً عن هذا العمر...».

أقول: إن اللّٰه عز وجل قادر على أن يبقي الإنسان ـ أي إنسان شاء ـ بأيّ مقدار شاء، وخوارق العادات في العالم بإذنه وإرادته كثيرة لا تحصى... وهذا لا يختص بأمّة دون أمّة.

ومن الذي يمكنه أن يستقرئ أحوال من ولد في الإسلام من الأوّلين والآخرين حتى يدّعي أن لا يُعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة، حتى يحكم بخروجه عن هذا الدّين إذا وجده.

وهل هذا معنى ما رووه عن النبي صلّى اللّٰه عليه وآله ـ وصححوه ـ أنه قال: «عمر أمتي من ستين إلى سبعين»؟

وعلى الجملة، فإن العمر بيد اللّٰه، فإن كانت المصلحة في بقاء الإنسان مدّة مديدة أبقاه، وإلّا أماته متى اقتضت، ولا فرق بين هذه الأمّة وغيرها، نعم، كان الغالب في الأمم السالفة طول العمر ـ ومنهم من يموت في شبابه ـ والغالب في هذه الأمّة عدم البلوغ إلى

المائة، ومنهم من يبقى ويعمّر أكثر من المائة بكثير، وتلك أخبار المعمّرين في الكتب مسطورة، حتى أفردها بعضهم فألّف كتاب (المعمّرون والوصايا).

هذا، وقد تكلّم غير واحد من أعلام أهل السنّة في مسألة طول عمر المهدي واعترض على الإماميّة، ومنهم من نفى وجود الإمام المهدي من هذا الطريق، وانبرى أصحابنا للجواب عن هذه الشبهة بوجوه كافية وأدلّة وافية، فلاحظ الكتب المفصّلة.

وأمّا قوله: «واحتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل على باطل، فمن الذي يسلّم لهم بقاء الخضر، والذي عليه سائر العلماء المحققون أنه مات، وبتقدير بقائه فليس هو من هذه الأمة».

أقول: الإحتجاج ببقاء الخضر إن هو إلا احتجاج بمورد من الموارد التي اقتضت الحكمة الآلهية بقاء شخص من الأشخاص في هذا العالم، وقد قدّمنا أن هذا لا يختصّ بأمّة دون أمة، إذ المناط القدرة الإلهيّة والحكمة المقتضية لذلك، أمّا القدرة، فلا ينكرها مسلم مؤمن، وأمّا الحكمة، فالله العالم بها....

والخضر واحد من بني آدم، شاء الله عز وجل أن يبقى القرون الكثيرة حتى زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله، حيث روى غير واحد من الأئمة حديث وروده دار النبي صلّى الله عليه وآله بعد وفاته للتعزية، فإنه مما يفيد أنه حيّ موجود، كما صرح بعض الحفاظ[1].

بل لقد عنونه الحافظ ابن حجر في (الإصابة في معرفة الصحابة) قال: «ولم أر من ذكره فيهم من القدماء مع ذهاب الأكثر إلى الأخذ بما ورد من أخباره من تعميره وبقائه» فتكلّم عن نسبه ونبوته وبقائه على نحو التفصيل جدّاً، وعبارته المذكورة صريحة في ذهاب الأكثر إلى بقائه.

---

(١) المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ٥٠٤.

وبهذا نصّ كثيرون من الأئمة ـ كما نقل عنهم ـ كالحسن البصري والثعلبي والنووي وأبي عمرو بن الصلاح وأبي عبد الرحمن السّلمي واليافعي وغيرهم، ولهم في ذلك أخبار وحكايات أفردها بعضهم ـ كعبد المغيث بن زهير الحنبلي ـ بالتأليف.

قال النووي في (تهذيبه): «قال الأكثرون من العلماء: هو حيّ موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكايتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير، أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر».

وقال أبو عمرو ابن الصلاح في (فتاويه): «هو حيّ عند جماهير العلماء والصالحين والعامة منهم. قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين».

وقال الحافظ ابن حجر ـ في آخر البحث ـ: «قلت: وذكر لي الحافظ أبو الفضل العراقي شيخنا: أن الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي كان يعتقد أن الخضر حي. قال: فذكرت له ما نقل عن البخاري والحربي وغيرهما من إنكار ذلك، فغضب وقال: من يدعي أنه مات غضبت عليه. قال: فقلنا: رجعنا من اعتقاد موته. انتهى. وأدركنا بعض من كان يدعي أنه يجتمع بالخضر، منهم القاضي علم الدين البساطي الذي ولّي قضاء المالكية في زمن الظاهر برقوق. والله تعالى أعلم وبغيبه أحكم».

هذا، ومثل الخضر في البقاء في هذا العالم: إلياس، فعن محمد بن جرير الطبري: «إن الخضر وإلياس باقيان يسيران في الأرض»[1].

أمّا بقاء عيسى عليه السلام، فمن الضروريّات. كما تواتر الخبر في بقاء الدجّال.

وأمّا قوله ـ ردّاً على العلامة طاب ثراه، في استدلاله بما رواه ابن الجوزي: «فيقال: الجواب عن وجوه...».

---

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان ط مع كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٥٢٢ ـ ولا يخفى أن ابن جرير الطبري ممن يعتمد عليه ابن تيمية في التواريخ والأنساب وفي التفسير.

حديث: اسم أبيه اسم أبي

لنا هنا بحثان، أحدهما: في أن الحديث بلفظ «اسمه اسمي» بدون «واسم أبيه اسم أبي» رواه أحد من أهل العلم بالحديث، أو لا؟ والثاني: في أن الحديث بلفظ «اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» من رواه؟ وما إسناده؟

البحث الأول:

نقول ـ كما قال ابن تيمية: أحاديث المهدي معروفة، رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، كحديث عبد الله بن مسعود، عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد...».

لكن الحديث عن ابن مسعود ليس كما ذكره ابن تيمية، وهذا نصه: «وفي رواية أحمد في مسند عبد الله بن مسعود عن عمر بن عبيد عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك رجل من أهل بيتي، اسمه يواطئ اسمي»[(١)].

وعن يحيى بن سعيد عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «لا تذهب الدنيا أو قال: لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، ويواطئ اسمه اسمي»[(٢)].

ورواه بنفس السند واللّفظ مرة أخرى[(٣)].

وعن عمر بن عبيد الطنافسي، عن عاصم عن زر عن عبد الله باللّفظ[(٤)].

---

(١) مسند أحمد ١ / ٣٧٦ـ٣٧٧.

(٢) مسند أحمد ١ / ٣٧٧.

(٣) مسند أحمد ١ / ٤٣٠.

(٤) مسند أحمد ١ / ٤٤٨.

وفي رواية الترمذي: «حدثنا عبيد بن أسباط بن محمد القرشي الكوفي قال: حدثني أبي، حدثنا سفيان الثوري، عن عاصم بن بهدلة، عن زر، عن عبد لله قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي. قال أبو عيسى: وفي الباب عن: علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة. وهذا حديث حسن صحيح»[1].

البحث الثاني:

والحديث في رواية أبي داود كذلك، غير أنه رواه في أحد الأسانيد بزيادة لفظ «واسم أبيه اسم أبي» وهذا نص ما ذكره:

«حدثنا مسدد: أن عمر بن عبيد حدّثهم. وثنا محمد بن العلاء ثنا أبو بكر ـ يعني ابن عياش ـ ح وثنا مسدد، ثنا يحيى، عن سفيان، وثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا زائدة. ح وثنا أحمد بن إبراهيم حدثني فطر ـ المعنى واحد ـ كلّهم عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، قال زائدة: لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي. زاد في حديث فطر: يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وقال في حديث سفيان: لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي.

قال أبو داود: لفظ عمر وأبي بكر بمعنى سفيان»[2].

فظهر التطابق في الرواية لحديث عبد الله بن مسعود، بين رواية أحمد والترمذي وأبي داود، وهو المطابق لما تذهب إليه الإمامية، ووافقهم عليه من غيرهم كثيرون من

---

(١) صحيح الترمذي ٣/ ٣٤٣.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠.

أنه (محمد بن الحسن العسكري) فاسمه يواطئ اسم جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله. وانفرد أبو داود برواية الحديث بسند فيه (زائدة) بزيادة لفظ «واسم أبيه اسم أبي».

وقد تكلّم علماء الفريقين على هذا اللّفظ سنداً ومعنى، وأجابوا عنه بوجوه عديدة، لا حاجة بنا إلى التطويل بإيرادها بعد ما تقرّر لزوم طرح الشاذ النادر من الأخبار، والأخذ بالمجمع عليه، لكون المجمع عليه لا ريب فيه.

وقد كرّر ابن تيمية دعواه في لفظ حديث عبد الله بن مسعود، ولم يعز روايته بلفظ (واسم أبيه اسم أبي) إلى أحد غير أنه أن أورده كذلك قال:

«ورواه الترمذي وأبو داود من رواية أم سلمة» وظاهره إخراجهما الحديث عنها بذاك اللّفظ. وهو كذب في كذب. ولننقل عين عبارته:

«إن الأحاديث التي يحتجّ بها عن خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم، من حديث ابن مسعود وغيره، كقوله صلّى الله عليه وآله في الحديث الذي رواه ابن مسعود: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يخرج فيه رجل مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ورواه الترمذي وأبو داود من رواية أم سلمة...

وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف، طائفة أنكروها واحتجّوا بحديث ابن ماجة أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: لا مهدي إلا عيسى بن مريم. وهذا الحديث ضعيف...».

أقول: قد عرفت أن (اللّفظ المتفق عليه بين الأئمة) هو الحديث الخالي عن (واسم أبيه اسم أبي) وأن هذا اللّفظ ما رواه إلا أبو داود في أحد أسانيده، وفيه (زائدة) وقد نصّ على أن هذه الزيادة من رواية هذا الرجل فحسب، وما وافقه عليها أحد.

لكن ابن تيمية يحاول أن يوهم أن الزيادة هي المتفق عليه، وأن اللّفظ الخالي عنها

من صنع الإمامية وتحريف للحديث!! بل يريد في هذا الكلام أن يوهم أن اللّفظ مع الزيادة مروي عن أم سلمة كذلك.

ثم إن ابن تيمية تعرّض لبعض ما قيل في الجواب عن الزيادة، إذ حملوها على وجوه لغرض الجمع بينها وبين اللّفظ المتفق عليه، فأورد كلام العلامة ابن طلحة الشّافعي، وجعل يشنّع عليه ويرميه بالتحريف... وهذا عين عبارته:

«إن الاثني عشرية الذين ادّعوا أن هذا هو مهديّهم، مهديهم اسمه محمد بن الحسن، والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي صلّى اللّه عليه وآله محمد بن عبد اللّه.

ولهذا حذفت طائفة ذكر الأب من لفظ الرسول حتى لا يناقض ما كذبت.

وطائفة حرّفته، فقالت: جدّه الحسين وكنيته أبو عبد اللّه، فمعناه: محمد بن أبي عبد اللّه، وجعلت الكنية اسماً، وممن سلك هذا ابن طلحة في كتابه الذي سمّاه (غاية السئول في مناقب الرسول). ومن له أدنى نظر يعرف أن هذا تحريف صريح كذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله. فهل يفهم أحد من قوله: يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، إلا أن اسم أبيه عبد اللّه؟ وهل يدلّ هذا اللّفظ على أن جدّه كنيته أبو عبد اللّه؟....

وأيضاً: فإن المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين، كما تقدّم لفظ حديث علي»[1].

أقول: إن المنعوت الذي وصفه النبي صلّى اللّه عليه وآله هو (محمد بن الحسن) فإنه مفاد الحديث الصحيح المتفق عليه الذي لا كلام فيه، وأمّا الذي فيه ذكر الأب فليس من لفظ الرسول حتى يناقض ما ذهب إليه الاثنا عشرية، وإنما هو رواية واحد من الرواة وقد خالفه غيره فيه....

---

(١) منهاج السنة ٨/ ٢٥٤ ـ ٢٥٨.

ولكن العلماء ـ كما ذكرنا من قبل ـ أرادوا الجمع بينه وبين اللّفظ الصحيح المتفق عليه فحملوه على بعض الوجوه، وهي سواء صحّت أو لم تصح محامل ولا يجوز التعبير عن تلك الوجوه بـ(التحريف) إلا جاهل غبي أو متعصّب عنيد.

وقد كان من تلك الوجوه ما ذكره العلامة الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ في كتاب (مطالب السئول في مناقب آل الرسول)[1] فإنه قال بعد ذكر الإشكال: «فالجواب: لابدّ قبل الشروع في تفصيل الجواب من بيان أمرين يبتني عليهما الغرض:

الأول: إنه من السايغ الشايع في لسان العرب إطلاق لفظة (الأب) على (الجدّ الأعلى) وقد نطق القرآن الكريم بذلك فقال ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ وقال تعالى حكاية عن يوسف ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ ونطق به النبي وحكاه عن جبرئيل في حديث الإسراء أنه قال: قلت: من هذا؟ قال: أبوك إبراهيم. فعلم أن لفظة الأب تطلق على الجدّ وإن علا، فهذا أحد الأمرين.

والأمر الثاني: إن لفظة (الإسم) تطلق على (الكنية) وعلى (الصفة) وقد استعملها الفصحاء ودارت بها ألسنتهم ووردت في الأحاديث، حتى ذكرها الإمامان البخاري ومسلم، كلّ واحد منهما يرفع ذلك بسنده إلى سهل بن سعد السّاعدي أنه قال عن علي: والله إن رسول الله سماه بأبي تراب ولم يكن له اسم أحبّ إليه منه. فأطلق لفظة الإسم على الكنية. ومثل ذلك قال الشاعر:

أجل قدرك أن تسمّى مؤنته ‏ ‏ ‏ ومن كناك قد سمّاك للعرب

وروي: ومن يصفك. فأطلق التسمية على الكناية وهو شائع في كلام العرب.

---

(١) هكذا اسمه لا ما ذكره ابن تيمية، وهو مطبوع. وقد ترجم لابن طلحة وأثنى عليه كبار العلماء، وعدّ من فقهاء الشافعية المشاهير. توجد ترجمته في: العبر ٥ / ٢١٣، والنجوم الزاهرة ٧ / ٣٣، وطبقات الشافعية للسبكي وابن قاضي شهبة وغيرها.

فإذا أوضح ما ذكرناه من الأمرين، فاعلم أيّدك الله بتوفيقه:

إن النبي كان له سبطان: أبو محمد الحسن وأبو عبد الله الحسين، ولما كان الخلف الصّالح الحجّة من ولد أبي عبد الله الحسين، ولم يكن من ولد أبي محمد الحسن، وكانت كنية الحسين أباعبد الله، فأطلق النبي على الكنية لفظة الإسم؛ لأجل المقابلة بالإسم في حق أبيه، وأطلق على الجدّ لفظة الأب، فكأنه قال: يواطئ اسمه اسمي، فهو محمد وأنا محمد وكنية جدّه اسم أبي، إذ هو أبو عبد الله وأبي عبد الله. لتكون تلك الألفاظ المختصرة جامعة لتعريف صفاته وإعلاماً أنه من ولد أبي عبد الله الحسين بطريق جامع موجز.

وحينئذ، تنتظم الصفات وتوجد بأسرها مجتمعة للحجة الخلف الصالح محمد.

وهذا بيان شاف كاف لإزالة ذلك الإشكال، فافهمه»[1].

أقول: هذا ما ذكره ابن طلحة الفقيه المحدّث الشافعي في معنى اللفظ الذي شذّ به (زائدة) حتى لا يطرح الحديث، وهذا لا يسمى بـ(التحريف) كما قال ابن تيمية، مع أنه ـ أعني ابن تيمية ـ قد حرّف الكلام ولم ينقله بكامله.

فإن قُبل ما ذكره هذا الشيخ أو غيره، فهو، وإلا سقط حديث (زائدة).

وقوله: «وأيضاً، فإن المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين، كما تقدم في لفظ حديث علي».

فيه: إنه قد تقدّم الكلام على الحديث الذي روي عن علي، فلا نعيد.

وعلى الجملة، فهذا الناصبي لم يذكر الحديث بلفظه المعروف في كتب الحديث مثل: مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي وغير ذلك من الكتب، وإنما ذكره بلفظ مكذوب لم يروه أحد منهم غير أبي داود وبسند واحد من أسانيده... وهذا ما يذكّرنا

---

(١) مطالب السئول في مناقب آل الرسول ٢ / ١٥٩ ـ ١٦٠.

بالقول المعروف: «رمتني بدائها وانسلّت».

بقي الكلام: في طعن ابن تيمية في (سبط ابن الجوزي) وهو ليس إلّا تعصّباً على الرجل لتأليفه كتاب (تذكرة خواص الأمة في معرفة الأئمة)[1].

وهذا دأب ابن تيمية وديدنه مع كلّ من ألّف أو روى في مناقب أهل البيت.

قال قدس سره: فهؤلاء الأئمة المعصومون الذين بلغوا الغاية في الكمال، ولم يتخذوا ما اتخذ غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك وأنواع المعاصي والملاهي وشرب الخمور والفجور حتى بأقاربهم! على ما هو المتواتر من الناس!

قالت الإمامية: فالله يحكم بيننا وبين هؤلاء وهو خير الحاكمين، وما أحسن قول بعض الناس:

إذا شئتَ أن ترضى لنفسك مذهباً ... وتعلمَ صدق الناس في نقل أخبار

فدعْ عنك قولَ الشافعيّ ومالك ... وأحمدَ والمرويَّ عن كعب أحبار

وَوَالِ أناساً قولُهم وحديثُهم ... روى جدُّنا عن جَبْرئيلَ عن الباري

الشرح:

اضطهاد الحكام لأهل البيت وشيعتهم

وهذه نصوص في الباب من الإماميّة وغيرهم، تبيّن جانباً ممّا أجمله شيخنا العلّامة رحمه الله.

كلام لأبي بكر الخوارزمي

قال أبو بكر الخوارزمي في كتاب له إلى جماعة الشيعة في نيسابور، لما قصدهم

---

(١) هكذا اسم كتابه لا ما ذكره ابن تيمية، وهو مطبوع. وسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ توجد ترجمته والثناء عليه ومع وصفه بالحفظ والاعتماد عليه في كثير من الكتب.

واليها محمد بن إبراهيم: «سمعت ـ أرشد الله سعيكم وجمع على التقوى أمركم ـ ما تكلّفكم به السّلطان الذي لا يحتمل إلا العدل، ولا يميل إلا على جانب الفضل، ولا يبالي بأن يمزق دينه إذا رفا دنياه، ولا يفكر في أن لا يقدّم رضا الله إذا وجد رضاه، وأنتم ونحن ـ أصلحنا الله وإياكم ـ عصابة لم يرض الله لنا الدنيا، فذخرنا للدار الأخرى، ورغب بنا عن ثواب العاجل فأعدّ لنا ثواب الأجل، وقسّمنا قسمين: قسماً مات شهيداً، وقسماً عاش شديداً، فالحيّ يحسد الميت على ما صار إليه، ولا يرغب بنفسه عما جرى عليه.

قال أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام: المحن إلى شيعتنا أسرع من الماء إلى الحدور.

وهذه مقالة أسّست على المحن، وولد أهلها في طالع الهزاهز والفتن، فحياة أهلها نغص، وقلوبهم حشوها غصص، والأيام عليهم متحاملة، والدنيا عنهم مائلة، فإذا كنّا شيعة أئمتنا في الفرائض والسنن، ومتّبعي آثارهم في ترك كلّ قبيح وفعل حسن، فينبغي أن نتّبع آثارهم في المحن.

غصبت سيدتنا فاطمة عليها السلام وعلى آلها ميراث أبيها عليها السلام سرّاً.

وقتل أخوه عليه السلام جهراً.

وصلب زيد بن علي بالكناسة.

وقطع رأس زيد بن علي في المعركة[1].

وقتل ابناه محمد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي.

ومات موسى بن جعفر في حبس هارون، وسُمّ علي بن موسى بيد المأمون.

وهزم إدريس بفخ حتى وقع إلى الأندلس فريداً.

---

(١) كذا في المطبوعة في الهند وبيروت.

ومات عيسى بن زيد طريداً شريداً.

وقتل يحيى بن عبد الله بعد الأمان والايمان وبعد توكيد العهود والضمان.

هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلويّة طبرستان، وغير قتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على أيدي آل ساسان، وغير ما صنعه أبو السيّاح في علويّة المدينة، حملهم بلا عطاء ولا وطاء من الحجاز إلى سامراء، وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن علي حين أخذه بابويه، وقد ستر نفسه ووارى شخصه، يصانع حياته ويدافع وفاته، ولا كما فعله الحسين بن إسماعيل المصعبي بيحيى بن عمر الزيدي خاصة، وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة كافة.

وبحسبكم أنه ليست في بيضة الإسلام بلدة إلا وفيها لقتيل طالبي تربة، تشارك في قتله الأموي والعباسي، وأطبق عليهم العدناني والقحطاني.

فليس حي من الأحياء نعرفه من ذي يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر

قادتهم الحميّة إلى المنيّة، وكرهوا عيش الذلّة، فماتوا موت العزة، ووثقوا بما لهم في الدار الباقية، فسخت نفوسهم عن هذه الفانية.

داس عثمان بن عفان بطن عمّار بن ياسر بالمدينة، ونفى أبا ذر الغفاري إلى الربذة، وأشخص عامر بن عبد قيس التميمي، وغرّب الأشتر النخعي وعدي بن حاتم الطائي، وسيّر عمر بن زرارة إلى الشام، ونفى كميل بن زياد إلى العراق، وجفا أبي بن كعب وأقصاه، وعادى محمد بن حذيفة وناواه، وعمل في دم محمد بن سالم ما عمل، وفعل مع كعب ذي الحطبة ما فعل.

واتبعه في سيرته بنو أمية، يقتلون من حاربهم، ويغدرون بمن سالمهم، لا يحظون المهاجري، ولا يصونون الأنصاري، ولا يخافون الله، ولا يحتشمون الناس، قد اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله دولاً، يهدمون الكعبة، ويستعبدون الصّحابة،

ويعطّلون الصّلاة الموقوتة، ويحطّمون أعناق الأحرار، ويسيرون في حرم الرسول سيرتهم في حرم الكفار، وإذا فسق الأموي فلم يأت بالضّلالة عن كلالة!

قتل معاوية حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي بعد الإيمان المؤكدة والمواثيق المغلظة.

وقتل زياد بن سمية الألوف من شيعة الكوفة وشيعة البصرة صبراً، وأوسعهم سبياً وأسراً، حتى قبض الله معاوية على أسوء أعماله، وختم عمره بشرّ أحواله.

فاتّبعه ابنه، يجهز على جرحاه ويقتل أبناء قتلاه، إلى أن قتل هاني بن عروة المرادي ومسلم بن عقيل الهاشمي أوّلاً، وعقب بالحرّ بن زياد الرياحي، وبأبي موسى عمرو بن قرطة الأنصاري، وحبيب بن مظاهر الأسدي، وسعيد بن عبد اللّه الحنفي، ونافع بن هلال البجلي، وحنظلة بن سعد الشافي، وعباس بن أبي شبيب الشاكري، في نيف وسبعين من جماعة شيعة الحسين عليه السلام يوم كربلاء ثانياً.

ثم سلّط عليهم الدعيّ ابن الدعيّ عبيد اللّه بن زياد، يصلبهم على جذوع النخل ويقتلهم ألوان القتل، حتى اجتثّ اللّه دابره ثقيل الظهر بدمائهم التي سفك، عظيم التبعة بحريمهم الذي انتهك.

فانتبهت لنصرة أهل البيت طائفة أراد اللّه أن يخرجهم من عهدة ما صنعوا، ويغسل عنهم وضي ما اجترحوا، فصمدوا صمود الفئة الباغية، وطلبوا دم الشهيد من ابن الزانية، لا يزيدهم قلّة عددهم وانقطاع مددهم وكثرة سواد أهل الكوفة بإزائهم، إلا إقداماً على القتل والقتال، وسخاء بالنفوس والأموال، حتى قتل سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري، وعبد اللّه بن واصل التميمي، في رجال من خيار المؤمنين وعلية التابعين، ومصابيح الأنام وفرسان الإسلام.

ثم تسلّط ابن الزبير على الحجاز والعراق، فقتل المختار، بعد أن شفى الأوتار، وأدرك الثار، وأفنى الأشرار، وطلب بدم المظلوم الغريب، فقتل قاتله، ونفى خاذله،

واتبعوه أباعمر بن كيسان، وأحمر بن شميط، ورفاعة بن يزيد، والسائب بن مال، وعبد الله بن كامل، وتلقطوا بقايا الشيعة، يمثلون بهم كل مثلة، ويقتلونهم شرّ قتلة، حتى طهّر الله من عبد الله بن الزبير البلاد، وأراح من أخيه مصعب العباد، فقتلهما عبد الملك بن مروان ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بعدما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية وأراد إحراقه، ونفى عبد الله بن العباس وأكثر إرهاقه.

فلما خلت البلاد لآل مروان، سلّطوا الحجّاج على الحجازيين، ثم على العراقيين، فتلعّب بالهاشميين، وأخاف الفاطميين، وقتل شيعة علي، ومحا آثار بيت النبي، وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعي.

واتصل البلاء مدّة ملك المروانية إلى الأيام العباسية، حتى إذا أراد الله أن يختم مدّتهم بأكثر آثامهم، ويجعل أعظم ذنوبهم في آخر أيامهم، بعث على بقية الحق المهمل والدّين المعطّل زيد بن علي، فخذله منافقوا أهل العراق، وقتله أحزاب أهل الشام، وقتل معه من شيعته: نصر بن خزيمة الأسدي، ومعاوية بن إسحاق الأنصاري، وجماعة من شايعه وتابعه، وحتى من زوّجه وأدناه، وحتى من كلّمه وأثناه.

فلما انتهكوا ذلك الحريم، واقترفوا ذلك الإثم العظيم، غضب الله عليهم وأنزع الملك منهم، فبعث عليهم أبامجرم لا أبامسلم، فنظر ـ لا نظر الله إليه ـ إلى صلابة العلوية وإلى لين العباسية، فترك تقاه واتبع هواه، وباع آخرته بدنياه، وافتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وسلط طواغيت خراسان، وخوارج بجستان، وأكراد إصفهان على آل أبي طالب، يقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، ويطلبهم في كلّ سهل وجبل، حتى سلّط عليه أحب الناس إليه، فقتل كما قتل الناس في طاعته، وأخذه بما أخذ الناس في بيعته، ولم ينفعه أن أسخط الله برضاه وأن ركب ما يهواه.

وحلت من الدوانيقي الدنيا، فخبط فيها عسفاً وتقصى فيها جوراً وحيفاً، إلى أن مات وقد امتلأت سجونه بأهل بيت الرسالة ومعدن الطيب والطهارة، قد تتبع غائبهم وتلقّط حاضرهم، حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني بالسند، على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبي، فما ظنّك بمن قرب تناوله عليه ولامسه على يديه.

وهذا قليل في جنب ما قتله هارون منهم، وفعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجّه على الحسين بن علي بفخ من موسى، وما اتفق على علي بن الأفطس الحسيني من هارون، وما جرى على أحمد بن علي الزيدي، وعلى القاسم بن علي الحسيني من حبسه، وعلى علي بن غسّان الخزاعي حين أخذ من قبله.

بالجملة: إن هارون مات وقد قصَّر شجرة النبوة واقتلع غرس الإمامة.

وأنتم أصلحكم الله لستم أعظم نصيباً في الدّين من الأعمش فقد أخافوه، ومن علي بن يقطين فقد اتهموه.

فأمّا في الصّدر الأول، فقد قتل زيد بن صوحان العبدي، وعوقب عثمان بن حنيف الأنصاري، وأقصي حارثة بن قدامة السعدي، وجندب بن زهير الأزدي، وشريح بن هاني المرادي، ومالك بن كعب الأرحبي، ومعقل بن قيس الرياحي، والحارث الأعور الهمداني، وأبو الطفيل الكناني، وما فيهم إلا من خرّ على وجهه قتيلاً أو عاش في بيته ذليلاً، يسمع شتمة الوصي فلا ينكر، ويرى قتلة الأوصياء وأولادهم فلا يغير. ولا يخفى عليكم حرج عامتهم وحيرتهم، كجابر الجعفي، وكرشيد الهجري، وكزرارة بن أعين، ليس إلا أنهم ـ رحمهم الله ـ يتولّون أولياء الله ويتبرؤون من أعداء الله، وكفى به جرماً عظيماً عندهم وعيباً كبيراً بينهم.

وقُل في بني العباس، فإنك ستجد بحمد الله تعالى مقالاً، وجُل في عجائبهم فإنك ترى ما شئت مجالاً، يجبى فيئهم فيفرّق على الديلمي والتركي، ويحمل إلى المغربي والفرغاني، يموت إمام من أئمة الهدى، وسيد من سادات المصطفى، فلا تتبع

جنازته ولا تجصّص مقبرته، ويموت ضرّاط لهم أو لاعب أو مسخرة أو ضارب، فتحضر جنازته العدول والقضاة، ويعمر مسجد التعزية عند القوّاد والولاة، ويسلم فيهم من يعرفونه دهرياً أو سوفسطائياً، ولا يتعرّضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً ومانوياً، ويقتلون من عرفوه شيعياً، ويسفكون دم من سمى ابنه علياً.

ولو لم يقتل من شيعة أهل البيت عليهم السّلام غير المعلّى بن خنيس قتيل داود بن علي، ولو لم يحبس فيهم غير أبي تراب المروزي، لكان ذلك جرحاً لا يبرأ، ونائرة لا تطفأ، وصدعاً لا يلتئم، وجرحاً لا يلتحم!

وكفاهم أن شعراء قريش قالوا في الجاهليّة أشعاراً يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام ويعارضون فيها أشعار المسلمين، فحملت أشعارهم ودوّنت أخبارهم، وروتها الرواة مثل الواقدي، ووهب بن منبه التميمي، ومثل الكلبي، والشرقي بن قطامي، والهيثم بن عدي ودأب بن الكناني!

وإن بعض شعراء الشيعة يتكلّم في ذكر مناقب الوصي، بل في ذكر معجزات النبي صلّى اللّه عليه وآله فيقطع لسانه، ويمزّق ديوانه، كما فعل بعبد اللّه بن عمار البرقي، وكما دمّر على دعبل بن علي الخزاعي، مع رفقتهم من مروان بن أبي حفصة اليمامي، ومن علي بن الجهم الشامي، ليس إلا لغلوّهما في النصب، واستيجابهما مقت الرب.

حتى أن هارون بن الخيزران وجعفر المتوكّل على الشيطان لا على الرحمن، كانا لا يعطيان مالاً ولا يبذلان نوالاً إلا لمن شتم آل أبي طالب ونصر مذهب النواصب، مثل عبد اللّه بن مصعب الزبيري، ووهب بن وهب البختري، ومن الشعراء مثل مروان بن أبي حفصة الأموي، ومن الأدباء مثل عبد الملك بن قريب الأصمعي. فأمّا في أيام جعفر فمثل بكار بن عبد اللّه الزبيري، وأبي السمط بن أبي الجون الأموي، وابن أبي الشوارب العبشمي.

ونحن أرشدكم الله، قد تمسّكنا بالعروة الوثقى، وآثرنا الذّين على الدنيا، وليس يزيدنا بصيرة زيادة من زاد فينا، ولن يحلّ لنا عقيدة نقصان من نقص منّا، إن الإسلام بدء غريباً وسيعود كما بدء. كلمة من الله ووصية من رسول الله، إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. ومن اليوم غد وبعد السبت أحد، قال عمار بن ياسر رحمه الله يوم صفين: لو ضربونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل.

ولقد هزم جيش رسول الله صلّى الله عليه وآله ثم هزم، ولقد تأخر أمر الإسلام ثم تقدم ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ ولولا محنة المؤمنين وقلّتهم، ودولة الكافرين وكثرتهم، لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد، ولما قال الله تعالى ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ولما تبين الجزوع من الصبور ولا عرف الشكور من الكفور، ولما استحق المطيع الأجر، ولا احتقب العاصي الوزر. فإن أصابتنا نكبة فذلك ما تعوّدناه، وإن رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه، وعندنا بحمد الله تعالى لكلّ حالة آلة، ولكلّ مقامة مقالة، فعند العسر الصبر، وعند النعم الشكر.

ولقد شتم أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر ألف شهر، فما شككنا في وصيته، وكذّب محمد صلّى الله عليه وآله بضع عشرة سنة فما اتهمناه في نبوته، وعاش إبليس مدة على المدد فلم نرتب في لعنته، وابتلينا بفترة الحق ونحن مستيقنون بدولته، ودفعنا إلى قتل الإمام بعد الإمام والرضا بعد الرضا ولا مرية عندنا في صحة إمامته ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾، ﴿كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

اعلموا رحمكم الله، إن بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن وأتباع الطاغوت

والشيطان، جهدوا في دفن محاسن الوصي، واستأجروا من كذب في الأحاديث على النبي صلّى الله عليه وآله، وحوّلوا الجوار إلى بيت المقدس عن المدينة، والخلافة زعموا إلى دمشق عن الكوفة، وبذلوا في طمس هذا الأمر الأموال وقلّدوا عليه الأعمال، واصطنعوا فيه الرجال، فما قدروا على دفن حديث من أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى، ولا على دسّ أحد من أعداء الله في أولياء الله.

ولقد كان ينادى على رؤوسهم بفضائل العترة، ويُبكِّتُ بعضهم بعضاً بالدليل والحجة، لا تنفع في ذلك عيبة، ولا يمنع منه رغبة ولا رهبة، والحق عزيز وإن استذلّ أهله، وكثير وإن قلّ حزبه، والباطل وإن رصّع بالشبه قبيح، وذليل وإن غطّي وجهه بكلّ مليح. قال عبد الرحمن بن الحكم وهو من أنفس بني أمية:

سميّة أمسى نسلها عدد الحصا   وبنت رسول الله ليس لها نسل

غيره:

لعن الله من يسبّ عليّاً   وحسيناً من سوقة وإمام

وقال أبو دهبل الجمحي، في حمية سلطان بني أمية وولاية آل بني سفيان:

تبيت السكارى من أمية نوّماً   وبالطف قتلى ما ينام حميمها

وقال الكميت بن زيد، وهو جار خالد بن عبد الله القسري:

فقل النبي أمية حيث حلّوا   وإن خفت المهنّد والقطيعا

أجاع الله من أشبعتموه   وأشبع من بجوركم أجيعا

وما هذا بأعجب من صياح شعراء بني العباس على رؤوسهم بالحق وإن كرهوه، وبتفضيل من نقصوه وقتلوه، قال المنصور بن الزبرقان على بساط هارون:

آل النبي ومن يحبّهم   يتطامنون مخافة القتل

أمن النصارى واليهود وهم   من أمة التوحيد في الأزل

وقال دعبل بن علي، وهو صنيعة بني العباس وشاعرهم:

ألم تــر أنــي مـذ ثـمانين حـجة أروح وأغـــدو دائـــم الحســرات

أرى فــيئهم فــي غـيرهم متقسّماً وأيـــديهم مــن فـيئهم صـفرات

وقال علي بن العباس الرومي، وهو مولى المعتصم:

تألّــيت أن لا يـبرح المـرء مـنكم يُـتَلُّ عــلى خرّ الجبين فـيعفجُ

كــذاك بـنو العـباس تـصبرُ مـنكم ويـصبر للسيف الكميُّ المـدجَّجُ

بكـــل أوان للـــنبيّ مـــحمد قـتيلٌ زكـــيٌّ بـالدماء مـضرَّجُ

وقال إبراهيم بن العباس الصولي، وهو كاتب القوم وعاملهم، في الرضا لما قرّبه المأمون:

يــمنّ عــليكم بأمـوالكـم وتعطون من مائة واحـداً؟!

وكيف لا ينقصون قوماً يقتلون بني عمهم جوعاً وسغباً، ويملؤون ديـار التـرك والديلم فضة وذهباً؟!

يستنصرون المغربي والفرغاني، ويجفون المهاجري والأنصاري، ويولّون أنباط السواد وزارتهم، وقلف العجم والطماطم قيادتهم، ويمنعون آل أبي طالب ميراث أمهم وفيئ جدّهم؟

يشتهي العلوي الأكلة فيحرمها، ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها، وخراج مصر والأهواز وصدقات الحرمين والحجاز تصرف إلى أبي مريم المديني، وإلى إبراهيم الموصلي، وابن جامع السهمي، وإلى زلزل الضارب، وبرصوما الزامر، وأقطاع بختيشوع النصراني قوت أهل بلد، وجاري بغا التركي والأفشين الأشروسي كفاية أمة ذات عدد.

والمتوكل، زعموا يتسرّى باثني عشر ألف سرية، والسيد من سادات أهل البيت بزنجية وسندية، وصفوة مال الخراج مقصورة على أرزاق الصفاعنة، وعلى موائد المخانثة، وعلى طعمة الكلابين، ورسوم القرّادين، وعلى مخارق وعلوبة المغني،

وعلى زرزد وعمر بن بانة الملهي، ويبخلون على الفاطمي بأكلة أو شربة، ويصارفونه على دانق وحبّة، ويشترون العوّادة بالبدر، ويجرون لها ما يفي برزق عسكر، والقوم الذين أحلّ لهم الخمس، وحرمت عليهم الصدقة، وفرضت لهم الكرامة والمحبّة، يتكففون ضرّاً ويهلكون فقراً، وليرهن أحدهم سيفه، ويبيع ثوبه، وينظر إلى فيئه، وجدّه النبي، وأبوه الوصي، وأمّه فاطمة، وجدّته خديجة، ومذهبه الايمان، وإمامه القرآن» إلى آخر ما أفاد وأجاد[1].

كلام للسيد علي بن معصوم المدني

قال السيد علي بن معصوم المدني[2]: «إعلم رحمك الله تعالى: أن شيعة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليه السلام لم يزالوا في كلّ عصر وزمان ووقت وأوان مختفين في زوايا الاستتار، محتجبين احتجاب الأسرار في صدور الأحرار، وذلك لما منوا به من معاداة أهل الإلحاد ومناواة أولي النصب والعناد، الذين أزالوا أهل البيت عن مقاماتهم ومراتبهم، وسعوا في إخفاء مكارمهم الشريفة ومناقبهم، فلم يزل كلّ متغلّب منهم يبذل في متابعة الهوى مقدوره، ويلتهب حسداً ليطفي نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

كما روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر صلّى الله عليه وآله أنه قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيّانا وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبّونا من الناس! إن رسول الله صلّى الله عليه وآله قبض وقد أخبر أنا أولى الناس بالناس،

---

(١) رسائل أبي بكر الخوارزمي، المتوفى: ٣٩٣، وتوجد ترجمته في كافة المصادر التاريخية.

(٢) من أكابر العلماء الأدباء، له آثار جليلة في علوم مختلفة، توفي فيما بين سنة ١١١٧ وسنة ١١٢٠ على اختلاف الأقوال، وتوجد ترجمته في: البدر الطالع ١/٤٢٨، نزهة الجليس ١/٢٠٩، أبجد العلوم ٨ـ٩، وهدية العارفين ١/٧٦٣.

فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل.

فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، وانتهب عسكره وخولجت خلاخل أمهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل.

ثم بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به، وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم، فقتلوه.

ثم لم نزل أهل البيت نستذلّ ونستضام، ونقصى ونمتهن ونحرم، ونقتل ونخاف، ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا.

ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمّال السّوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله، ليبغّضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام.

فقتلت شيعتنا في كلّ بلدة، وقطّعت الأيدي والأرجل على الظنة، من ذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن ونهب ماله وهدم داره. ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد لعنه الله قاتل الحسين عليه السلام.

ثم جاء الحجّاج فقتلهم كلّ قتلة وأخذهم بكلّ ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال له شيعة علي عليه السلام.

وروى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني[1] في كتاب (الأحداث)

---

(١) قال الذهبي بترجمته: «المدائني، الحافظ الصادق أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف

قال: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته.

فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من شيعة علي، فاستعمل عليها زياد بن سميّة وضمّ إليه البصرة، وكان يتتبع الشيعة ـ وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي ـ فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطرّدهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل بيته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا إلي بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصّلات والكساء والجبّات والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجئ أحد بخبر مزوّر من الأس إلا صار عاملاً من عمّال معاوية، ولا يروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه، وقرّبه، وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصّحابة والخلفاء

المدائني الأخباري، نزل بغداد، وصنف التصانيف، وكان عجباً في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصدقاً فيما ينقله، عالي الإسناد. وكان عالماً بالفتوح والمغازي والشعر صدوقاً في ذلك» توفي سنة ٢٢٤، ٢٢٥. سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٠٠. وتوجد ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ / ٥٤، مرآة الجنان ٢ / ٨٣، معجم الأدباء ١٤ / ١٢٤، الكامل في التاريخ ٦ / ٥١٦ وغيرها.

الأوّلين، ولا يتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب ولشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجري، حتى أشاروا بذكر ذلك على المنابر، والقي إلى معلّمي الكتاتيب، فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتى علّموه بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء اللّٰه.

ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّنة أنه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الديوان وأسقطوا عطائه ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره. فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّث حتى أخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه. فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة.

وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القرّاء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويتقرّبوا بمجالستهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلّون الكذب، فقبلوها ورووها وهم يظنّون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تديّنوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا خائف على دمه أو طريد في الأرض.

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين، وولي عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولّى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرّب إليه أهل النسك والصّلاح والدّين ببغض عليّ وموالاة أعدائه، وموالاة من يدّعي من الناس أنهم أيضاً أعداؤه. فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغضّ من علي، ومن عيبه، والطعن فيه، والشنآن له.

حتى أن إنساناً وقف للحجاج، ويقال إنه جدّ الأصمعي عبد الملك بن قريب فصاح به: أيها الأمير: إن أهلي عقّوني فسمّوني علياً، وإني فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج. فتضاحك له الحجاج وقال: للطف ما توسلت به، قد وليناك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المَعروف بنفطويه[1] وهو من كبار المحدّثين وأعلامهم، في (تاريخه) ما يناسب هذا الخبر وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية، تقرّباً إليهم بما يظنّون أنهم يرغمون به أنف بني هاشم.

قال المؤلّف عفا الله عنه: ولم يزل الأمر على ذلك سائر خلافة بني أمية لعنهم الله، حتى جاءت الخلافة العباسية، فكانت أدهى وأمر وأضرى وأضرّ، وما لقيه أهل البيت عليهم السّلام وشيعتهم في دولتهم أعظم مما مضوا به في الخلافة الأموية كما قيل:

والله ما فعلت أمية فيهم   معشار ما فعلت بنو العباس

---

(١) ترجم له الذهبي وقال: «نفطويه. الإمام الحافظ النحوي العلامة الأخباري أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، العتكي الأزدي الواسطي، المشهور بنفطويه، صاحب التصانيف.. وكان ذا سنة ودين وفتوة ومروة، وحسن خلق، وكيس، مات سنة ٣٢٣» سير أعلام النبلاء ١٥ / ٧٥ وتوجد ترجمته أيضاً في: تاريخ بغداد ٦ / ١٥٩، وفيات الأعيان ١ / ٤٧، المنتظم ٦ / ٢٧٧، الوافي بالوفيات ٦ / ١٣٠، معجم الأدباء ١ / ٢٥٤، وغيرها.

ثم شبّ الزمان وهرم، والشأن مضطرب والشنآن مضطرم، والدهر لا يزداد إلا عبوساً، والأيام لا تبدي لأهل الحق إلا بؤساً، ولا معقل للشيعة من هذه الخطة الشنيعة في أكثر الأعصار ومعظم الأمصار إلا الإنزواء في زوايا التقية، والإنطواء على الصبر بهذه البلية[1].

كلام للسيد حيدر الآملي

وقال السيد حيدر الآملي: «ثم لا يغيب عن نظرك: أن الحاكم إذا لم يقتد بالنبي صلّى الله عليه وآله في حركاته وسكناته التزم أضدادها، فيحتاج السلطان إلى المعاون والمعاضد والمشير والمساعد له على مقاصده وأغراضه ومطالبه وشهواته، في ارتكاب المحرّمات، وشرب المسكرات، وسماع الغناء، والولوع بالمردان، والتهتك مع النسوان، واجتذاب الأموال من غير حلّها، وعسف الرعيّة وذلّها، فيضطرّ الملك والسلطان إلى شيطان يستره، وفقيه ينصره، وقاض يدلّس له، ومتشدّق يكذب لدولته، ورئيس يسكّن الأمور، وطامع يشهد بالزور، ومشايخ تتباكا، وشباب تتزاكا، ووجيه يهوّن الأحوال، ويثيره على حبّ المال، وزاهد يليّن الصعاب، وفاسق ينادم على الشراب، وعيون تنظر، وألسنة تفجر، حتى ينام الخليفة أمير المؤمنين سكراناً، ويجد على فسوقه أعواناً. ولا تقوم هذه المملكة إلا بدحض أضدادها، ولا تتم دعوة قوم إلا بهتك [بهلاك] أعدائها وعنادها.

نظرٌ واعتبار

هل يجب إذا كانت هذه الدعوة لعلي بن أبي طالب عليه السلام وملكها معاوية بن أبي سفيان، ووزيراه عليها عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وقد خصمه علي بن

---

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥ ـ ٨.

أبي طالب عليه السلام عليها مدّة إلى أن قتله معاوية، أن يرفع قدر الحسن والحسين صلّى الله عليه وآله، وقدر محمد بن الحنفية، وقدر بني هاشم وآل أبي طالب، وأن يكرم عبد الله بن العباس،ويراعي حال أصحاب علي أحيائهم والأموات منهم؟ هذا بعيد من القياس والسياسة الدنياوية.

بل يجب على معاوية أن يفعل ما فعل من التدبير في قتل علي عليه السلام وأولاده، وتشتيت شملهم، وسبّ علي على المنابر، وتهوين أمره، ونسخ شرفه من صدور العوام، وبثّ ذلك في العباد والبلاد، وتهديد من صبا إليهم، والتنكيل بمن أثنى عليهم، هكذا مدّة دولته.

ثم أودع في قلوب بني أمية بغض علي وبغض رجاله وآله عليهم السّلام، حتى أدّى الحال إلى قتل الحسن بالسمّ، والحسين بالسيف الذي نهب فيه حرمه، وطيف برأسه في العباد والبلاد.

وهل تمّ ذلك إلا برجال ألبّاء عقلاء، علماء فقهاء، ومشايخ فقراء، وأعيان أغنياء، فيستعان بهم على تدبير العوام، وإلقاء الأوهام، وتخويف النفوس، وزجر المتكلّمين عن الخوض في الناموس؟

فلم يزل السبّ واللّعن والطرد والعزل في علي وأولاده ورجاله ألف شهر، نشأ فيها رجال ومات فيها رجال، وابيضّت لهم لحا واسوّدت لحا، وولدت صبيان وأولاد، واستوسقت بلاد وعباد، وساد بمراضي بني أمية من ساد، وانخذل أولاد علي عليه السلام ورجاله وأتباعه ومن يقتفي أثرهم في المدن والأقاليم، لا ناصر لهم ولا معوان، ولا مساعد ولا إخوان، وبذلت على ذلك أموال، ونشأ عليه رجال، وقيلت فيه أقوال، وركبت فيه أهوال، وآل الأمر في الآل إلى ما آل. وجملة الباعة والفلاحون غافلون عن مقاصد الملوك والسلاطين وكبار الشياطين، وانستر من ذلك خفايا واشتهرت قضايا، وجرى من طباع أهل المدن وعوامّهم ما أراده الملك وتربّى الناس على أغراضه،

وأثمرت المحبة لما عند الملك وبغض آل محمد ورجالهم، وتحدّثت السّوقة بذلك في الأسواق، وجال بين الناس الشقاق، وصار أتباع الملك مستظهرين بالكلام والجدال والخصام، ومن يكره الملك تحت السبّ والقتل والطرد والجلد، وانساقت المنافع إلى معاضد الملك بيده ولسانه، واحتكمت دولة بني أمية ومعاضدها، وذلل بالقهر والجور معاندها، وستر المتقي عقيدته، وكتم العاقل عبادته، واستمرت الأمور بين الجمهور، واشتدّت الأيام والعصور، وسارت الكتب المصنفة بذلك في البلاد، والتبس ما فيها من المقاصد على أكثر العباد، والناس عبيد الدنيا وفي طباعهم حبّ العاجلة، وعند الملك السيف والقلم والدينار والدرهم، وآل محمد وأتباعهم تحت الخوف وبعضهم تحت السيف، ولا يكاد يخفى عن معرفتك سرعة إجابة العوام إلى أغراض الحكام خوفاً وطمعاً، يتقلّبون تحت إرادته كيف شاء، وأنّى شاء، ومتى شاء!

ومع ذلك، الصّلوات قائمة، والأذان مرتفع، والصّوم معتبر، والمواقيت والحج مستطاع، والزكاة مأتية، والجهاد قائم، والناس على مراتبهم، والأسواق منعقدة، والسّبل مطرقة، والملاهي بين العوام مبسوطة، وليس في البلاء والشقاء والخوف والخفاء غير أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأشياعه وأتباعه.

ولمّا استوثق الأمر لبني مروان بسبب قتل عثمان مقت علي بن أبي طالب عليه السلام ورجاله في قلوب الناس، وثبت بينهم هذا الالتباس، ونفخ الشيطان وقال باللّسان هلك الملك وهان، ونشأ في الشريعة أصول، ونما لها فروع، وبسقت لها أفنان، فأثمرت بها، ثم لم يغرسها الحق، ولا سقاها الرسول، ولا جناها العقل، ولا أكل ثمرها الأولياء، ولا طعمها الفقراء، فظهر بذلك مذاهب، واختلفت فيه مسائل، ونسخت أخبار وطويت آثار، واستقر العالم على الخلاف والإختلاف وعدم الإيتلاف، والجبلة الحيوانيّة بحسب مرباها ومنشأها، كما أخبر الصادق الأمين: يولد المولود على الفطرة، وإنما أبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه فينجسانه.

ثم تلاشت دولة بني أمية ونشأت دولة بني العباس، فوجدوا بني أميّة قد وطأوا لهم المملكة لأمر لا يحتاجون فيه إلى مصانعة آل علي عليه السلام ومداراتهم، لعلمهم أن المملكة بالأصالة لهم، فأقرّوا الوظائف التي قررّها بنو أمية في إخماد نار الطالبيين على حالها، وساسوا الناس بها، وتناولوها هنيّة مريّة، وأمدّوا العالم المعاون على أغراضهم بالأموال، واستخدموا على ذلك الرجال، ووهبوا على ذلك مقامات ومراتب وولايات وهبات وصدقات.

فلما أحسّ الطالبيون بولاية بني عباس، وأخذت حقوقهم بغير حق، هاجروا إلى الأطراف والأوساط، خوفاً من القتل والسياط، وخاطبوهم في القيام عن هذا البساط. فندب لهم العباسيون الرجال، وأعدّوا لهم القتال، وتولّاهم المنصور، حتى قتل منهم الألوف، وشرّد منهم الألوف، ومن وقف على (مقاتل الطالبيين) عرف ما جرى من بني العباس على آل علي عليه السلام.

حتى حطّموا شجرتهم، وفرّقوا كلمتهم، وأفنوا أموالهم، وأبادوا رجالهم. واضطر بنو العباس إلى إقامة دعوتهم، ونشر كلمتهم، ومراعاة مملكتهم، وحراستها من آل علي عليه السلام، نسقاً على عناد بني أمية. فلما استقرّت دولتهم، وأهيبت صولتهم، حتى فهموا أن شجرة الطالبيين متفرقة، والأغصان ذابلة، والأفنان ناقصة الري، مخضودة الشوك، يابسة الشرب. فعندها استقرّوا وسكنوا، ولم يأمنوا حتى علموا أن جميع الرعايا في البلاد والآفاق المشرقية والمغربية أعداء لآل محمد صلّى اللّه عليه وآله، يفضّلون أصحابه عليهم، ولا يأنسون بذكرهم....

ثم انهمكت الخلفاء والملوك من العرب والعجم في استعمالهم الكذب وارتكاب المنكرات، التي لا تجب لمثلهم على سبيل النبوة المحمديّة والخلافة العلويّة التي فرضها الله تعالى وسنّها محمد صلّى اللّه عليه وآله وأمر بها ونصّ عليها. فاضطرّوا إلى وضع المدارس مشغلة للعوام التي ألفت بالقلوب والأوهام السماطات

الدسمة والملابس الفاخرة والأنعام، وسموا كلّ رئيس من الرعاة إماماً، ليصح لهم الخلافة المملوكة بينهم، ويصير الخليفة الغاصب لكلّ إمام منهم إماماً، وهم يعلمون أنهم يرتكبون الآثام ويأكلون الحرام، وأصلحُ الساكنين بالمدرسة داعي الخليفة الغاصب، قائماً بعرضه، مناوئاً لمعاديه، مرتقباً على من يطعن فيه، مكفّراً لمن لا يواليه، يأخذ على ذلك الجوائز السنية، والمساكين العليّة، والمراكب البهيّة، والمطاعم الشهيّة، والملابس الفاخرة، والمقامات الباهرة، والتنعم والتلذذ في المنام، والتقلّب في مستراح الحمام، وأعلا مكانه في المدرسة أن يناقض ويعارض ويدّعي قيام الحجة على الروافض.

وتتابع الناس على ذلك طبقاً بعد طبق وجيلاً بعد جيل، واندرجوا عليه خلفاً إثر سلف، ونشأ مذهب الجبريين بين العوام، واندرج في الخاصّ والعام، واستتر عمال الشياطين ومكراء الفراعنة من السلاطين، والعامي بعقده على هذه المذاهب أسرع من انعقاده على معرفة الله، وهو مذهب يغوث ويعوق ونسر، واشتغل علماء الجمهور بالخلاف والشقاق، وألقوا من تابعهم من الباعة والفلاحين في يمين الطلاق، وغشيت المدارس وأحدث التفاضل والتنافس، وانتظم العالم على صورة من قال غيرها وإن كان صادقاً كفر، ومن التبس بسواها احتقر»[1].

كلام لأبي جعفر الإسكافي

وقال الشيخ أبو جعفر الإسكافي في الردّ على عثمانيّة الجاحظ: «لولا ما غلب على الناس من الجهل وحبّ التقليد، لم نحتج إلى نقض ما احتجت به العثمانية، فقد علم الناس كافة: أن الدولة والسلطان لأرباب مقالتهم، وعرف كلّ أحد أقدار شيوخهم وعلمائهم وأمرائهم وظهور كلمتهم وقهر سلطانهم وارتفاع التقية عنهم، والكرامة

---

(١) الكشكول في ما جرى على آل الرسول: ١٩ ـ ٢٥.

والجائزة لمن روى الأخبار والأحاديث في فضل أبي بكر، وما كان من تأكيد بني أمية لذلك، وما ولّده المحدّثون من الأحاديث، طلباً لما في أيديهم. فكانوا لا يألون جهداً ـ في طول ما ملكوا ـ أن يخملوا ذكر علي وولده، ويطفئوا نورهم، ويكتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم، ويحملوا الناس على شتمهم وسبّهم ولعنهم على المنابر، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قلّة عددهم وكثرة عدوّهم، فكانوا بين قتيل وأسير وشريد وهارب ومستخف ذليل وخائف مترقب.

حتى أن الفقيه والمحدّث والقاصّ والمتكلّم ليقدّم إليه ويتوعّد بغاية الإيعاد وأشدّ العقوبة أن لا يذكروا من فضائلهم، ولا يرخّصوا لأحد أن يطيف بهم، حتى بلغ من تقيّة المحدّث أنه إذا ذكر حديثاً عن علي كنّى عن ذكره فقال: قال رجل من قريش، وفعل رجل من قريش. ولا يذكر علياً ولا يتفوّه باسمه.

ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله، ووجّهوا الحيل والتأويلات نحوها، من خارجي مارق، وناصب حنق، ونابت مستبهم، وناشئ معاند، ومنافق مكذب، وعثماني حسود يتعرض فيها ويطعن، ومعتزلي قد نفذ في الكلام، وأبصر علم الإختلاف، وعرف الشبه، ومواضع الطعن، وضروب التأويل، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه، وتأوّل مشهور فضائله، فمرّة يتأوّلها بما لا يحتمل، ومرّة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض، ولا تزداد مع ذلك إلا قوة ورفعة ووضوحاً واستنارة.

وقد علمت أن معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيّام ملكهم ـ وذلك نحو ثمانين سنة ـ لم يدعوا جهداً في حمل الناس على شتمه ولعنه وإخفاء فضائله وستر مناقبه وسوابقه....

وقد تعلمون أن بعض الملوك ربّما أحدثوا قولاً أو ديناً لهوى، فيحملون الناس على ذلك، حتى لا يعرفون غيره، كنحو ما أخذ الناس الحجاج بن يوسف بقراءة عثمان وترك قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب، وتوعّد على ذلك، بدون ما صنع هو وجبابرة

بني أمية وطغاة بني مروان بولد علي وشيعته، وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة، فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان، ونشأ أبناؤهم ولا يعرفون غيرها، لإمساك الآباء عنها، وكف المعلّمين عن تعليمها، حتى لو قرئت عليهم قراءة عبد الله وأبيّ ما عرفوها ولظنوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان، لألف العادة وطول الجهالة، لأنه إذا استولت على الرعيّة الغلبة، وطالت عليهم أيام التسلّط، وشاعت فيهم المخافة، وشملتهم التقيّة، اتفقوا على التخاذل والتناكب، فلا تزال الأيام تأخذ من بصائرهم، وتنقص من ضمائرهم، وتنقض من مرائرهم، حتى تصير البدعة التي أحدثوها غامرة للسنّة التي كانوا يعرفونها.

ولقد كان الحجّاج ومن ولّاه كعبد الملك والوليد ومن كان قبلهما وبعدهما من فراعنة بني أمية، على إخفاء محاسن علي وفضائله وفضائل ولده وشيعته وإسقاط أقدارهم، أحرص منهم على إسقاط قراءة عبد الله وأبيّ، لأن تلك القراءات لا تكون سبباً لزوال ملكهم وفساد أمرهم وانكشاف حالهم، وفي اشتهار فضل علي عليه السلام وولده وإظهار محاسنهم، بوارهم وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم، فحرصوا واجتهدوا في إخفاء فضائله، وحملوا الناس على كتمانها وسترها.

وأبى الله أن يزيد أمره وأمر ولده إلا استنارة وإشراقاً، وحبّهم إلا شغفاً وشدّة، وذكرهم إلا انتشاراً وكثرة، وحجّتهم إلّا وضوحاً وقوّة، وفضلهم إلا ظهوراً، وشأنهم إلا علوّاً، وأقدارهم إلا إعظاماً، حتى أصبحوا بإهانتهم إيّاهم أعزّاء، وبإماتتهم ذكرهم أحياء، وما أرادوا به وبهم من الشرّ تحوّل خيراً.

فانتهى إلينا من ذكر فضائله وخصائصه ومزاياه وسوابقه ما لم يتقدّمه السّابقون، ولا ساواه فيه القاصدون، ولا يلحقه الطالبون، ولولا أنها كانت كالقبلة المنصوبة في الشهرة، وكالسنن المحفوظة في الكثرة، لم يصل إلينا منها في دهرنا حرف واحد، وكان الأمر كما وصفناه».

الأوقاف والرواتب لأئمة أتباع المذاهب الأربعة

قال قدس سره: وما أظن أحداً من المحصّلين وقف على هذه المذاهب، فاختار غير مذهب الإمامية باطناً، وإن كان في الظاهر يصير إلى غيره طلباً للدنيا، حيث وضعت لهم المدارس والربط والأوقاف حتى تستمر لبني العباس الدعوة، ويشيدوا للعامة اعتقاد إمامتهم....

الشرح:

هذا الذي ذكره العلّامة طاب ثراه أمر ثابت في التواريخ، لا يسع أحداً إنكاره إطلاقاً، لكن ابن تيمية قد عرف بإنكار الحقائق والإباء عن قبولها وإن قال بها جميع الخلائق. ولنذكر طرفاً من تاريخ المدارس في البلاد، ثم نتعرّض للأوقاف والرواتب والمشاهرات في بعضها، ونورد نتفاً من الأخبار المتعلّقة بذلك، فنقول:

إنه لم يسمح المؤسّسون للمدارس في مختلف البلدان الإسلامية أن يتعلّم أو يدرس أو يسكن فيها أحد من الشيعة، بل كانت المدارس كلّها لأهل المذاهب الأربعة فقط، وهم المستفيدون من أوقافها، غير أن المدارس:

منها: ما كان يدرّس فيها مذهب واحد من المذاهب الأربعة، كمدارس الشافعية وأشهرها النظامية ببغداد، والحنفية كمدرسة أبي حنيفة ببغداد، والحنبلية كمدرسة عبد القادر الجيلي ببغداد، والمالكية كمدرسة الصدرية بدمشق.

ومنها: ما كان يدرّس فيها مذهبان من المذاهب الأربعة، فلم يسمح تدريس غيرهما منها فيها، كالتي كانت للحنفية والشافعية فقط. مثل مدرسة سعادة ببغداد، والظاهرية بدمشق. والتي كانت للحنفية والمالكية فقط، مثل المدرسة التي بناها الأمير سيف الدين منكوتمر بالقاهرة سنة ٦٩٨. والتي كانت للشافعية والمالكية فقط، مثل المدرسة الحجازية بالقاهرة سنة ٧٦١. والتي كانت للشافعية والحنابلة، مثل المدرسة

الشهابية بالمدينة المنورة. والتي كانت للمالكية والحنابلة، مثل المدرسة السيفية بحلب.

ومنها: ما كان يدرّس فيها ثلاثة مذاهب من المذاهب الأربعة، مثل المدرسة الفخرية بدمشق، التي شيدت سنة ٨٢١ وكانت للحنفية والمالكية والحنابلة.

ومنها: المدارس التي بنيت على المذاهب الأربعة، ومن أشهرها المستنصرية التي بناها المستنصر العباسي ببغداد، وافتتحت في سنة ٦٣١.

ولمّا كان العلامة طاب ثراه في العراق، وقد عاصر أيام عظمة المستنصرية وازدهارها، وشاهدها وعرف أخبارها، فإنا نكتفي بالتكلّم حولها، فنقول:

ذكر الذهبي في حوادث سنة ٦٣١ من تاريخ الإسلام: «وفيها تكامل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد، ونقل إليها الكتب، وهي مائة وستون حملاً، وعدّة فقهائها مائتان وثمانية وأربعون فقيهاً من المذاهب الأربعة، وأربعة مدرسين، وشيخ حديث، وشيخ نحو، وشيخ قرّاء، وشرط لكلّ مدرّس أربعة معيدين، ويحضره اثنان وستون فقيهاً».

قال: «ثم رأيت نسخة كتاب وقفها في خمسة كراريس، والوقف عليها: عدّة رباع، وحوانيت ببغداد، وعدّة قرى كبار وصغار ما قيمته تسعمائة ألف دينار فيما يخال إلي، ولا أعلم وقفاً في الدنيا يقارب وقفها أصلاً، سوى أوقاف جامع دمشق وقد يكون وقفها أوسع».

ثم ذكر الذهبي أوقاف المستنصرية من القرى والضياع، ذاكراً أسماءها ومساحاتها، ونحن نذكر المساحات فقط: ٣٧٠٠ جريب. ٦٤٠٠ جريب. ٥٠٥ جريب. ٥٥٠٠ جريب. ٣٩٩٠ جريب. ٣٠٠٠ جريب. ٤١٨٠ جريب. ٨١٠٠ جريب. ٣١٠٠ جريب. ٤٠٠٠ جريب. ٤٠٠٠ جريب. ١٠٠٠ جريب. ١٢٠٠ جريب. ٤٨٠٠ جريب. ٦٥٠٠ جريب. ٢٠٢٥٠ جريب. ٤٨٠٠ جريب. ٦٠٠٠ جريب. ٥٩٠٠ جريب. ٧٢٠٠ جريب. ٢٦٠٠ جريب. ٦٤٠٠ جريب. ٥٥٠٠ جريب.

٢٥٠٠ جريب. ٤٦٠٠ جريب. ١٩٠٠٠ جريب.

قال الذهبي: «فالمرتزقة من أوقاف هذه المدرسة على ما بلغني، نحو من خمسمائة نفر، المدرسون فمن دونهم، وبلغني أن تبن الوقف يكفي الجماعة ويبقى مخل هذه القرى مع كرى الرباع فضلة. فكذا فليكن البر وإلا فلا. وحدثني الثقة: إن ارتفاع وقفها بلغ في بعض السنين وجاء نيفاً وسبعين ألف مثقال ذهباً». وذكر غير واحد من المؤرخين: «إن قيمة ما وقف عليها يساوي ألف ألف دينار، وأن وارداتها بلغت نيفاً وسبعين ألف مثقال من الذهب في السنة»(١). وقال الخزرجي: «أنفق عليها من المال ما يعجز عنه الحصر، ووقف عليها وقفاً جليلاً»(٢).

هذا فيما يتعلّق بأوقاف المستنصرية.

ثم إنه قد عيّن رواتب للمدرّسين وللمعيدين وللطلبة في مختلف العلوم، بعد أن جعل لكلّ طائفة منهم شروطاً، ونحن نكتفي بذكر ما يتعلّق بقسم الفقه في المدرسة المستنصرية للاختصار:

لقد شرط المستنصر في مدرسة الفقه الشروط الآتية(٣):

أن يكون لكلّ طائفة من الطوائف الأربع مدرس. وأن يكون لكلّ مدرس أربعة معيدين. وأن يكون لكلّ مدرس في اليوم عشرون رطلاً من الخبز، وخمسة أرطال من اللحم بخضرها وحوائجها وحطبها. وأن يكون لكلّ مدرّس فيها اثنا عشر ديناراً في الشهر.

هذا غير ما كان يصل المدرّسين من الخلع والعطايا والصّلات.

وكان تعيين المدرس يتم بصدور توقيع من الخليفة، وبعد ذلك يخلع عليه خلعة

(١) تاريخ المستنصرية ٢ / ١٦٧.

(٢) تاريخ المستنصرية ١ / ٩٢.

(٣) تاريخ المستنصرية ١ / ١١٥ـ١١٦.

التدريس بدار الوزير، وقد يمطى بغلة فيحضر إلى المدرسة بالخلعة، ويرافقه صاحب الديوان ومعه الولاة والحجاب والصدور والأكابر وصاحب البريد، وجميع أرباب المناصب، احتراماً له، ثم يجلس سدّة التدريس، فيلقي بحثه، ويحضر الأئمة والفقهاء والأعيان درسه الأول، وتكون عليه الطرحة ـ وهي لباس خاص يضعه المدرسون فوق العمامة ـ فإذا عزل عن التدريس توجه إلى داره بغير طرحة.

هذا بالنسبة إلى رواتب المدرّسين وكيفية نصب المدرّس. وجعل للمعيدين وهم الذين يعيدون على الطلاب جميع ما يمليه عليهم المدرس، وقد تقدّم أنه شرط أن يكون لكلّ مدرس أربعة معيدين ـ رواتب تخصهم، وهي[١]: أن يكون للمعيد في كلّ يوم أربعة أرطال خبزاً وغرفان طبيخاً. وأن يكون لكلّ معيد ثلاثة دنانير في الشهر.

وأمّا الطلاب، فقد شرط المستنصر في طلاب مدرسته: أن يكون عدّة الفقهاء (يعني طلاب الفقه) مائتين وثمانية وأربعين رجلاً، وأن يكون من كلّ طائفة من المذاهب الأربعة اثنان وستون رجلاً، وأن يكون لكلّ طالب في كلّ شهر ديناران، وأن يجري لكلّ واحد منهم في كلّ يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طبيخاً مما يطبخ في مطبخها، وأن يكون لكلّ طالب مقدار من اللّحم ومن الحلوى والفاكهة والصابون والزيت والفرش والتعهد.

وقد جعل لكلّ طالب في الفقه ـ بالإضافة إلى ما ذكر من الجرايات والرواتب كلّها ـ ديناراً إمامياً في كلّ شهر، وشرط أيضاً أن تضاعف المشاهرات في شهر رمضان[٢]، وذكروا أن هذه الرواتب والمشاهرات كلّها كانت بالإضافة إلى ما يهيّأ لهم من: الحبر والورق والأقلام، وما يحتاجون إليهم للكتابة والاستنساخ من اللّوازم[٣].

---

(١) تاريخ المستنصرية ١ / ٢٢٩.

(٢) تاريخ المستنصرية ١ / ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٣) تاريخ المستنصرية ١ / ٥٧.

وأنه رتّب لجميع أرباب المشاهرات حماماً يدخلون إليه متى احتاجوا وفيه من يقوم بخدمتهم[(١)].

وكان المريض من أرباب هذا الوقف يطبّب مجّاناً، ويعطى ما يوصف له من الأدوية والأشربة والأكحال السائلة والسكر والفراريج وغير ذلك[(٢)].

وقد رتّب في المدرسة من الأمور الدالّة على تفقده لأحوال أهل العلم، وكثرة فكرته فيما يقضي براحتهم وإزاحة عللهم مما هو معروف لمن شاهد وسمع به. هذا عدا ما كان من صلات وصدقات إلى من يرد من العلماء والزهاد والأدباء وسائر الطبقات[(٣)].

أقول: هذه خلاصة ما كان في المدرسة المستنصرية الموقوفة على المذاهب الأربعة فقط، من الرواتب والمشاهرات وغيرها لطلاب مدرسة الفقه فيها.. ولم نتعرّض لما كان يجري لغيرهم فيها، من طلاب دار الحديث، ودار القرآن وغير ذلك.

ومن الجدير بالذكر، ويشهد بما ذكره العلاّمة رحمه اللّه، أن هذه الرواتب والمشاهرات لما انقطعت وقيل للفقهاء وغيرهم: من يرضى بالخبز وحده وإلا فما عندنا غيره، ثاروا على من بيده وقوف المدرسة، ونالوا منه، وأسمعوه قبيح الكلام، فحماه منهم بعضهم، وخلّصه من أيديهم، فاتّصل ذلك بالحكّام وعزلوا صدر الوقوف!![(٤)].

وأيضاً، فقد ذكروا بترجمة الحافظ ابن النجار: أنه لمّا ورد بغداد كانت عنده أموال، فلم يسكن داراً وقفيّة عرض عليه سكناها، فلمّا فتحت المستنصرية عيّن عليه

---

(١) تاريخ المستنصرية ١ / ٧٣.

(٢) تاريخ المستنصرية ١ / ٥٨.

(٣) تاريخ المستنصرية ١ / ١٠٦.

(٤) تاريخ المستنصرية ١ / ٩٧، ١٢٧.

مشتغلاً في علم الحديث، فأجاب إلى ذلك[١].

قال قدس سره: وكان أكبر مدرسي الشافعية في زماننا، حيث توفي أوصى بأن يتولّى أمره في غسله وتجهيزه بعض المؤمنين، وأن يدفن في مشهد الكاظم عليه السلام، وأشهد عليه أنه على دين الإمامية!

الشرح:

بعض علمائهم على دين الإمامية في الباطن

قال ابن تيمية: «الحكاية التي ذكرها عن بعض الأئمة المدرّسين ذكر لي بعض البغداديين أنها كذب مفترى...»[٢].

أقول: وجدنا في تراجم المدرّسين الشافعية في المدرسة المستنصرية رجلين دفنا في حضرة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

أحدهما: عماد الدين محمد المرندي الشافعي سابقاً، المتوفى سنة ٦٨٠ أو ٦٨٥، وردت ترجمته في كتاب الحوادث الجامعة: عماد الدين أبو ذي الفقار محمد بن الأشرف ذي الفقار أبي جعفر محمد بن أبي الصمصام ذي الفقار الحسني المرندي الشافعي، مدرس المستنصرية. ولد بمرند سنة ٥٩٦، وتوفي في شعبان في سنة ٦٨٠، ودفن في حضرة الإمام موسى بن جعفر، وله من العمر ٨٤ سنة. وجاء في تاريخ الإسلام للذهبي ومنتخب المختار أنه توفي سنة ٦٨٥.

قال ابن الفوطي: كان شيخاً فاضلاً زاهداً، قدم بغداد في شعبان سنة ٦٣٠ وأنزل في رباط الخلاطية. ولما فتحت المدرسة المستنصرية في رجب سنة ٣١ رتب فقيهاً بها، ثم عيّن عليه شرف الدين إقبال الشرابي مدرساً لمدرسته التي أنشأها بواسط سنة ٤٨،

(١) تاريخ المستنصرية ١ / ٣٣٧.

(٢) منهاج السنة ٤ / ١٣٤.

فانحدر إليها ودرّس بها. ولما فتحت المدرسة المستنصرية بعد الواقعة سنة ٥٧ عيّن مدرّساً بها، وكان قد اشتغل على جدّه أبي الصمصام، وسمع صحيح البخاري على محمد ابن القطيعي شيخ دار المستنصرية. قال ابن الفوطي: وكتب لي بالإجازة، واجتمعت بخدمته لما قدمت من مراغة. وقد ورد ذكر عماد الدين في المقامات الزينية لابن الصيقل الجزري، حيث وصف بأنه رئيس الأصحاب أي أصحاب الشافعي، وركن الشريعة، وعلم الهدى[1].

والآخر: ابنه ذو الفقار القرشي المتوفى سنة ٦٨٥. ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي، وهو ابن عماد الدين المتقدّم ذكره، الذي كان مدرّساً للشافعية بالمستنصريّة أيضاً، ولد بخوي من آذربيجان في صفر سنة ٦٢٣، وتوفي في يوم الجمعة ٢٧ شعبان سنة ٦٨٥، ودفن عند والده بالمشهد الكاظمي، وشيّعه قاضي القضاة والجماعة إلى مدفنه. قال الذهبي: نحوي، سمع ببغداد من الكاشغري وابن الخازن، ودرس بالمستنصرية. وقال ابن رافع: سمع من أبي بكر محمد بن سعيد ابن الخازن مسند الشافعي ومعجم الإسماعيلي، ومن إبراهيم بن عثمان الكاشغري شيخ دار السنة بالمستنصرية، كتبت عنه. وكان كريم الصحبة جميل الأخلاق... وقد أجاز لأبي محمد عبد العزيز البغدادي وللحافظ علم الدين البرزالي. وقد سمع من المقامات الزينية المجلس الأول فقط من منشئها ابن الصيقل الجزري سنة ٦٧٦ برواق المدرسة المستنصرية[2].

هذا، ولقد كان ابن تيمية أسوة لمقلّديه حتى في إنكار وجود الأشخاص في هذا العالم! وقد اتبعه مقلّدوه في عصرنا فأنكر بعض الكتّاب المعاصرين وجود الشيخ محمد مرعي الأنطاكي الحلبي، الذي اختار مذهب الشيعة الإمامية وكتب في ذلك كتاباً

---

(١) تاريخ المستنصرية ١/ ٢١٥ـ٢١٦.

(٢) تاريخ المستنصرية ١/ ٢١٦ـ٢١٧.

أسماه (لماذا اخترت مذهب الشيعة). فكما أنكر ابن تيمية وجود الشيخ المرندي الشافعي ثم الشيعي مستنداً إلى من زعم أنه من البغداديين، كذلك هذا المعاصر أنكر وجود الشيخ الأنطاكي الحلبي مستنداً إلى شيخ في حلب فقال: «أمّا الكتب التي وصفوها وأساسها الكذب، فمن أمثلتها كتاب (المراجعات) وسيأتي كشف ما فيه، وكتاب (لماذا اخترت مذهب الشيعة) وهو يتضمن قصة مخترعة أو مؤامرة مصنوعة تتضمن أن عالماً من كبار علماء السنّة يدعى (محمد مرعي الأمين الأنطاكي) قد ترك مذهب السنة وأخذ بمذهب الشيعة، بعد أن تبين له بطلان الأول، وهذا الأنطاكي يزعم أنه نزيل حلب، رغم أنه لا يعرفه من كبار علمائها أحد، والكتاب مليء بالدسّ والكذب والإفتراء والتجني، مما لا يصدر إلا عن جاهل متعصب أو عن زنديق متستر بالتشيّع». ثم قال في هامشه: «سألت عنه بعض كبار علماء حلب، كالشيخ عبد الفتاح أبو غدّة فأفاد أنه مجهول. مع زعم هذا الباطني بأنه يشغل قاضي القضاة على مذهب السنة في حلب»[1].

إلا أن الشيخ محمد مرعي الأنطاكي جاء إلى العراق بصحبة أخيه الشيخ أحمد أمين الأنطاكي، ونزلا في مدينة كربلاء المقدسة ضيفين على والدنا العلّامة وكنّا نقوم بخدمتهما، وفي دارنا ألّف كتابه المذكور، وسمعنا منهما كيف اختارا مذهب الشيعة، وفي حوزتنا الآن صورة لهذا الشيخ، كما أن بعض زملائنا أخذ منه إجازة في الحديث وهي موجودة الآن بخطّه عنده.

(١) مسألة التقريب بين أهل السنّة والشيعة. تأليف: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ٢/ ١٣١ ـ ١٣٢.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المحتويات




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المحتويات

شرحُ منهاج الكرامة

والردُّ على منهاج ابن تيميّة

الفصل الأوّل: في نقل المذاهب

١١٩ ـ ١٥٢

الأدلّة على وجوب اتّباع مذهب الإماميّة